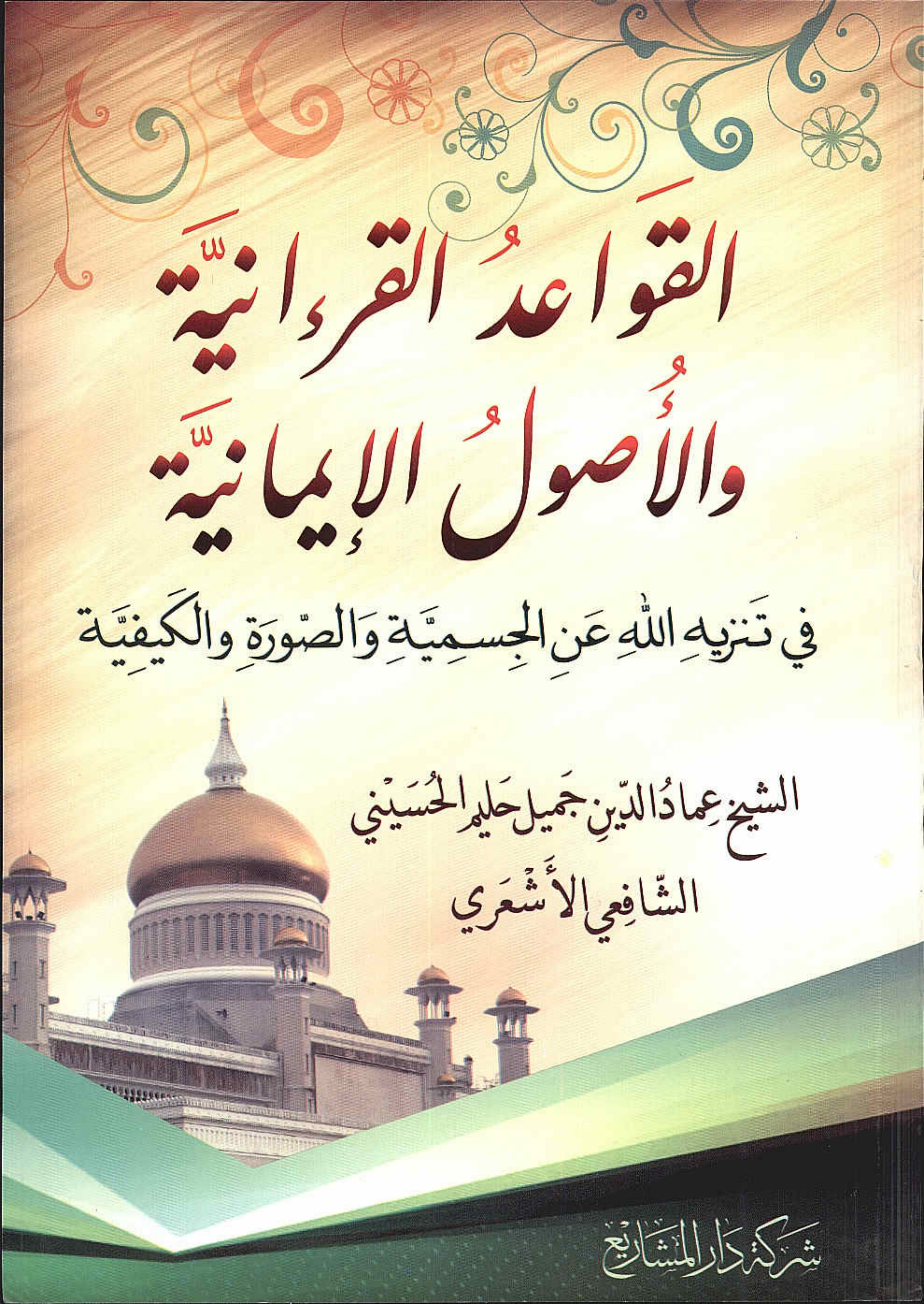
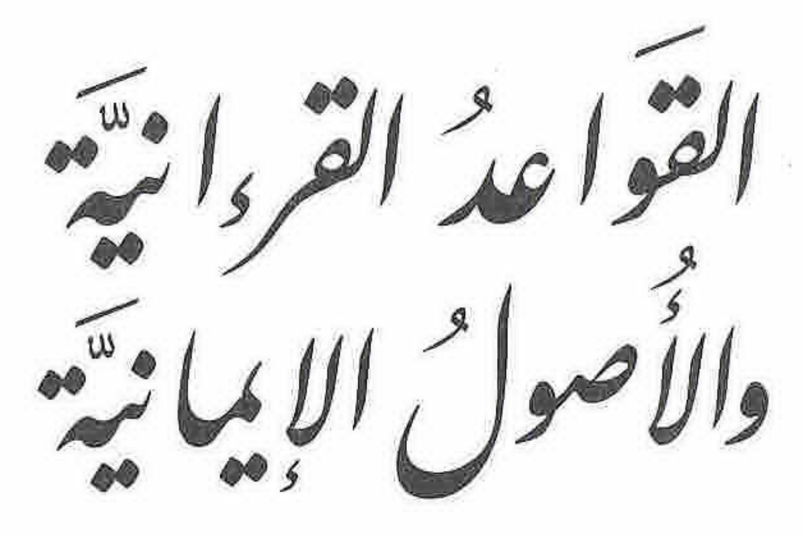

القواعدُ القرءانيّة
والأُصولُ الإيمانيّة
في تنزيهِ اللهِ عَنِ الجِسميّةِ وَالصّورةِ والكَيفيّة
الشيخ عِمادُ الدّينِ جميل حَليم الحُسَيْني
الشّافِعي الأشْعَري
شركة دار المشاريع



في تنزيهِ اللهِ عنِ الجسميّةِ والصورةِ والكيفيّة

ملتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الأولى
٢٠١١ر-١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وأشهد أن لا إلٰه الا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا زوجة ولا ولد له ولا شبيه ولا مثيل له ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له ولا هيئة ولا أعضاء ولا شكل ولا صورة له ولا أين ولا كيفية ولا كمية له ولا جهة ولا حيز ولا مكان له كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك تنزه ربي عن الجلوس والقعود وعن الحركة والسكون وعن الاتصال والانفصال لا يحل فيه شيء ولا ينحل منه شيء ولا يحل هو في شيء لا يحس ولا يَمس ولا يُمس ولا يُجس تنزه عن التأثرات والإحساس والشعور والانفعالات والتغير والتطور والتبدل هو الأزلي الأبدي «ليس كمثله شيء» ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله صلى الله عليه وعلى كل رسول أرسله.

أما بعد فمما أجمعت عليه الأمة أن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل الكيفيات والهيئات والأشكال والأحجام والكميات والصور فهو سبحانه ليس كمية صغيرة بقدر الجوهر الفرد ولا بقدر الذرة ولا كمية كبيرة بقدر العرش لأن الكمية والكيفية والهيئة تحتاج إلى من يوجدها، إلى خالق يخلقها، لأنها حادثة خلقت بعد أن كانت معدومة وليست هي التي تخلق نفسها ولا خلقتها كمية أخرى والله تعالى هو خالق الكميات والكيفيات فهو منزه عن كل ما كان من معاني المخلوقين منزه عن كل

ما كان من صفات الحوادث بكل اشكالها وهيئاتها وصفاتها ولذلك قال الإمام الطحاوي: «**ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر**»، وهذا إجماع أهل السنة والجماعة لأن العقيدة الطحاوية تناقلتها الأمة خلفا عن سلف في الشرق والغرب والشمال والجنوب وتلقتها بالقبول واهتموا بها حفظا وتدريسا وشرحا.

وممن نقل الإجماع على كفر من يشبه الله بشيء من مخلوقاته أو ينسب إليه ما يؤدي إلى الجسمية أو صفاتها الإمام القاضي عبد الوهاب أبو محمد المالكي المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري في شرحه على عقيدة مالك الصغير فقال: «ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يَرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام».

لذلك وتحذيرا للمسلمين من فتن وضرر الوهابية المجسمة الذين يموهون على الناس، فيقولون لهم عن الله «هو في السماء بذاته» أو «على العرش بذاته» أو «قاعد» أو «جالس» أو «متحرك» أو «ساكن» ويقولون «له صورة حقيقية» أو «كيفية مجهولة»، أو «يتكلم بحرف أو صوت» أو «يذهب ويجيء بالحركة والسكون والانتقال»، وهذا كله لم يرد في الكتاب ولا السنة ولا أجمعت عليه الأمة، بل مصادر التشريع كلها على خلاف ذلك، وقد نقلنا لك أيها القارئ المنصف إجماع الأمة على تكفير من يقول بذلك، فكن دائما على ذكر من نقل الإجماع في هذه المسألة ولا تتأثر بتمويهات الوهابية مهما حاولوا أن يبثوا وينشروا عقيدة التجسيم فيشبهوا الله بخلقه، واثبت على عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي مأخوذة من القرءان والسنة الصحيحة وعليها إجماع الأمة ويشهد بصحتها العقل السليم، وسنذكر لك في هذه الرسالة شيئا

من نصوص أئمة وعلماء الإسلام من السلف والخلف في تنزيه الله تعالى عن الكيفية، والكيفية هي الشكل والصورة والهيئة والقعود والجلوس والطول والعرض، يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فمن أثبت له كيفية من الكيفيات فقد كذّب هذه الآية ولا يكون من المسلمين.

فيجب الاعتقاد أن الآيات والأحاديث المتشابهات التي يوهم ظاهرها أن الله تعالى في جهة فوق أو أنه على العرش بذاته أو أنه في جهة السماء أو أن له هيئة أو شكلا أو صورة ليست على ظاهرها بل لها معنى يليق بالله.

ومن حمل هذه الأخبار المتشابهة على ظاهرها زاغ وضلّ وكفر كما قال الإمام السيد الحافظ المفسر أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: «**صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر**». أي إن ذلك موصل للكفر وموقع فيه.

فالذي يجب على كل مكلف أن يعتقده أن هذه الآيات والأحاديث لها معنى يوافق قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، كما يجب عليه أن يتعلم ما يجب لله وما يستحيل عليه وبقية الأمور الدينية الواجبة من الفرض العيني، والذي من لم يحصله يكون فاسقا مستحقا لعذاب الله، وحرصا منا على نشر هذا العلم سنبدأ في أول هذا الكتاب ببيان وتعريف الفقه الأكبر وتنزيه الله وتوحيده وإثبات تأويل بعض الآيات المتشابهات، وبعد ذلك نذكر نُقول علماء الأمة في تنزيه الله عن الشكل والهيئة والجسمية والكيفية.

الفقه الأكبر

أعلى العلوم وأوجبها وأفضلها هو علم التوحيد، ذلك أن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان علم التوحيد يفيد معرفة الله على ما يليق به وتنزيه الله عما لا يجوز عليه وتبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم كان أفضل من علم الأحكام، قال الله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

وقال الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأبسط: «اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»[2] اهـ، لأن أفضل العلم العلم بالله ورسوله، ويسمى علم التوحيد وسماه الإمام أبو حنيفة الفقه الأكبر كما في بعض رسائله، ونصه: «أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه وما يتعلق منها بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر»[3] اهـ لأنه أهم أمور الدين، هو أساس علم الدين، أساس الإسلام، لا يحصل الإسلام بدونه، فمن مزاياه أن من عرف الله على مذهب أهل السنة والجماعة، وعرف نبيه ﷺ، ومات على هذا الاعتقاد يدخل جنة الله مهما كان عليه من الذنوب، فبعض هؤلاء الذين يموتون على التوحيد إن كان عليهم ذنوب كثيرة، بعضهم يسامحهم الله ولا يعذبهم، والبعض يعذبهم ثم يخرجهم إلى الجنة، هذا مزية علم التوحيد، أما سائر العلوم علم الصلاة والصيام والحج والزكاة

(١) سورة محمد: جزء من الآية ١٩ .

(٢) انظر إشارات المرام للبياضي (ص/٢٨).

(٣) إشارات المرام للبياضي (ص/٢٩).

وغيرها من علوم الأحكام فليس له هذه المزية، فكم من أناس حفظوا القرءان ويكثرون الصلاة والصيام ماتوا من غير أن يعرفوا التوحيد على مذهب أهل السنة ماتوا وهم يعتقدون أن الله جسم، هؤلاء ما عرفوا الله ولا ينفعهم قول لا إلـه إلا الله باللفظ ولا حفظ القرءان، كل أعمالهم غير مقبولة عند الله قال الله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿١٨﴾﴾[1]، ذلك أن الإيمان بالله ورسوله على الوجه الصحيح شرط لقبول الأعمال الصالحة أي لصحتها ونيل ثوابها في الآخرة.

قال العلامة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي ما نصه: «فعلى العامي الملازم لطاعة الله تعالى والمداوم عليها، أن يتعلم ما لا بد له منه من العلم الذي لا يصح ولا تتم طاعته إلا به من العلوم الظاهرة: مثل أحكام الطهارة والصلاة والصيام وما في معنى ذلك. وعليه أيضًا أن يعرف من علوم الإيمان الاعتقادية ما يحصن به معتقده من العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله، والعلم باليوم الآخر من البعث والحشر والميزان، والصراط والجنة والنار، فيحصل من العلوم الإيمانية، والعلوم الإسلامية ما يصح به إيمانه وإسلامه، ويتمان ويكملان به، فذلك مقدم على اشتغاله بالعبادات ومواظبته عليها، فإن العلم كالأساس، والعبادة كالبنيان، وما لا أساس له لا ثبات له. وربما اشتغل المتعبد بطاعات وعبادات يستغرق بها أوقاته، ويتعب فيها نفسه وهو فيها غير محمود ولا مأجور، بل ربما كان ملومًا ومأزورًا إذا

(١) سورة إبراهيم: جزء من الآية ١٨ .

كان لم يعلم بما لا بد له من علمه في إقامة عباداته وصحتها، وكمالها من العلوم الإيمانية والإسلامية، فليكن المتعبد في نهاية الاعتناء بذلك والاهتمام به، والتفرغ له»[1] اهـ.

فهذا العلم علم التوحيد كان المسلمون في العصر الأول يعتنون به أكثر ممن بعدهم، أبو حنيفة رضي الله عنه مات سنة مائة وخمسين هجرية ومع ذلك ألف خمس رسائل في علم التوحيد وهي: الفقه الأكبر والفقه الأبسط والوصية والعالم والمتعلم ورسالة إلى عثمان البتي.

قال التفتازاني: «علم التوحيد الذي هو أساس الشرائع والأحكام ومقياس قواعد عقائد الإسلام أعز ما يرغب فيه ويعرج عليه، وأهم ما تناخ مطايا الطلب لديه، لكونه أوثق العلوم بنيانا وأصدقها تبيانا، وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا، وأصحها حجة ودليلا وأوضحها محجة وسبيلا، حاموا جميعا حول طلابه وراموا طريقا إلى جنابه، والتمسوا مصباحا على قبابه ومفتاحا إلى فتح بابه»[2] اهـ. بتصرف لطيف.

وقال الحافظ ابن الجوزي: «اعلم أن شرعنا مضبوط الأصول محروس القواعد لا خلل فيه ولا دخل وكذلك جميع الشرائع، إنما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين أو الجهال، مثل ما فعل النصارى حين رأوا إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام، فإنهم تأملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر، فنسبوا الفاعل إلى الإلهية، ولو تأملوا ذاته لعلموا أنها مركبة على النقائص والحاجات، وهذا القدر يكفي في عدم

(١) الدعوة التامة والتذكرة العامة (ص/ ٢٢٥).
(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (ص/ ٣).

صلاح الإلهية ويعلم حينئذ أن الذي جرى على يديه إنما هو فعل غيره»[1] اهـ.

فهذا العلم علم التوحيد كان المسلمون في العصر الأول يحتنون به أكثر ممن بعدهم، فألف الإمام أبو حنيفة رسائل في التوحيد[2]، من اطلع عليها يعرف منها عظيم حرصه رضي الله عنه في المنافحة عن العقيدة الحقة، وللشافعي كتابان في الكلام، أحدهما: في تصحيح النبوة والرد على البراهمة الذين ينكرون بعثة الأنبياء، والثاني: في الرد على أهل الأهواء. وذكر طرفا من هذا النوع في كتاب القياس[3].

وهذا الإمام مالك بن أنس يشدد في رواية الأخبار المتشابهة، قال ابن القاسم: سألت مالكًا عمّن حدّث بالحديث الذين قالوا: «إنّ الله خلق آدم على صورته»[4] والحديث الذي جاء: «**إنّ الله يكشف عن ساقه**»[5]، وأنّه: «**يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد**»[6]، فأنكر مالك ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يحدّث بها

(1) صيد الخاطر (ص/116).

(2) قال في هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (6/ 495): «من تصانيفه رسالته إلى عثمان البتي قاضي البصرة، الفقه الأكبر مشهور، وعليه شروح، كتاب الرد على القدرية، كتاب العالم والمتعلم» اهـ.

(3) أصول الدين للإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر التميمي البغدادي (ص/334) المسألة العاشرة في ترتيب أئمة الدين في علم الكلام.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (5873): كتاب الاستئذان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن حبان في مسنده (5605): كتاب الحظر الإباحة فصل في التعذيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9763): من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري في صحيحه (4635): كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(6) لم أجده إلا عند الطبراني في الأحاديث الطوال (36): حديث الصور، مع اختلاف في الألفاظ.

أحد»[١] اهـ. أي أمام من يخشى عليه أن يحملها على ظاهرها بل لا بد من بيان أنها ليست بأشكال ولا جوارح.

(وهو ما قاله سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «**حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله**»، والمراد بقوله: «بما يعرفون» أي: يفهمون، وفي رواية: «ودعوا ما ينكرون» أي: يشتبه عليهم فهمه. وفيه دليل على أنّ المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامّة. ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدّثًا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» وممّن كره التّحديث ببعضٍ دون بعض أحمد في الأحاديث الّتي ظاهرها الخروج على السّلطان، ومالك في أحاديث الصّفات، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوّي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب)[٢].

وهكذا مضى أهل العلم يعلمون طلابهم، ويزرعون فيهم الحرص على العقيدة الحقة التي بينها رسول الله ﷺ، فهو قد جاء بعقيدة واحدة لا لبس فيها ولا دخل، إلا أن الأهواء سرعان ما بدأت بالدخول على الناس لأسباب مختلفة.

قال أبو المظفر الأسفرايني: «لأهل السنة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين، منها ما هو مبسوط يكثر علمه، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه، في أعصار مختلفة، من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، في نصرة الدين، والرد على الملحدين، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين»[٣] اهـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ١٠٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٥٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٩٩): (باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموه)، بتصرف.

(٣) التبصير في الدين لأبي المظفر الأسفرايني (ص/ ١٩٢).

ثم شرع يعدد أئمة أعلاما اعتنوا بوضع تآليف في هذا المعنى الذي ذكره، وأسهب في ذلك، وقد اقتصرت هنا على الإشارة لذلك، وهذا يؤكد ما نبه إليه الشيخ الكوثري فيما مر بنا في التمهيد.

وجل مقصود أعلام الأمة هو أن يبينوا العقيدة التي بعث الله تعالى بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، على الوجه الصحيح الصافي، وأن يحصنوا الناس من شبه المبتدعة على اختلاف أصنافهم ومشاربهم، أعاذنا الله منهم.

وجوب تعلم الفقه الأكبر

قال الحافظ الكبير البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ما نصه: «(باب أول ما يجب على العاقل البالغ معرفته والإقرار به) قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ۝١٩﴾[١]، وقال له ولأمته: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٤﴾[٢]، وقال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ۝١٣٦﴾[٣] الآية، فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب»[٤] اهـ.

وروى الحافظ البيهقي والطبراني وابن ماجه عن جندبٍ قال: «**كنا غلمانا حزاورة**[٥] **مع رسول الله ﷺ فيعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم يعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان**»[٦]. قال الحافظ البوصيري عن هذا الحديث: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»[٧].

---

(١) سورة محمد: جزء من الآية ١٩ .

(٢) سورة هود: جزء من الآية ١٤ .

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٣٦ .

(٤) في كتابه الاعتقاد (ص/ ١٩).

(٥) قال في النهاية في غريب الحديث، باب الحاء مع الزاي، (٢/ ٢٩٠): حزاورة: هو جمع حَزْوَرٍ وحَزَوَّرٍ، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع.

(٦) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٠)، (٥٠٧٥)، جماع أبواب صلاة الإمام وصفة الأئمة، باب البيان أنه إنما قيل يؤمهم أقرؤهم، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٣)، (٦١)، باب في الإيمان، والمعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٥)، (١٦٧٩)، جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي.

(٧) انظر مصباح الزجاجة (١/ ١٢)، (٢٢)، كتاب اتباع السنة، باب في الإيمان.

ولذلك فأنا أؤكد هذا المعنى بهذه النقول الجليلة فتأملها:

- قال الشافعي رضي الله عنه: «سألت مالكا عن التوحيد فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، وقد قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[(١)] الحديث[(٢)] اهـ.

- قال الإمام الشافعي: «**أحكمنا ذاك قبل هذا**»[(٣)]، أي أتقنا علم التوحيد قبل فروع الفقه.

- وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: «**أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه**»[(٤)] اهـ.

- وقال الإمام الجنيد البغدادي: «**أول ما يحتاج إليه العبد من اعتقاد الحكمة معرفة المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه**»[(٥)] اهـ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٣)، (٣٨٥)، أبواب القبلة، باب فضل استقبال القبلة.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٩/ ٤٠)، خلال رسالة أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكيلاني الحلبي الأصل والتي أولها في (٩/ ٣٤).

(٣) تبيين كذب المفتري للحافظ الكبير ابن عساكر (ص/ ٣٤١)، ونصه: قال الحافظ البيهقي: وقرأت في كتاب أبي نعيم الأصبهاني حكاية عن الصاحب بن عباد أنه ذكر في كتابه بإسناده عن إسحاق أنه قال: قال أبي: كلم الشافعي يومًا بعض الفقهاء فدقق عليه وحقق وطالب وضيّ فقلت: يا أبا عبد الله هذا لأهل الكلام لا لأهل الحلال والحرام فقال: «**أحكمنا ذلك قبل هذا**» اهـ.

(٤) الدليل القويم على الصراط المستقيم لشيخنا الحافظ عبد الله بن محمد الهرري رحمات الله عليه (ص/ ٢٢).

(٥) الرسالة القشيرية (ص/ ٦).

- وقال أبو القاسم القشيري: «سمعت الأستاذ أبا علي يقول: «فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى، صاف عن الظنون والشبه، خال من الضلالة والبدع، صادر عن البراهين والحجج»[(١)] اهـ.

- وقال أبو حامد الغزالي: «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود»[(٢)] اهـ.

- وقال ما نصه: «اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظًا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا»[(٣)] اهـ.

- وقال الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: «المقصد الأول في بيان عقائد الإسلام وأصول الأحكام - أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى، وهي: أن تؤمن بأن الله تعالى موجود ليس بمعدوم. قديم ليس بحادث. باق لا يطرأ عليه العدم. مخالف للحوادث لا شىء يماثله. قائم بنفسه لا يحتاج إلى محل ولا مخصص. واحد لا مشارك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[(٤)] اهـ.

- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «العلم بالله ومعرفة ما يجب من حقه أعظم قدرا من مجرد العبادة البدنية»[(٥)] اهـ.

---

(١) الرسالة القشيرية (ص/ ٣١٣)، باب الوصية للمريدين.

(٢) الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم لشيخنا العبدري رحمه الله (ص/ ٩٠).

(٣) إحياء علوم الدين (ص/ ٢٧)، كتاب قواعد العقائد، في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

(٤) المقاصد (ص/ ١٠).

(٥) فتح الباري (٩/ ١٠٦)، كتاب النكاح.

- وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسيني: **«ويجب على كل مكلف شرعًا أن يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز، وما يستحيل وما يجوز، وكذا يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام»**(١) اهـ.

- وقال العلامة صالح عبد السميع الآبي الأزهري المالكي ما نصه: **«معرفة ما يجب لله عز وجل، وما يجوز وما يستحيل تستلزم معرفة مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام»**(٢) اهـ. يشرح كلام العلامة الأخضري: **«أول ما يجب على المكلف تصحيح إيمانه**، ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه، كأحكام الصلاة والطهارة والصيام» اهـ.

- وقال أحمد بن غنيم بن سالم النّفراويّ بلدًا، الأزهريّ موطنًا المالكيّ مذهبًا: **«من واجبِ أمور الدّيانات على كلّ مكلّفٍ** اعتقاد أنّه تعالى (لا شبيه له ولا نظير له) في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والنّظير بمعنى الشّبيه فهما لفظان مترادفان، وإنّما وجب تنزّهه عن الشّبيه، لأنّه تعالى لو أشبهه شيءٌ من المخلوقات لكان مشبهًا له، وجائزًا عليه الفناء الجائز على المخلوقات، ولزم كونه خالقًا ومخلوقًا وقديمًا وحادثًا وكلّ ذلك محالٌ، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾(٣) فأوّل هذه الآية تنزيهٌ، ففيه ردٌّ على المجسّمة وآخرها إثباتٌ، ففيه ردٌّ على المعطّلة النّافين لزيادة جميع

(١) متن السنوسية في علم التوحيد (ص/ ٢).
(٢) هداية المتعبد السالك في مذهب الإمام مالك شرح مختصر العلامة الأخضري المالكي (ص/ ١٢).
(٣) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .

الصّفات، وقدّم فيها النّفي على الإثبات، وإن كان الأولى العكس في أماكنَ كثيرةٍ، لأنّه لو قدّم الإثبات فيها لأوهم[١] التّشبيه بالمخلوق الّذي سمعه بأذنٍ وبصره بحدقةٍ، فقدّم التّنزيه ليعرف السّامع ابتداءً أنّه ليس مشابهًا لشىءٍ من الحوادث، وهذه الآية دليلٌ قاطعٌ على مخالفته تعالى لسائر الحوادث، وهي أقمع آيةٍ للشّيطان عند تعرّضه للإنسان في مقام البحث عن ذات البارئ وصفاته»[٢] اهـ.

وقال: «مما يجب اعتقاده أنّه (لا يبلغ) أي لا يدرك (كنه) أي حقيقة (صفته) تعالى (الواصفون) أي العارفون بطريق معرفة الصّفات، والصّفة لا بقيدٍ صفة الله تعالى هي المعنى القائم بالموصوف، وتفسير الكنه بالحقيقة هو الظّاهر»[٣] اهـ.

- قال الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كفاية الغلام في أركان الإسلام:

«معرفة الله عليك تفترض بأنه لا جوهر ولا عرض
وليس يحويه مكان لا ولا تدركه العقول جل وعلا
لا ذاته يشبه الذوات ولا حكت صفاته الصفات»[٤]

---

(١) الإيهام ويقال له التخييل أيضًا، وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وغريب، فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم الغريب، وأكثر المتشابهات من هذا الجنس، ومنه قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۝٦٧﴾ [سورة الزمر]، انظر التعريفات للجرجاني (ص٦)، والمراد بقدرته.

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٠)، باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة.

(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٢).

(٤) حكت أي شابهت.

- قال العلامة أبو محمد عبد الواحد بن عاشر ما نصه:

«أول واجب على من كلفا الله ممكنًا من نظر أن يعرفا
والرسل بالصفات مما عليه نصب الآيات»[١]

- قال العلامة محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين ما نصه: «(اتفق الفقهاء) أي المجتهدون (على فرضية علم الحال) أي العلم بحكم ما يحتاج إليه في وقت احتياجه إليه، قال في التتارخانية: اختلف الناس في أي علم طلبه فرض فحكى أقوالًا، ثم قال: والذي ينبغي أن يقطع بأنه المراد هو العلم بما كلف الله تعالى عباده، فإذا بلغ الإنسان يجب عليه معرفة الله تعالى بصفاته بالنظر والاستدلال وتعلم كلمتي الشهادة مع فهم معناهما، ثم إن عاش إلى الظهر يجب تعلم الطهارة ثم تعلم الصلاة وهلم جرًا، فإن عاش إلى رمضان يجب تعلم علم الصوم، فإن استفاد مالًا تعلم علم الزكاة والحج إن استطاعه وعاش إلى أشهره، وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال المفروضة عينًا»[٢] اهـ.

الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة:

قال الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم: «وذكر بعض العلماء أنّ ابن الجوزيّ جلس يومًا على كرسيّ وعظه يقرّر في تفسير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[٣] فوقف رجلٌ على رأسه، وقال له: فما يفعل ربّك الآن؟ فسكت وبات مهمومًا، فرأى المصطفى ﷺ

(١) متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين (ص/ ٤).
(٢) منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض (ص/ ٢١).
(٣) سورة الرحمٰن: جزء من الآية ٢٩ .

فسأله فقال له: إنّ السّائل هو الخضر وإنّه سيعود إليك فقل له: شؤونٌ يبديها ولا يبتديها يخفض أقوامًا ويرفع آخرين، فأتاه فأجابه، فقال له: صلّ على من علّمك.

وذكر صاحب الكشّاف في تفسيره أنّ عبد الله بن طاهرٍ سأل الحسين بن الفضل، وقال له: أشكل عليّ قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ وقد صحّ أنّ القلم جفّ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فقال الحسين في الجواب: إنّ معنى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ شؤونٌ يبديها أي يظهرها لا شؤونٌ يبتديها أي يقدّرها أي لأنّ التّقدير في سابق علمه، فقام عبد الله وقبّل رأسه»[1] اهـ.

وإنما قدمت هذا النقل لإظهار أهمية هذا المعنى... وهذا من جهة ولا تخفى الحاجة لتفهم المعاني للإجابة عند الحاجة... فكيف إذا وقعت الفتن:

قال الشيخ تقي الدين الحصني عند كلامه على حديث الفتن التي تموج موج البحر ما نصه: «والفتن كل أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء، وأصله في اللغة الاختبار، وشبهت بموج البحر لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدة عظمها وشيوعها، وقوله: تعرض الفتن على القلوب أي تلصق بعرض القلوب أي بجانبها، كالحصير تلصق بجنب النائم وتؤثر فيه لشدة التصاقها، وهذا شأن المشبهة تلصق فتنة التشبيه في قلوبهم ويزينها لهم الشيطان فيرونها حسنة فيهلكون، حتى يعتقدوا ذلك دينا وقربانا من الله عز وجل، وما يقنع أحدهم حتى يبقى داعية وحريصا على إفتان من يقدر على إفتانه كما هو مشاهد منهم، وإلى مثل ذلك قوله: (أشربها) أي دخلت فيه دخولا

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٣).

تاما وألزمها وحلت منه محل الشراب، ومنه قوله تعالى ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴿٩٣﴾﴾[١] أي حبه»[٢] اهـ.

ثم تكلم عن الملحد المنجم المغيرة بن سعيد الذي طارت فتنته وافترى على الله ورسوله وعلى الصحابة وعلى أهل البيت إضافة لخبائث أخر، إلى أن قال: «فلما كان في السنة التاسعة عشرة والمائة ظفر به خالد بن عبد الله القسري فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه، فهذا شأن أهل الزيغ، واستمر الأمر على ذلك إلا أنهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار الانكباب على سماع الحديث، ويكثرون من ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على الناس العوام.

ثم كثرت المقالات في زمن الإمام أحمد، وكثر القصاص وتوجع هو وابن عيينة وغيرهما منهم، وكان الإمام أحمد يقول: «كنت أود لو كان قصاصا صادقا نصوحا طيب السريرة»، ونبغ في زمنه محمد بن كرام السجستاني، وترافق مع الإمام أحمد، وأظهر حسن الطريقة حتى وثقه هو وابن عيينة، وسمع الحديث الكثير ووقف على التفاسير وأظهر التقشف مع العفة ولين الجانب، وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، ثم أخذ حانوتا يبيع فيه لبنا، واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويعظ ويذكر ويحدث ويتخشع حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظه وبزهده حتى حصر من تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفا، وكان من غلاة المشبهة وصار يلقي على العوام الآيات المتشابهة والأخبار

---

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٩٣ .

(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٢٥).

التي ظواهرها يوافق عقول بعض العوام وما ألفوه، ففطن الحذاق من العلماء فأخذوه ووضعوه في السجن، فلبث في سجن نيسابور ثماني سنين، ثم لم يزل أتباعه يسعون فيه حتى خرج من السجن، وارتحل إلى الشام ومات بها في زعر، ولم يعلم به إلا خاصة من أصحابه فحملوه ودفنوه في القدس الشريف، وكان أتباعه في القدس أكثر من عشرين ألفا على التعبد والتقشف، وقد زين لهم الشيطان ما هم عليه، وهم من الهالكين وهم لا يشعرون، واستمر على ما هم عليه خلق، شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا، قال الله تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[1]، قال سعيد بن جبير: هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء والبدع، المعنى أنه ركض في ميادين الباطل وهو يظنها حقا، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عند هذه الآية: إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها»[2] اهـ.

ثم تكلم في صفات أهل البدع فذكر أمورا إلى أن قال: «ومنها أن يتعرض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار ويجمعها ويسردها، ويكرر الآية والخبر مرارا لأنه يوقع العامي فيما اعتاده وألفه، فيجري صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه ويزينه الشيطان له بغروره. . . فمن أراد الله به خيرا حماه من مجالسة هؤلاء لأن القلب سريع الانقلاب وقبول الرخص والشبه، فإذا علقت به الشبهة والريبة فبعيد أن يرتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فيه، وأقل ما ينال القلب

(١) سورة فاطر: جزء من الآية ٨ .
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (ص٢٦ - ٢٧).

التردد والحيرة، وذلك عين الفتنة ومراد الشيطان، فإن كان الذي دخلت قلبه الشبهة عاميا، والمبتدع أدخلها عليه بقال الله عز وجل وقال رسول الله ﷺ فبعيد أن يرجع وتنقشع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة، لتحكم الشبهة بالدليل (أي التلبيس)، وهذا من الهالكين إلا أن يتداركه الله برحمته، لأن عمدة الناس الكتاب والسنة والهلكة الجهلة يفهمونهما على غير المراد منهما على الوجه المرضي، فمن حق العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه وسمعه عن خزايا خزعبلات المبتدعة وتزويق كلامهم، وأن لا يغتر بتقشفهم وكثرة تعبدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم، فإن ذلك من أقوى حبائلهم التي يصطادون بها، وبها تتشرب القلوب لبدعتهم لا سيما من قلبه مشغوف بحب الدنيا»[١] اهـ.

[وهذا يوضح سبب قلة ما نقل عن أصحاب رسول الله ﷺ حيث لم يعرف عنهم كثرة المناظرة في علم التوحيد لأن مثلهم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلم يحتاجوا لإبراز السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا، ويستطيلون علينا لشيوع بدعتهم ونصرة من يقويهم بالمال وغيره، فلا يسعنا أن لا نعلم بإقامة البراهين اليقينية من المخطئ منا ومن المصيب، وأن لا نذب ونمنع المخالفين بإقامة الحجج عليهم وإبطال نحلهم لأنهم استطالوا على أنفسنا وحرمنا باستحلال الدماء، فقد ابتلينا بمن يقاتلنا من أهل الأهواء بإظهار الشبه والإغراء الذي هو القتال المعنوي، فلا بد لنا في دفعهم وإزالة شبههم بإقامة الحجج الساطعة والبراهين

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص٣٠ - ٣١)، بتصرف.

القاطعة التي في معنى السلاح، وفي ذلك إشارة إلى أن البحث في هذا العلم والمحاجة لرد المغرر بهم إلى الجادة صارت من الفروض على الكفاية دون البدع المنهية، وفيه إشارة أيضا إلى أن ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم[١]، حيث حمل على العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، المقاتلين مقاتلة معنوية.

مع أن الرجل إذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه، لأنه لا بد للقلب أن يكره أحد الأمرين أو الأمرين جميعا، فأما أن يحبهما جميعا وهما مختلفان فهذا لا يكون.

قال مشايخنا رحمهم الله تعالى تعليم صفة الإيمان للناس وبيان خصائل أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وألف السلف فيها تآليف كثيرة، وأشار إليه بقوله: إذا مال إلى الحق وعرف أهله كان لهم وليا.

وإذا لم تعرف المخطئ من المصيب لا يضرك في خصلة، ويضرك بعد في خصال غير واحدة، فأما الخصلة التي لا تضرك فإنها أنك لا تؤاخذ بعمل المخطئ، وأما الخصال التي تضرك مع اتصافك بحال المخطئ فواحدة منها: اسم الجهالة فيما يجب عليك معرفة حقيقته من الاعتقاديات لوقوعه عليك لأنك لا تعرف الخطأ من الصواب، وعسى أن ينزل بك من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٦٧)، (٦٨٨١)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» وهم أهل العلم، ومسلم في صحيحه: (٣/ ١٥٢٤)، (١٩٢٣)، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم».

الشبهة ما نزل بغيرك ممن تشبث بها من أهل الأهواء ولا تدري ما المخرج والمخلص منها، لأنك لا تدري ولا تستيقن لعدم جزمك بخطأ المخالف أمصيب أنت أم مخطئ في الخلافيات الاعتقادية فلا تنزع ولا تتخلص عن الشبهة التي يوردها المخالفون على أهل الحق، مما يذكرونه لإثبات مذهبهم فإنها شبهة[١] في الأمر نفسه وإن كانت دليلا عندهم][٢].

قال أبو حامد الغزالي: «والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها (مراده عقيدة أهل السنة والتي لخصها في إحياء علوم الدين)، إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم، وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة، كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب، وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر، إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة»[٣] اهـ.

وقال في الاقتصاد في الاعتقاد: «التمهيد الثالث في بيان الاشتغال بهذا العلم من فروض الكفايات: اعلم أن التبحر في هذا العلم والاشتغال بمجامعه ليس من فروض الأعيان وهو من

---

(١) الشبهة الظن المشتبه بالعلم ذكره أبو لابقاء، وقال بعضهم: الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب، انظر التعاريف (ص/٤٢٢). وقال في مختار الصحاح (ص/٣٥٤): والشُّبّهةُ الالتباس والمُشْتَبِهاتُ من الأمور المشكلات والمُتَشَابِهاتُ المتماثلات.

(٢) بتصرف واختصار من إشارات المرام للبياضي (٣٢ - ٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (١/٩٧)، كتاب قواعد العقائد، الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

فروض الكفايات... إذ تبين أنه ليس يجب على كافة الخلق إلا التصديق الجازم، وتطهير القلب عن الريب والشك في الإيمان. وإنما تصير إزالة الشك فرض عين في حق من اعتراه الشك.

فإن قلت: فلم صار من فروض الكفايات وقد ذكرت أن أكثر الفرق يضرهم ذلك ولا ينفعهم؟

فاعلم أنه قد سبق أن إزالة الشكوك في أصول العقائد واجبة، واعتوار الشك غير مستحيل وإن كان لا يقع إلا في الأقل، ثم الدعوة إلى الحق بالبرهان مهمة في الدين.

ثم لا يبعد أن يثور مبتدع ويتصدى لإغواء أهل الحق بإفاضة الشبهة فيهم فلا بد ممن يقاوم شبهته بالكشف ويعارض إغواءه بالتقبيح، ولا يمكن ذلك إلا بهذا العلم.

ولا تنفك البلاد عن أمثال هذه الوقائع، فوجب أن يكون في كل قطر من الأقطار، وصقع من الأصقاع قائم بالحق مشتغل بهذا العلم يقاوم دعاة المبتدعة، ويستميل المائلين عن الحق ويصفي قلوب أهل السنة عن عوارض الشبهة، فلو خلا عنه القطر حرج به أهل القطر كافة، كما لو خلا عن الطبيب والفقيه»[١] اهـ. بتصرف.

وفي الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ما نصه: «**والذي صرح به أئمتنا أنه يجب على كل أحد وجوبا عينيا أن يعرف صحيح الاعتقاد من فاسده**، ولا يشترط فيه علمه بقوانين أهل

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص/٣٣)، التمهيد الثالث في بيان الاشتغال بهذا العلم من فروض الكفايات.

الكلام لأن المدار على الاعتقاد الجازم ولو بالتقليد على الأصح. وأما تعليم الحجج الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام أو آلاته فيجب عينا على من تأهل لذلك تعلمه للرد على المخالفين»[1] اهـ.

والناظر في واقعنا اليوم يعلم بما لا يتطرق إليه شك أو تردد أهمية القيام بهذا الواجب بهمة عالية مع النية الخالصة الصادقة، وهو حري بأهل السنة والجماعة الذين أخلصوا معنى التوحيد ولم يشركوا بالله شيئا، ليقع تأثر العوام بكلامهم فإن خير ما يستعان به على نشر كلمة الإخلاص لإخلاص والحكمة والموعظة الحسنة.

ولا يخفى أن الحكمة في علاج من وقع في بلية التشبيه شيء مطلوب، ولذلك أؤكد هذا المعنى من كلام بعض الأعلام:

قال الحافظ ابن الجوزي: «التلطف في محادثة العوام: من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله قلوبهم أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده، مثاله أن قوما قد رسخ في قلوبهم التشبيه وأن ذات الخالق سبحانه ملاصقة للعرش وهي بقدر العرش ويفضل من العرش أربعة أصابع، وسمعوا مثل هذا من أشياخهم، وثبت عندهم أنه إذا نزل وانتقل إلى السماء الدنيا فخلت منه ست سموات.

فإذا دعى أحدهم إلى التنـزيه وقيل له: ليس كما خطر لك

(١) الفتاوى الحديثية (ص/٢٠٧).

إنما ينبغي أن تمر الأحاديث كما جاءت من غير مساكنة ما توهمته، صعُب هذا عليه لوجهين:

أحدهما: لغلبة الحس عليه والحس على العوام أغلب.

والثاني: لما قد سمعه من ذلك من الأشياخ الذين كانوا أجهل منه.

فالمخاطب لهذا مخاطر بنفسه، ولقد بلغني عن بعض من كان يتدين ممن قد رسخ في قلبه التشبيه أنه سمع من بعض العلماء شيئا من التنزيه فقال: والله لو قدرت عليه لقتلته.

فالله الله أن تحدث مخلوقا من العوام بما لا يحتمله دون احتيال[1] وتلطف، فإنه لا يزول ما في نفسه ويخاطر المحدث له بنفسه فكذلك كل ما يتعلق بالأصول»[2] اهـ.

وقال أبو حامد الغزالي: «وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب، وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث، الممزوج بفن من الوعظ والتحذير، فإن ذلك أنفع من الجدال الموضوع على شرط المتكلمين، إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده...، إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام، واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد، وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله

(١) قال القونوي في أنيس الفقهاء (ص/٣٠٤): «الحيل جمع حيلة وهي ما يتلطف به لدفع المكروه أو لجلب المحبوب أي يترفق به» اهـ.

(٢) صيد الخاطر (ص/٤٢٧).

فيعود إلى اعتقاد الحق، وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه، وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة، فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم» اهـ.

. . . إلى أن قال: «فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى، وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات، كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم، فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم، فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه، فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم»[١] اهـ.

---

(١) إحياء علوم الدين (١/٩٨)، كتاب قواعد العقائد، الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

وقد ظهرت الحاجة اليوم مع ظهور بدعة المشبهة المغلفة بنوع حيلة لإيصال بدعتهم إلى العوام بشتى الوسائل المتقدمة اليوم، وصارت الحاجة ملحة لوجود عدد ممن يتقن الرد على أهل الزيغ والبدع خاصة مع انتشارهم في المساجد والمجتمع والجامعات وعبر الانترنت والفضائيات حتى غلبوا عليها، حيث يلبسون على الجاهل وحتى على من تلقى في الجامعات قدرا ما من علم العقيدة خاصة أمام التلبيس الحاصل من خلال بعض القائمين على التدريس والمشهورين إما بسبب تقصيرهم أو بسبب تواطؤهم مع مشبهة العصر، وهذا يتطلب شرحا واستفاضة لكن المجال لا يسع له هنا. ومن ادعى أن الأمر ليس على ما نصف فهو مكابرة لما في ذلك من الدلالة على بعده عن التبصر بأحوال زمانه وضعف غيرته على الدين والله حسيب من قصّر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال في الاقتصاد في الاعتقاد: «اعلم أن الأدلة التي نحررها في هذا العلم تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها مرض القلوب، والطبيب المستعمل لها إن لم يكن حاذقًا ثاقب العقل رصين الرأي كان ما يفسده بدوائه أكثر مما يصلحه»[١].

ثم عدّ أصناف فرق العوام إلى أن قال: «الفرقة الثالثة: طائفة اعتقدوا الحق تقليدًا وسماعًا ولكن خصوا في الفطرة بذكاء وفطنة فتنبهوا من أنفسهم لإشكالات تشككهم في عقائدهم وزلزلت عليهم طمأنينتهم، أو قرع سمعهم شبهة من الشبهات وحاكت في صدورهم. فهؤلاء يجب التلطف بهم في معالجتهم بإعادة طمأنينتهم وإماطة شكوكهم بما أمكن من

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص/٢٩)، التمهيد الثاني في بيان الخوض في هذا العلم.

الكلام المقنع المقبول عندهم، ولو بمجرد استبعاد وتقبيح أو تلاوة آية أو رواية حديث أو نقل كلام من شخص مشهور عندهم بالفضل.

فإذا زال شكه بذلك القدر فلا ينبغي أن يشافه بالأدلة المحررة على مراسم الجدال، فإن ذلك ربما يفتح عليه أبوابًا أخر من الإشكالات. فإن كان ذكيًا فطنًا لم يقنعه إلا كلام يسير على محك التحقيق...

الفرقة الرابعة: طائفة من أهل الضلال يتفرس فيهم مخائل الذكاء والفطنة ويتوقع منهم قبول الحق بما اعتراهم في عقائدهم من الريبة أو بما يلين قلوبهم لقبول التشكيك بالجبلة والفطرة، فهؤلاء يجب التلطف بهم في استمالتهم إلى الحق وإرشادهم إلى الاعتقاد الصحيح لا في معرض المحاجة والتعصب، فإن ذلك يزيد في دواعي الضلال ويهيج بواعث التمادي والإصرار. وأكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق أظهروا الحق في معرض التحري والادلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والإزراء. فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في نفوسهم الاعتقادات الباطلة وعسر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نظروا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة. ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد والتعصب للأهواء لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقرًا في قلب مجنون فضلًا عمن له قلب عاقل. والمجادلة والمعاندة داء محض لا دواء له، فليتحرز المتدين

منه جهده وليترك الحقد والضغينة وينظر إلى كافة خلق الله بعين الرحمة، وليستعن بالرفق واللطف في إرشاد من ضل من هذه الأمة، وليتحفظ من النكد الذي يحرك داعية الضلال، وليتحقق أن مهيج داعية الإصرار بالعناد والتعصب معين على الإصرار على البدعة»[(١)] اهـ. بتصرف واختصار.

وهو ما نحتاجه اليوم في بيان الحق وإخراج من وقع في ورطة التشبيه وما يتبعها من لوث وفساد وتزييف أو قل تحريف ودس خطير، وهذا البيان لأصول العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة على ما قرره علماء أهل السنة والجماعة شيء حسن ممدوح، أي على ما يوافق ما جاء في القرآن والحديث وسلف الأُمّة، وهو من المهمّات لكي يميز الإنسان بين عقيدة أهل السنة وأهل البِدع، وذلك لأن أهل البدع موجودون في هذه الأمّة بلا تردد أو شك.

فكيف إذا سمع المسلم ما ورد في فتاوى الرملي: «سئل عن فرق ممن يسمون المسلمين غير أهل السّنّة من المعتزلة والجبريّة وغيرهما هل يعاقبون على عقائدهم المخالفين فيها أهل السّنّة أم لا؟

فأجاب: بأنّه يترتّب العقاب على فرق الإسلام غير أهل السّنّة الاثنتين وسبعين فرقةً بسبب عقائدهم المخالفة لعقيدة أهل السّنّة لقوله ﷺ: **«ستفترق أمّتي ثلاثًا وسبعين فرقةً كلّها في النّار إلا واحدةً وهي ما أنا عليه وأصحابي»**[(٢)]، وكان ذلك من

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص/ ٣٠ - ٣١) التمهيد الثاني في بيان الخوض في هذا العلم.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٨)، (٢٠٦٩٠)، كتاب الشهادات،=

معجزاته حيث وقع ما أخبر به.

قال الآمديّ: وكان المسلمون عند وفاة النّبيّ ﷺ على عقيدةٍ واحدةٍ وطريقةٍ واحدةٍ إلا من كان يبطن النّفاق ويظهر الإسلام، ولم يزل الخلاف يتشعّب والآراء تتفرّق حتّى تفرّق أهل الإسلام، وأرباب المقالات إلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً»[١] اهـ.

وسواد الأُمّة على مذهب أهل السنه والجماعة نصرهم الله، لكنّ الذي لا يتعلم علم الدين يُخشى عليه أن يدخل إلى قلبه بِدع من عقائد أهل البِدع، يشوّش عليه بعضهم اعتقاده فإذا لم يكن تعلّم يكون ضعيفًا أمامهم، قد يأخذ بكلامه فيضل والعياذ بالله تعالى.

وقد وصف رسول الله عليه الصلاة والسلام أهل البدع بقوله: «**تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبِهِ لا يبقى منه عِرقٌ ولا مِفصَلٌ إلا دخله**»[٢] معنى هذا أنّ هذه البِدع تتمكن منه فيصير حالهم كحال الكلب الذي أصابه مرض الكلَب فتمكّن منه لا يبقى فيه عِرق ولا مفصل إلا ويدخل هذا

= باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء والحاكم في المستدرك (٤/٤٧٧)، (٨٣٢٥)، كتاب الفتن والملاحم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) فتاوى العلامة شمس الدين محمد الرملي بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (٤/٢٤٦ - ٢٤٧)، طبعة دار الفكر.

(٢) قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٨٨): «وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ويخرج في أمتي أقوام تتجارى تلك الأهواء بهم كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**» اهـ. رواه الحاكم في المستدرك (١/٢١٨)، (٤٤٣)، كتاب العلم، فصل في توفير العالم، وقال: هذه أسانيد تقام به الحجة في تصحيح هذا الحديث.

المرض فيه فيصيرون مولعين بهذه البِدع ومولعين بذكرها، هذا مرض شديد[١].

وقال صاحب بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية: « (في تصحيح الاعتقاد وتطبيقه لمذهب أهل السّنّة) أي أصحاب سنّة رسول الله أي التّمسّك بها (والجماعة) أي جماعة رسول الله وهم الأصحاب والتّابعون وهم الفرقة النّاجية المشار إليها في قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم «**ستفترق أمّتي ثلاثًا وسبعين فرقةً كلّها في النّار إلا واحدةً، قيل: ومن هم قال الّذين هم على ما أنا عليه وأصحابي**».

قال العلامة العضد: الفرقة النّاجية وهم الأشاعرة، لعلّ مراده إمّا تغليب أو عموم مجازٍ أو ادّعاء اتّحادهم مع الماتريديّة الّذين تابعوا في الأصول كالحنفيّة إلى علم الهدى الشّيخ أبي

(١) قال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح، باب الاعتصام بالكتاب والسنة (١/ ٣٩٧): (وإنه سيخرج) وفي المصابيح: وزاد في رواية: «وإنه سيخرج» أي يظهر (في أمتي) وفي نسخة: «من أمتي» (أقوام) أي جماعات (تتجارى) بالتاءين، أي تدخل وتجري وتسري (بهم) أي في مفاصلهم (تلك الهواء) جمع هوى وهو ميل النفس إلى ما تشتهيهُ والمراد هنا البدعة فوضعها موضعها وضعًا للسبب موضع المسبب لأن هوى الرجل هو الذي يحمله على إبداع الرأي الفاسد أو العمل به وذكر الهواء بصيغة الجمع تنبيهًا على اختلاف أنواع الهوى وأصناف البدع يقال: تجاروا في الحديث إذا جرى كل منهم مع صاحبه. (كما يتجارى الكلب) بفتحتينُ داء مخوف يحصل من عض الكلب المجنون ويتفرق أثره (بصاحبه) أي مع صاحبه إلى جميع أعضائهُ أي مثل جري الكلب في العروق (لا يبقى منه عرق) بكسر العين (ولا مفصل إلا دخله) فكذلك تدخل البدع فيهم وتؤثر في أعضائهمُ قيل: الكلب داء يعرض للإنسان من عضة الكلب الكَلِب، أي المكلوب وهو المجنون فيصيبه شبه الجنون ولا يعض المجنون أحدًا إلا كلِب، أي جن ويعرض له أعراض رديئة تشبه الماليخوليا مهلكة غالبًا ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا، وأجمعت العرب أن دواءه قطرة من دم يخلط بماء فيسقاه» اهـ.

منصورٍ الماتريديّ، وجه كونهم فرقةً ناجيةً التزامهم كمال متابعة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأصحابه في معتقداتهم بلا تجاوزٍ عن ظاهر نصٍّ بلا ضرورةٍ ولا استرسالٍ إلى عقلٍ خلافًا لمخالفيهم، كما ذكره العلامة الدّوانيّ. وفي أوائل كتاب الاستحسان من التتارخانية عن المضمرات روي عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه أنّه قال: «المؤمن إذا أحبّ السّنّة والجماعة استجاب الله تعالى دعاءه وقضى حوائجه وغفر له الذّنوب وكتب الله تعالى له براءةً من النّار وبراءةً من النّفاق» اهـ.

النهي عن التفكر بذات الله

قال الصحابي الجليل ترجمان القرءان ابن عباس رضي الله عنه: «تفكروا في كل شىء، ولا تفكروا في ذات الله عز وجل»[١] رواه الحافظ البيهقي بإسناد صحيح، وهو موافق للحديث الذي رواه الدارقطني وابن كثير وغيرهما[٢] عن النبي

---

(١) الأسماء والصفات للحافظ البيهقي (٢/ ١٦٢).

(٢) رواه الحافظ في فتح الباري (١٣/ ٣٨٣)، وقال: «وحديث ابن عباس «تفكروا في كل شىء ولا تفكروا في ذات الله» موقوف وسنده جيد». وقال السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٦٢): أخرج الدارقطني في الأفراد، والبغوي في تفسيره عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: «**وأن إلى ربك المنتهى**» قال: «لا فكرة في الرب» وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن سفيان الثوري في قوله وأن إلى ربك المنتهى قال: «لا فكرة في الرب». وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ على قوم يتفكرون في الله فقال: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لن تقدرونه». وأخرج أبو الشيخ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا»، وأخرج أبو الشيخ عن يونس بن مسيرة قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يذكرون عظمة الله تعالى فقال: «ما كنتم تذكرون؟» قالوا: كنا نتفكر في عظمة الله تعالى فقال رسول الله ﷺ: «ألا في الله فلا تفكروا ثلاثًا ألا فتفكروا في عظم ما خلق ثلاثًا» اهـ.

ﷺ: «لا فكرة في الرب»[١]، ومعناه أن الله تعالى لا يدركه الوهم.

والوهم ما يتخيله الإنسان مما لا يشهد له العقل ولا عبرة به، فيحكم على ما لم يشاهده بحكم ما شاهده فيها، والتخلص من غلط الوهم عزيز يختص به الآحاد[٢]، والمعنى أن الله تعالى لا يدركه الوهم، فالله لا تبلغه أوهام الخلائق أي تصوراتهم لأن الإنسان وهمه يدور حول ما ألفه من الشيء المحسوس الذي له حد وشكل ولون، والله تعالى ليس كذلك، لذلك نهينا عن التفكر في ذات الله، وأمرنا بالتفكر في مخلوقاته لأن التفكر في مخلوقاته يقوي اليقين[٣].

قال أبو بكر الباقلاني في مسألة وجوب التفكر في مخلوقات الله لا في ذات الله: «وإذا صح وجوب النظر فالواجب على المكلف النظر والتفكر في مخلوقات الله، لا في ذات الله، والدليل عليه قوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤] ولم يقل: في الخالق، وأيضًا قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[٥] فالنظر والتفكر والتكييف يكون في المخلوقات، لا في الخالق... وموسى عليه السلام لما سأله اللعين فرعون عن ذات الله، أجابه بأن مصنوعاته تدل

(١) رواه المقدسي في أطراف الغرائب والأفراد (١/ ٣٩٧)، (٦١٥)، وفي كنز الأعمال (٣/ ٢٧٨)، (٨٤٩١)، كتاب الأخلاق من قسم الأفعال، التفكير.

(٢) انظر تشنيف المسامع للإمام الزركشي (٤/ ٨٨١).

(٣) انظر الشرح القويم على الصراط المستقيم للحافظ الكبير الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله (ص/ ١٠٦).

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٩١ .

(٥) سورة الغاشية: ١٧ .

على أنه إلٰه ورب قادر، لا إلٰه سواه، إذا نظر فيها وتأمل ولم يحدد له الذات فلا يكيفها؛ لأنه لما قال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[2] إلى أن كرر عليه السؤال وأجابه بمثل الأول، إلى آخر الآيات كلها، فمهما سأله عن الذات أجابه بالنظر في المصنوعات التي تدل على معرفته.

وقيل: سئل بعض أهل التحقيق عن الله عز وجل: ما هو؟ فقال: إلٰه واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر، فقيل له: أين هو؟ فقال: بالمرصاد. فقال السائل: ليس عن هذا أسألك؟ فقال: الذي أجبتك به هو صفة الحق، فأما غيره فصفة الخلق.

أراد بذلك أن يسأله عن التكييف، والتحديد، والتمثيل، وذلك صفة المخلوق لا صفة الخالق، ولأن المتفكر إذا تفكر في خلق السموات والأرض وخلق نفسه وعجائب صنع ربه، أداه ذلك إلى صريح التوحيد، لأنه يعلم بذلك أنه لا بد لهذه المصنوعات من صانع، قادر، عليم، حكيم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3].

وقال: «مسألة بيان أن العالم محدث: ويجب أن يعلم أن العالم محدث، وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، والدليل على حدوثه تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثًا، . . . وكذلك

---

(١) سورة الشعراء: جزء من الآية ٢٣ .
(٢) سورة الشعراء: جزء من الآية ٢٤ .
(٣) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .

الخليل عليه السلام[١]، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة، لأنه لما رأى الكوكب قال: هذا ربي، إلى آخر الآيات فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت على أنها محدثة مفطورة مخلوقة، وأن لها خالقًا، فقال عند ذلك وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض»[٢] اهـ.

وسئل الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله فقال: «**حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحد، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه على لسان نبيه ﷺ**»[٣] اهـ.

لأن الوهم يدرك الأشياء التي ألفها أو هي من جنس ما ألفه كالإنسان والضوء والريح والظل، والأشياء الحادثة لو لم يرها الإنسان كالجنة إذا ذكرت لنا يمكننا أن نتصورها في أوهامنا فنصادف الحقيقة في بعض الصفات، ونخطئ في بعض الصفات، أما الله فلا تدركه تصورات العباد وأوهامهم، وهو ما روي من قول الصحابي أبي بن كعب رضي الله عنه في

(١) وذلك في إقامة الحجة على قومه لا أنه كان صلوات الله وسلامه عليه تائهًا شاكًا كما هلك في هذا الوهم بعض الناس وكان عليهم أن يردوا ذلك إلى المحكم كقول الله فيه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [سورة ءال عمران].

(٢) في الإنصاف (ص/ ٤١ - ٤٣).

(٣) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٩/ ٤٥)، خلال رسالة أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابي الحلبي الأصل والتي أولها في (٩/ ٣٤).

تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾[١]، إليه ينتهي فكر من تفكر. رواه أبو القاسم الأنصاري في شرح الإرشاد[٢].

قال القرطبي: «قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا، حتى يقول له من خلق ربك فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»

ولقد أحسن من قال:

ولا تفكرن في ذي العلا عز وجهه فإنك تردى إن فعلت وتخذل
ودونك مصنوعاته فاعتبر بها وقل مثل ما قال الخليل المبجلُ»[٣]

ومعناه أن حقيقة الله لا يصل إليه أحد مهما شغل فكره، فلذلك نهينا عن التفكر في ذات الله أي إعمال الفكر لتوهمه وتخيله، بل ذلك محرّم ممنوع لأنك لا تصل إلى نتيجة لأنه موجود لا كالموجودات وأمرنا بالتفكر في مخلوقاته. وذلك لأن كل ما تتصوره ببالك فهو مخلوق والخالق لا يشبه مخلوقه، كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد»[٤] اهـ.

---

(١) سورة النجم: ٤٢ .

(٢) كما نقله شيخنا الحافظ العبدري رحمه الله في الدليل القويم على الصراط المستقيم (ص/ ١١٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١١٥).

(٤) ذكره ملا علي القاري في شرحه للفقه الأكبر، أي أن الإنسان إذا عرف الله بأنه موجود لا كالموجودات واعتقد أنه لا يمكن تصويره في النفس واقتصر على هذا واعترف بالعجز عن إدراكه أي عن معرفة حقيقته ولم يبحث عن ذات الله للوصول إلى حقيقته تعالى فهذا إيمان، هذا يقال عنه سلم من التشبيه والتعطيل، أما الذي لا يكتفي بهذا العجز فيتصوره كالإنسان أو ككتلة نورانية أو نحو ذلك فهذا كفر.

أي لا يمكن تصوير الله في النفس لأن من لا مثل له لا يتمثل في النفس.

لذلك نهى السلف عن التفكر في ذات الله تعالى للوصول إلى حقيقته، لأنه لا يعلم الله على الحقيقة إلا الله، إنما معرفتنا بالله هي بمعرفة ما يجب له تعالى وما يستحيل في حقه وما يجوز في حقه. وكل من يتفكر في ذاته تعالى فيتخيل بخياله صورة أو يتوهمها بوهمه ويعتقد أن ما تخيله وتوهمه هو الله فما عرف الله سبحانه، إذ لا فرق بينه وبين عابد الصنم، فعابد الصنم عبد صورة نحتها وهذا عبد صورة تخيلها، وأما المؤمن المصدق فيعبد من لا شبيه ولا مثيل له أي أن الله لا يتصور في الوهم إذ أنه لا يتصور إلا صورة قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فالله يستحيل أن يكون مصوّرًا أي ذا صورة وشكل لأن ذلك من خواص الأجسام تحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات وإحاطة الحدود والنهايات، كما قال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «**غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان**»[1].

وقال المفسر النسفي: «**الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام، المقدس بصفاته عن إدراك العقول والأفهام**، المتصف بالألوهية قبل كل موجود، الباقي بالنعوت السرمدية بعد كل محدود، القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان، العظيم الذى تنزه عن مماسة المكان، المتعالى عن مضاهاة الأجسام ومشابهة الأنام، القادر الذي لا يشار إليه بالتكييف..»[2] اهـ.

(١) حِكَم السيد أحمد الرفاعي (ص/ ١٥).
(٢) تفسير النسفي (١/ ٣)، مقدمة تفسيره.

وسئل أبو علي الروذباري (ت٣٢٢هـ) عن التوحيد فقال: «**التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه**، ثم قال: **والتوحيد في كلمة واحدة كل ما صوّره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه** (أي لا يشبه ذلك) لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[(١)].

معناه أن العارف بالله يكون معظمًا لمولاه فلا يعتقد في حقه سبحانه ما لا يليق به، بل يقدّس وينزّه الله عن صفات المخلوقين من الحجم والجسمية والجهة والمكان[(٢)] وغير ذلك، لذلك لما سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست أسماؤه؟

قال للسائل:

- إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء.

- وإن سألت عن صفاته فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

- وإن سألت عن اسمه فـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[(٣)].

---

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف لأبي القاسم القشيري (ص/٩).

(٢) «والمكان لغة الحاوي للشيء المستقر كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه وإضجاعه، . . . والمكان عند المتكلمين بُعد موهوم يشغله الجسم بنفوذه فيه. . . والحيز هو الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد أو غير ممتد كالجوهر الفرد. المكان أخص من الحيز، والحيز مطلب المتحرك للحصول فيه، والجهة مطلب المتحرك للوصول إليها والقرب منها» بتصرف من كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (١/ ٨٢٦).

ولا يكون إلا للمخلوق، فالجهات كلها بالنسبة لذات الله على حد سواء ولذلك يوصف الله بالقريب (ليس بالمسافة) فلو كان متحيزًا فوق العرش لكان بعيدًا ولم يكن قريبًا.

(٣) سورة الحشر: ٢٢ .

- وإن سألت عن فعله فـ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(١)].

ولذلك قال أيضًا الإمام الهمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة لأن الصورة تقتضي الكيفية وهي - أي الكيفية - عن الله وعن صفاته منفية»[(٢)] اهـ.

وقال عمرو بن عثمان المكي: «كل ما توهمه قلبك، أو رسخ في مجاري فكرتك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أو جمال أو ضياء أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فالله تعالى بعيد من ذلك، ألا تسمع إلى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾»[(٣)] اهـ.

وقال الحافظ علي بن عبد الكافي السبكي: «ومعنى تقديس الله تنزيهه من كل ما لا يليق بكماله سبحانه وتعالى فنزهه عن كل وصف يدركه حس أو يصوره خيال وهم أو يختلج به ضمير»[(٤)] اهـ.

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال: «إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

---

(١) سورة الرحمٰن: جزء من الآية ٢٩، أي يغير في الخلق من غير أن يتغير وفيها قال ابن عباس رضي الله عنه: «يرفع قومًا ويضع آخرين ويغني قومًا ويفقر آخرين».

(٢) انظر كتاب الأسماء والصفات للحافظ البيهقي (٢/ ٢١).

(٣) الرسالة القشيرية في علم التصوف لأبي القاسم القشيري (ص/ ٣٦).

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي (١/ ١٠).

وقال أبو بكر الزاهرأباذي: المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه»، وسئل أبو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال: «التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه الذوات ولا منفي الصفات»[(١)].

وقال أبو بكر الباقلاني: «فإن قال القائل: فخبرونا عن الله سبحانه:

ما هو؟... قيل له:

- إن أردت بقولك (ما هو) ما جنسه؟ فليس هو بذي جنس لما وصفناه قبل هذا؟

- وإن أردت بقولك (ما هو) ما اسمه؟ فاسمه الله الرحمٰن الرحيم الحي القيوم.

- وإن أردت بقولك (ما هو) ما صنعه؟ السموات والأرض وجميع ما بينهما.

- وإن أردت بقولك (ما هو) ما الدلالة على وجوده؟ فالدلالة على وجوده جميع ما نراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره.

- وإن أردت بقولك (ما هو) أي أشيروا إليه حتى أراه؟ فليس هو اليوم مرئيًا لخلقه ومدركًا لهم فنريكه.

فإن قال قائل: وكيف هو؟... قيل له:

- إن أردت بالكيفية التركيب والصورة والجنسية فلا صورة له ولا جنس فنخبرك عنه.

---

(١) انظر الرسالة القشيرية (ص/٦).

- وإن أردت بقولك (كيف هو)، أي: على أي صفة هو؟ فهو حي عالم قادر سميع بصير وهو منزهٌ عن الشكل والكيف.

- وإن أردت بقولك (كيف هو)، أي: كيف صنعه إلى خلقه؟ فصنعه إليهم العدل والإحسان»[1] اهـ.

وقال الحسين بن منصور: ألزِم الكلَّ الحدث، لأنَّ القِدم له، فالذي بالجسم ظهوره فالعرَض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه، والذي يؤلِّفه وقت يفرقه وقت، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه. والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه، ومن آواه محل أدركه أين، ومن كان له جنس طالبه[2] مكيَّف[3].

إنه سبحانه لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلْف، ولا يحدُّه أمام، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد. ولم يجمعه كلٌّ ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس.

فعله لا علة له، وكونه لا أمد له، تنزَّه عن أحوال خلقه. ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج باينهم[4] بقدمه، كما باينوه بحدوثهم.

إن قلت: متى، فقد سبق الوقتَ كونه. وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلْقه. وإن قلت: أين، فقد تقدَّم المكان وجوده.

---

(١) تمهيد الأوائل (ص/ ٣٠٠).

(٢) طالبه أي تطلبه من تعليقات الشيخ زكريا الأنصاري على الرسالة القشيرية (ص/ ٦).

(٣) قال الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقاته على الرسالة القشيرية (ص/٦): مكيف أي له لأن الجنس تحته أنواع تتميز عنه بفصول وهذه كلها من صفات المخلوق، والخالق ميزه عنها.

(٤) باينهم أي خالفهم فلم يشابهم، وباينوه فلم يشابهوه.

ومعرفته توحيده. وتوحيده تمييزه من خلقه. ما تُصوِّر في الأوهام فهو بخلافه، كيف يحلُّ به ما منه بدأه؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه؟ لا تماقله العيون، ولا تقابله الظنون، قربه كرامته، وبُعده إهانته، علوُّه من غير توقُّل ومجيئه من غير تنقُّل.

هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والقريب البعيد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[1].

فالله ليس من قبيل الأجسام الكثيفة ولا من قبيل الأجسام اللطيفة، فإن الله تعالى لا يشابه ولا يماثل أعيان أي أفراد الأجسام الكثيفة من الإنسان والحجر والشجر والأرض والبهائم والزجاج والخشب ونحو ذلك، ولا يشابهها أيضًا في صفتها التي تشترك فيها هذه الأجسام وهي أنها أجسام كثيفة أي تضبط باليد، ثم الله تعالى لا يشابه ولا يماثل أيضًا أعيان أي أفراد الأجسام اللطيفة من الروح والريح والملائكة والجن والضوء والظلام ونحو ذلك ولا يشابهها أيضًا في صفتها التي تشترك فيها هذه الأجسام وهي أنها أجسام لطيفة أي لا تضبط باليد.

فلا هو من قبيل الأجسام الكثيفة ولا من قبيل الأجسام اللطيفة، فلذلك قال الأشعري: «**يده يد صفة، ووجهه وجه صفة، كالسمع والبصر**»[2] اهـ.

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري عند قول البخاري باب قول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3]، وفيه حديث عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه

(١) انظر الرسالة القشيرية (٦ - ٧).
(٢) كما في تبيين كذب المفتري (ص/ ٥٠).
(٣) سورة القصص: جزء من الآية ٨٨ .

الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[(١)]، قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»، فقال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر». قال الحافظ ابن حجر: «والمراد منه قوله فيه أعوذ بوجهك قال ابن بطال: في هذه الآية والحديث دلالة على أن لله وجها وهو من صفة ذاته وليس بجارحة ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين كما نقول: إنه عالم ولا نقول إنه كالعلماء الذين نشاهدهم. وقال غيره: دلت الآية على أن المراد بالترجمة الذات المقدسة ولو كانت صفة من صفات الفعل لشملها الهلاك كما شمل غيرها من الصفات وهو محال.

وقال الراغب: أصل الوجه الجارحة المعروفة، ولما كان الوجه أول ما يستقبل وهو أشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كل شيء وفي مبدئه وفي إشراقه فقيل وجه النهار وقيل وجه كذا أي ظاهره، وربما أطلق الوجه على الذات كقولهم كرم الله وجهه وكذا قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[(٢)]، وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٣)] وقيل: إن لفظ الوجه صلة، والمعنى كل شيء هالك إلا هو، وكذا: ويبقى وجه ربك، وقيل: المراد بالوجه القصد أي يبقى ما أريد به وجهه. قلت: وهذا الأخير نقل عن سفيان وغيره، وقد تقدم ما ورد فيه في أول تفسير سورة القصص، وقال الكرماني: قيل المراد بالوجه في الآية والحديث الذات أو

(١) سورة الأنعام: ٦٥ .
(٢) سورة الرحمٰن: ٢٧ .
(٣) سورة القصص: جزء من الآية ٨٨ .

الوجود أو لفظه زائد أو الوجه الذي لا كالوجوه لاستحالة حمله على العضو المعروف فتعين التأويل أو التفويض.

وقال البيهقي: تكرر ذكر الوجه في القرآن والسنة الصحيحة وهو في بعضها صفة ذات كقوله: «إلا رداء الكبرياء على وجهه» وهو ما في صحيح البخاري عن أبي موسى، وفي بعضها بمعنى من أجل كقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾(١) وفي بعضها بمعنى الرضا كقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(٢) ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾(٣) وليس المراد الجارحة جزما والله أعلم»(٤) اهـ.

بل أزيد فأنقل من كتاب الأسماء والصفات للبيهقي عناوين بعض الأبواب مما يؤكد المعنى الذي نحن فيه فيقول: «باب ما ذكر في الصورة، الصورة هي التركيب والمُصور هو المركّب قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾(٥).

ولا يجوز أن يكون البارئ تعالى مصوَّرًا ولا أن يكون له صورة لأن الصورة مختلفة والهيئات متضادة، ولا يجوز اتصافه تعالى بجميعها لتضادها، ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلا بمخصِّصٍ لجواز جميعها على من جاز عليه بعضها، فإذا اختص ببعضها اقتضى مخصِّصًا خصصه به وذلك يوجب أن يكون مخلوقًا وهو محال، فاستحال أن يكون مصَوَّرًا وهو

(١) سورة الإنسان: جزء من الآية ٩ .
(٢) سورة الأنعام: جزء من الآية ٥٢ .
(٣) سورة الليل: ٢٠ .
(٤) فتح الباري (١٣/٣٨٨ - ٣٨٩).
(٥) سورة الانفطار: ٦ - ٧ - ٨ .

الخالق البارئ المصوِّر»[١] اهـ.

وقال: «باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة»[٢] اهـ.

وقال أيضًا: «باب ما جاء في إثبات العين صفةً لا من حيث الحدقةُ»[٣] اهـ.

وقال: «باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة»[٤] اهـ.

فأما أن يقال إن لله كيفا لكن نحن لا نستطيع أن نحدد ذلك الكيف فهو ضلال مبين، وهو تشبيه لله بخلقه من بعض الوجوه، لأن الكيف معناه صفات الخلق، وإنما الذي يجب اعتقاده والقطع به أن الله لا كيف له بالمرة فهو رب الكيف ورب الصور والهيئات والأشكال والألوان والأحجام.

ثم إن الله تعالى لا يتصف بصفات الأجسام من حركة وسكون وهبوط وصعود أو الانفعالات التي ترافق الرضا والغضب في الخلق، فلذلك قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه كما تجده في رسالة الفقه الأكبر: «ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف»[٥] اهـ.

---

(١) الأسماء والصفات للحافظ البيهقي (٢/ ١٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٠).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٤٣).

(٥) رسالة الفقه الأكبر (ص/ ٢٧).

وهو ما فهموه من خلال الجمع بين النصوص السمعية ومنها الآية الجامعة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهو ما نبه عليه أهل العلم بحمد الله.

قال الحافظ ابن الجوزي ما نصه: «قال ابن عقيل في قوله تعالى ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾(١) قال: «من كفّ خلقه عن السؤال عن مخلوق فكفّهم عن الخالق وصفاته أولى» اهـ.

وقد قيل شعرًا:

حقيقة المرء ليس المرء يدركها

فكيف يدرك كنه الخالق الأزلي»(٢) اهـ.

وهو قول السلف قاطبة في جوابهم عن المتشابه (وسنورد أمثلة عليها في خلال هذه الرسالة إن شاء الله) من آي القرآن والحديث «**امروها كما جاءت بلا كيف**».

قال الحافظ ابن الجوزي: «ثم لم يذكر الرسول ﷺ الأحاديث [المتشابهة] جملة، وإنما كان يذكر الكلمة في الأحيان، فقد غلط من ألفها أبوابًا على ترتيب صورة غلطًا قبيحًا، ثم هي بمجموعها يسيرة، والصحيح منها يسير، ثم هو عربي وله التجوز، أليس هو القائل: «تأتي البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو فرقان من طير صاف»(٣) و«يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح»(٤)(٥) اهـ.

---

(١) سورة الإسراء: جزء من الآية ٨٥ .

(٢) الباز الأشهب (ص/ ١٤١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٣)، (٨٠٤)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرءان وسورة البقرة.

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٩٣)، (١١٣١٧)، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٥) مقدمة الباز الأشهب (ص/ ١٠٨).

فإذا وقفت على ما بيناه علمت أن السلامة والنجاة في التزام التنـزيه والتقديس.

وقد سئل سهل بن عبد الله عن ذات الله عزَّ وجلَّ، فقال: «ذات الله تعالى موصوفة بالعلم، غيرُ مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حدّ ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهرًا في ملكه وقدرته[1]، قد حجب الخلق عن معرفة كنه أي حقيقته ذاته، ودلهم عليه بآياته؛ فالقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية» (أي لا حجم لله أصلا).

وقال الجنيد: أشرف كلمة في التوحيد، ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته»[2] اهـ.

(١) قال الشيخ زكريا الأنصاري تعقيبًا على هذه الجملة: لا بالإحاطة فلا يرى رؤية الأشباح وإنما يرى على ما هو عليه من جلاله وعظمته وتنزهه عن مشابهة الغير.

(٢) المصدر السابق (ص/ ٢٣٣).

الباب الأول:
في تقدير الدلائل السمعية على أنه تعالى منزّه عن الجسمية والحيّز والجهة[١]

وهي مأخوذة في الغالب من كتاب الفخر الرازي أساس التقديس في الصحائف (٢٤ - ٣٤) مع تصرف في بعض المواضع إما تسهيلا للعبارة أو اختصارا، وأستعين أحيانا بكلامه في التفسير الكبير، وكذا بكلام غيره من أئمة الهدى وأبين ذلك في محله إن شاء الله، وحيث زدت حجة من غير كتاب أساس التقديس جعلتها بين عاكفتين [. . .] وهذا أوان الشروع ببيان هذه الحجج بعون الله:

الحجة الأولى: قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[٢]:

واعلم أنه قد اشتهر في التفسير أن النبي سئل عن ماهية ربه، وعن نعته وصفته، فجاء الجواب من الله تعالى أن هذه السورة.

إذا عرفت ذلك فنقول إن هذه السورة يجب أن تكون من المحكمات لا من المتشابهات، لأنه تعالى جعلها جوابًا عن سؤال المتشابه، بل وأنزلها عند الحاجة، وذلك يقتضي كونها

(١) انظر أساس التقديس للفخر الرازي صحيفة [٢٤] وما بعدها، بتصرف - الفصل الثاني: في تقدير الدلائل السمعية على أنه تعالى منزّه عن الجسمية والحيّز والجهة.

(٢) سورة الإخلاص: ١ - ٤ .

من المحكمات لا من المتشابهات، وإذا ثبت هذا وجب الجزم بأن كل مذهب يخالف هذه السورة يكون باطلًا.

فنقول: إن قوله تعالى (أحد) يدل على نفي الجسمية ونفي الحيّز والجهة.

أما دلالته على أنه تعالى ليس بجسم، فذلك لأن الجسم أقلّه أن يكون مركّبًا من جوهرين، وذلك ينافي الوحدة، وقوله (أحد) مبالغة في الواحدية، فكان قوله (أحد) منافيًا للجسمية.

وأما دلالته على أنه ليس بجوهر فنقول:

أما الذين ينكرون الجوهر الفرد[1] فإنهم يقولون: إن كل متحيّز فلا بدّ أن يتميّز أحد جانبيه عن الثاني، وذلك لأنه لا بدّ من أن يتميّز يمينه عن يساره وقدّامه عن خلفه وفوقه عن تحته، وكل ما تميّز فيه شيء عن شيء فهو منقسم، لأن يمينه موصوف بأنه يمين لا يسار، ويساره موصوف بأنه يسار لا يمين، فلو كان يمينه عين يساره لاجتمع في الشيء الواحد أنه يمين وليس بيمين، ويسار وليس بيسار فيلزم اجتماع النفي والإثبات في الشيء الواحد وهو محال. قالوا: فثبت أن كل متحيّز فهو منقسم، وثبت أن كل منقسم فهو ليس بأحد، فلما كان الله تعالى موصوفًا بأنه أحد وجب أن لا يكون متحيّزًا أصلًا، وذلك ينفي كونه جوهرًا.

وأما الذين يثبتون الجوهر الفرد فإنهم لا يمكنهم الاستدلال على نفي كونه تعالى جوهرًا من هذا الاعتبار ويمكنهم أن يحتجّوا بهذه الآية على نفي كونه جوهرًا من وجه آخر. وبيانه:

(١) الجوهر الفرد: هو اصطلاح يطلقه علماء التوحيد على الجزء الذي لا يتجزأ.

هو أن الأحد كما يراد به نفي التركيب والتأليف في الذات فقد يراد به الضد والند، ولو كان تعالى جوهرًا فردًا لكان كل جوهر فرد مثلًا له، وذلك ينفي كونه أحدًا، ثم أكّدوا هذا الوجه بقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ ولو كان جوهرًا لكان كل جوهر فرد كفوًا له.

فدلّت هذه السورة من الوجه الذي قررناه على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر.

وإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر وجب ألا يكون في شيء من الأحياز والجهات، لأن كل ما كان مختصًا بحيّز وجهة له شبيه:

فإن كان منقسمًا كان جسمًا وقد بيّنا إبطال ذلك.

وإن لم يكن منقسمًا كان جوهرًا فردًا، وقد بيّنا أنه باطل.

ولما بطل القسمان ثبت أنه يمتنع أن يكون في جهة أصلًا.

فثبت أن قوله تعالى (أحد) يدل دلالة قطعية على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ولا في حيّز وجهة أصلًا.

واعلم أنه تعالى كما نصّ على أنه تعالى واحد فقد نصّ على البرهان الذي لأجله يجب الحكم بأنه أحد، وذلك أنه قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكونه إلهًا يقتضي كونه غنيًّا عما سواه، وكل مركب فإنه مفتقر إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره وكونه إلهًا يمنع من كونه مفتقرًا إلى غيره، وذلك يوجب القطع بكونه أحدًا، وكونه أحدًا يوجب القطع بأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا في حيّز وجهة، فثبت أن قوله تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ برهان قاطع على ثبوت هذه المطالب.

[قال البيضاوي: «وهو يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال، إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية»(١) اهـ.]

وأما قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ فالصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج، وذلك يدل على أنه ليس بجسم، وعلى أنه غير مختص بالحيّز والجهة.

أما بيان دلالته على نفي الجسمية فمن وجوه:

الأوّل: أنّ كل جسم فهو مركّب، وكل مركب فهو محتاج إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب فهو محتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيًّا بل يكون محتاجًا إلى غيره، فلم يكن صمدًا مطلقًا.

الثاني: لو كان مركبًا من الجوارح والأعضاء لاحتاج في الإبصار إلى العين، وفي الفعل إلى اليد، وفي المشي إلى الرجل، وذلك ينافي كونه صمدًا مطلقًا.

وأما بيان دلالته على أنه تعالى منـزّه عن الحيّز والجهة: فهو أنه تعالى لو كان مختصًا بالحيّز والجهة لكان إما أن يكون حصوله في الحيّز المعيّن واجبًا أو جائزًا:

فإن كان واجبًا فحينئذٍ يكون ذاته تعالى مفتقرًا في الوجود والتحقق إلى ذلك الحيّز المعيّن، وأما ذلك الحيّز المعيّن فإنه

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/٥٤٧).

يكون غنيًّا عن ذاته المخصوص، لأنا لو فرضنا عدم حصول ذات الله تعالى في ذلك الحيّز المعيّن لم يبطل ذلك الحيّز أصلًا، وعلى هذا التقدير يكون تعالى محتاجًا إلى ذلك الحيّز فلم يكن صمدًا على الإطلاق.

أما إن كان حصوله في الحيّز المعيّن جائزًا لا واجبًا فحينئذٍ يفتقر إلى مخصص يخصصه بالحيّز المعيّن، وذلك يوجب كونه محتاجًا وينافي كونه صمدًا.

[قال أبو المظفر الأسفراييني: «واعلم أن الله تعالى ذكر في سورة الإخلاص ما يتضمن إثبات جميع صفات المدح والكمال ونفي جميع النقائص عنه، وذلك قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ في هذه السورة بيان ما ينفي عنه من نقائص الصفات وما يستحيل عليه من الآفات، بل في كلمة من كلمات هذه السورة، وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

والصمد في اللغة على معنيين:

أحدهما: **أنه لا جوف له**، وهذا يوجب أن لا يكون جسما ولا جوهرا، لأن ما لا يكون بهذه الصفة جاز أن يكون له جوف.

والمعنى الثاني للصمد هو السيد الذي يرجع إليه في الحوائج، وهذا يتضمن إثبات كل صفة لولاها لم يصح منه الفعل، كما نذكره فيما بعد، لأن من لا تصح منه الأفعال المختلفة لم يصح الرجوع إليه في الحوائج المتباينة، وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بين صفات النفي والإثبات»[1] اهـ.

---

(١) التبصير في الدين (ص/ ١٦٢)، الباب الخامس عشر في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان مفاخرهم.

قال الحسن البصري رضي الله عنه في تفسير الصمد: «الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال[١]، كان ولا مكان ولا أين ولا أوان ولا عرش ولا كرسي ولا جني ولا إنسي، وهو الآن كما كان»[٢].]

وأما قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ فهذا أيضًا يدل على أنه ليس بجسم ولا جوهر: فلو كان تعالى جوهرًا لكان مثلًا لجميع الجواهر فكان كل واحد من الجواهر كفؤًا له، ولو كان جسمًا لكان مؤلفًا من الجواهر، لأن الجسم يكون كذلك وحينئذٍ يعود الإلزام المذكور، فثبت أن هذه السورة من أظهر الدلائل على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ولا حاصل في مكان وحيّز.

[وقال الفخر الرازي: «فهو سبحانه فرد منزه عن جميع جهات التركيب، فإن كل مركب مفتقر إلى كل واحد من أجزائه وكل واحد من أجزائه غيره فهو مركب فهو مفتقر إلى غيره ممكن لذاته فإذن كل مركب فهو ممكن لذاته، وكل ما ليس ممكنا لذاته بل كان واجبا لذاته امتنع أن يكون مركبا بوجه من الوجوه، بل كان فردا مطلقا وإذا كان فردا في ذاته لزم أن لا يكون متحيزا ولا جسما ولا جوهرا ولا في مكان ولا حالا ولا في محل ولا متغيرا ولا محتاجا بوجه من الوجوه ألبتة»[٣] اهـ.]

واعلم أنه كما أن الكفار لما سألوا الرسول عن صفة ربّه فأجاب الله بهذه السورة الدالة على كونه تعالى منزّهًا عن أن

(١) يريد رضي الله عنه نفي التغير عن الله سبحانه.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ١٦٧).
(٣) التفسير الكبير (٧/ ١١٤).

يكون جسمًا أو جوهرًا أو مختصًا بالمكان فكذلك فرعون سأل موسى عليه السلام عن صفة الله تعالى، فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) ثم إن موسى لم يذكر الجواب عن هذا السؤال إلا بكونه تعالى خالقًا للناس ومدبرًا لهم وخالق السموات والأرض ومدبرًا لهما، وهذا أيضًا من أقوى الدلائل على أنه تعالى ليس بمتحيّز ولا في جهة.

ذلك أن لفظة ما سؤال عن الماهية وطلب للحقيقة، ولكن موسى أجاب بكونه تعالى خالقًا للأشياء ومدبرًا لها فهو صفة، فلو كان تعالى متحيّزًا لكان الجواب عن قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بذكر كونه متحيّزًا أولى من الجواب منه بذكر كونه خالقًا، ولو كان كذلك كان جواب موسى عليه السلام خطأ، ولكان طعن فرعون بأنه مجنون لا يفهم السؤال ولا يذكر في مقابلة السؤال ما يصلح أن يكون جوابًا متجهًا لازمًا، ولما بطل ذلك علمنا أنه تعالى ما كان متحيّزًا فلا جرم ما كان يمكن تعريف حقيقته سبحانه وتعالى إلا بأنه خالق مدبر، فلا جرم كان جواب موسى عليه السلام صحيحًا، وكان سؤال فرعون ساقطًا فاسدًا فثبت أنه كما أنّ جواب محمّد عن سؤال الكفار عن صفة الله تعالى يدل على تنزيه الله تعالى عن التحيّز، فكان جواب موسى عليه السلام.

أما الخليل ﷺ فقد حكى الله تعالى عنه في كتابه بأنه استدلّ بحصول التغيّر في أحوال الكواكب على حدوثها(٢)، ثم قال

---

(١) سورة الشعراء: جزء من الآية ٢٣ .

(٢) أي على قومه ليهديهم إلى سبيل الحق، لا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان كافرًا أو مشركًا ويكفي لكف ذلك الوهم قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ سورة ءال عمران ٦٧ .

عند تمام الاستدلال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[1].

واعلم أن هذه الواقعة تدلّ على تنزيه الله تعالى وتقديسه عن التحيّز والجهة، أما دلالتها على تنزيه الله تعالى عن التحيّز فمن وجوه:

أحدها: أن الأجسام متماثلة[2] فإذا ثبت ذلك فنقول: ما صح على أحد المثلين وجب أن يصح على المثل الآخر، فلو كان تعالى جسمًا أو جوهرًا وجب أن يصح عليه كل ما صح على غيره، وأن يصح على غيره كل ما صح عليه وذلك يقتضي جواز التغيّر عليه، ولما حكم الخليل عليه السلام بأن المتغيّر من حال إلى حال لا يصلح للإلهية، وثبت أنه لو كان جسمًا لصح عليه التغيّر لزم القطع بأنه تعالى ليس بمتحيّز أصلًا.

[قال ابن جزي الغرناطي: «قوله لا أحب الآفلين أي لا أحب عبادة المتغيرين، لأن التغير دليل على الحدوث والحدوث ليس من صفة الإله، ثم استمر على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهان وأقام عليهم الحجة جاهرهم بالبراءة من باطلهم فقال: إني بريء مما تشركون، وأعلن عبادته لله وتوحيده له، **فقال**: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك.

فإن قيل: لم احتج بالأفول دون الطلوع وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال؟

(١) سورة الانعام: جزء من الآية ٧٩ .
(٢) بمعنى أن المتشابهات يجوز عليهما يجوز على بعضها.

فالجواب أنه أظهر في الدلالة لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب»[1] اهـ.

وفي تفسير الجلالين: «واذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾[2] هو لقبه واسمه تارخ، ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها استفهام توبيخ، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ بيّن.

﴿وَكَذَٰلِكَ ﴿٧٥﴾﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ﴿٧٥﴾﴾[3] ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٧٥﴾﴾ ليستدل به على وحدانيتنا، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ بها، وجملة وكذلك وما بعدها، اعتراض وعطف على: قال.

﴿فَلَمَّا جَنَّ ﴿٧٦﴾﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴿٧٦﴾﴾[4] قيل: هو الزهرة، ﴿قَالَ ﴿٧٦﴾﴾ لقومه وكانوا نجامين: ﴿هَٰذَا رَبِّى ﴿٧٦﴾﴾ في زعمكم، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ ﴿٧٦﴾﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أن أتخذهم أربابا، **لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث** فلم ينجع فيهم ذلك.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾[5] طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٤).

(٢) سورة الأنعام: ٧٤ .

(٣) سورة الأنعام: ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام: ٧٦ .

(٥) سورة الأنعام: ٧٧ .

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا ﴿٧٨﴾﴾[١] ذكره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴿٧٨﴾﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ ﴿٧٨﴾﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث، فقالوا له: ما تعبد؟ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴿٧٩﴾﴾[٢] قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ﴿٧٩﴾﴾ خلق ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴿٧٩﴾﴾ أي الله ﴿حَنِيفًا ﴿٧٩﴾﴾ مائلا إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ به[٣].]

الثاني: أنه عليه السلام قال عند تمام الاستدلال ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فلم يذكر من صفات الله تعالى إلا كونه خالقًا للعالم، والله تعالى مدحه على هذا الكلام وعظّمه، فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[٤] ولو كان إله العالم جسمًا موصوفًا بمقدار مخصوص وشكل مخصوص لما كمل العلم به تعالى إلا بعد العلم بكونه جسمًا متحيّزًا، ولو كان كذلك لما كان مستحقًا للمدح والتعظيم بمجرّد معرفة كونه خالقًا للعالم، فلما كان هذا القدر من المعرفة كافيًا في كمال معرفة الله تعالى دلّ ذلك على أنه تعالى ليس بمتحيّز.

[قال أبو المظفر الأسفراييني: «وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته، لأن ما كان محلا للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل كان محدثا مثلها، ولهذا قال الخليل

---

(١) سورة الأنعام: ٧٨ .
(٢) سورة الأنعام: ٧٩ .
(٣) تفسير الجلالين: (١/ ١٧٤ - ١٧٥).
(٤) سورة الأنعام: ٨٣ .

عليه الصلاة والسلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ بيّن به أن من حل به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدثا لا يصح أن يكون إلها.

وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد والنهاية والمكان والجهة والسكون والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى، لأن ما لا يكون محدثا لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث، وعليه يدل ما ذكرناها قبل في قصة الخليل عليه السلام»[١] اهـ.

وقال أبو بكر الجصاص عند كلامه عن احتجاج نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام على نمرود العنيد وهو قوله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾[٢]: وتدل على أن الله تعالى لا يشبهه شيء وأن طريق معرفته ما نصب من الدلائل على توحيده، لأن أنبياء الله عليهم السلام إنما حاجوا الكفار بمثل ذلك ولم يصفوا الله تعالى بصفة توجب التشبيه وإنما وصفوه بأفعاله»[٣] اهـ.]

الحجة الثانية: من القرآن قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٤]:

---

(١) التبصير في الدين (ص/ ١٦٠).
(٢) سورة البقرة: ٢٥٨ .
(٣) أحكام القرءان (٢/ ١٧٢).
(٤) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .

[قال الفخر الرازي: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ الآية يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء فإنه يحسن أن يقال ليس كمثله شىء إلا في الجلوس وإلا في المقدار وإلا في اللون وصحة الاستثناء تقتضي دخول جميع هذه الأمور تحته فلو كان جالسا لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذ يبطل معنى الآية»[١] اهـ.

وقال أيضا: «**ولو كان جسما لكان مثلا للأجسام**»[٢] اهـ.

قال الحافظ ابن الجوزي: «قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ قال ابن قتيبة: **أي ليس كهو شىء**، والعرب تقيم المثل مقام النفس فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي هذا، وقال الزجاج: الكاف مؤكدة والمعنى ليس مثله شىء»[٣] اهـ.

سبحانه قصرت عنه العبارات، وخرست عنه الألسنة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ تعالى الله وتقدس عن المجاسنة والمماثلة[٤].]

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال إنه تعالى وإن كان جسمًا إلا أنه مخالف لغيره من الأجسام كما أن الإنسان والفرس وإن اشتركا في الجسمية لكنهما مختلفان في الأحوال والصفات، ولا يجوز أن يقال الفرس مثل الإنسان فكذا هنا؟

(١) التفسير الكبير (٢٢/٦).
(٢) التفسير الكبير: (٥/ ١٨١).
(٣) زاد المسير (٧/ ٢٧٦).
(٤) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ١٩).

والجواب من جهتين:

الأوَل: أن الأجسام كلها متماثلة في تمام الماهية، فلو كان تعالى جسمًا لكان ذاته مثلًا لسائر الأجسام وذلك يخالف هذا النص، والإنسان والفرس ذات كل واحد منهما مماثلة لذات الآخر والاختلاف إنما وقع في الصفات والأعراض، والذاتان إذا كانتا متماثلتين كان اختصاص كل واحدة منهما بصفاته المخصوصة من الجائزات لا من الواجبات، لأن الأشياء المتماثلة في تمام الذات، والماهية لا يجوز اختلافها في اللوازم، فلو كان البارئ تعالى جسمًا لوجب أن يكون اختصاصه بصفاته المخصوصة من الجائزات، ولو كان كذلك لزم افتقاره إلى المدبّر والمخصص، وذلك يبطل القول بكونه تعالى إلٰه العالم.

الثاني: لو كان الله تعالى مشاركًا لسائر الأجسام في الجسمية ومخالفًا لها في الماهية المخصوصة لكان له سبحانه أمثال لا تحصى... وذلك يقتضي وقوع التركيب في ذاته المخصوصة، وكل مركب ممكن لا واجب على ما بيّناه، فثبت أن هذا السؤال ساقط»[1] اهـ بتصرف.

الحجة الثالثة: قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[2] وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[3]:

دلت هاتان الآيتان على كونه تعالى غنيًّا:

لأن كل جسم مركب، وكل مركب محتاج إلى كل واحد من أجزائه.

(١) أساس التقديس (ص/٢٨ - ٢٩).
(٢) سورة محمد: جزء من الآية ٣٨ .
(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٣٣ .

وأيضًا لو وجب اختصاصه بالجهة لكان محتاجًا إلى الجهة، وذلك يقدح في كونه غنيًا على الإطلاق.

[وقال الفخر الرازي: «والغني لا يكون مركبا وما لا يكون مركبا لا يكون جسما، وأيضا الأجسام متماثلة في تمام الماهية فلو كان جسما لحصل له مثل وذلك باطل لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(١) فأما الدلائل العقلية فكثيرة ظاهرة باهرة قوية جلية والحمد لله عليه»(٢) اهـ.]

الحجة الرابعة: قوله تعالى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٣):

والقيوم من يكون قائمًا بنفسه مقوّمًا لغيره:

فكونه تعالى قائمًا بنفسه عبارة عن كونه غنيًا عن كل ما سواه، وكونه مقوّمًا لغيره عبارة عن احتياج كل ما سواه إليه، فلو كان جسمًا لكان هو مفتقرًا إلى غيره.

[وقال الإمام الرازي: «ذلك أن كل مركب فإنه مفتقر في تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره، وكل مركب فهو متقوم بغيره، والمتقوم بغيره لا يكون متقوما بذاته، فلا يكون قيوما.

ثم إن واجب الوجود واحد بمعنى أنه ليس في الوجود شيئان كل واحد منهما واجب لذاته، إذ لو فرض ذلك لاشتركا في الوجوب وتباينا في التعين، وما به المشاركة غير ما به المباينة فيلزم كون كل واحد منهما في ذاته مركبا من جزأين وقد بينا أنه محال.

(١) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .
(٢) التفسير الكبير (١٣/٤).
(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥٥ .

ولما امتنع في حقيقته أن تكون مركبة من جزأين امتنع كونه متحيزا لأن كل متحيز فهو منقسم، وقد ثبت أن التركيب عليه ممتنع وإذا ثبت أنه ليس بمتحيز امتنع كونه في الجهة، لأنه لا معنى للمتحيز إلا ما يمكن أن يشار إليه إشارة حسية، وإذا ثبت أنه ليس بمتحيز وليس في الجهة امتنع أن يكون له أعضاء وحركة وسكون.

ولما كان قيوما كان قائما بذاته، وكونه قائما بذاته يستلزم أن لا يكون عرضا في موضوع ولا صورة في مادة ولا حالا في محل أصلا، لأن الحال مفتقر إلى المحل والمفتقر إلى الغير لا يكون قيوما بذاته»[١] اهـ.]

ولو وجب حصوله في شيء من الأحياز لكان مفتقرًا محتاجًا إلى ذلك الحيّز، فلم يكن قيومًا على الإطلاق... لأنه بتقدير أن لا يكون حاصلًا في ذلك الحيّز لم يلزم بطلان ذلك ولا عدمه فكان الحيّز غنيًا عنه، وكان هو مفتقرًا إلى ذلك الحيّز فظهر الفرق، والله أعلم.

الحجة الخامسة: قوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٢]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**هل تعلم له مثلا**» أي شبيها، [ولو كان جسما متحيزا لكان مشابها للأجسام في الجسمية[٣]].

الحجة السادسة: قوله تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[٤]:

(١) في التفسير الكبير (ج٧/ص٥).
(٢) سورة مريم: جزء من الآية ٦٥ .
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥/ ١٨١).
(٤) سورة الحشر: جزء من الآية ٢٤ .

وجه الاستدلال به أن الخالق في اللغة هو المقدِّر، ولو كان تعالى جسمًا لكان متناهيًا، ولو كان متناهيًا لكان مخصوصًا بمقدار معيّن، ولما وصف نفسه بكونه خالقًا وجب أن يكون تعالى هو المقدّر لجميع المقدّرات بمقاديرها المخصوصة، فإذا كان هو مقدّرًا في ذاته بمقدار مخصوص لزم كونه مقدّرًا لنفسه، وذلك محال. ولو كان جسمًا لكان متناهيًا، وكل متناه فإنه محيط به حدّ أو حدود مختلفة، وكل ما كان كذلك فهو مشكل، وكل مشكل فله صورة، فلو كان جسمًا لكان له صورة، ثم إنه تعالى وصف نفسه بكونه مصورًا فيلزم كونه مصوّرًا لنفسه، وذلك محال، فيلزم أن يكون منزّهًا عن الصورة والجسمية حتى لا يلزم هذا المحال.

[قال الإمام أبو المظفر الأسفراييني: «وأن تعلم أن كل ما تصور في الوهم من طول وعرض وعمق وألوان وهيئات مختلفة ينبغي أن تعتقد أن صانع العالم بخلافه، وأنه قادر على خلق مثله، وإلى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه بقوله: العجز عن درك الإدراك إدراك، ومعناه إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق صح عندك أنه خلاف المخلوقات، وتحقيقه أنك إذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ وما كان مصوّرا لم يكن مصورا كما أن من كان مخلوقا لم يكن خالقا»[١].

(١) التبصير في الدين (ص/ ١٦٠).

الحجة السابعة: قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(١):

وصف نفسه بكونه ظاهرًا وباطنًا، ولو كان جسمًا لكان ظاهره غير باطنه فلم يكن الشيء الواحد موصوفًا بأنه ظاهر وبأنه باطن لأنه على تقدير كونه جسمًا يكون الظاهر منه سطحه والباطن منه عمقه فلم يكن الشيء الواحد ظاهرًا وباطنًا، ثم إن المفسرين قالوا إنه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب أنه لا يدركه الحس، ولا يصل إليه الخيال، ولو كان جسمًا لما أمكن وصفه بأنه لا يدركه الحس ولا يصل إليه الخيال.

[بل كيف يحيط به علم وقد اتفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ أي عبارة تخبر عنه حقيقة الألفاظ!!..(٢)]

الحجة الثامنة: قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٣) وقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٤):

وذلك يدلّ على كونه تعالى منزّهًا عن المقدار والشكل والصورة، وإلا لكان الإدراك والعلم محيطين به وذلك على خلاف هذين النصين.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال إنه وإن كان جسمًا لكنه جسم كبير فلهذا المعنى لا يحيط به الإدراك والعلم؟ قلنا: لو كان الأمر كذلك لصح أن يقال بأن علوم الخلق وأبصارهم لا تحيط

(١) سورة الحديد: جزء من الآية ٣.
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/١٩).
(٣) سورة طه: جزء من الآية ١١٠.
(٤) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠٣.

بالسموات ولا بالجبال ولا بالبحار ولا بالمفاوز، فإن هذه الأشياء أجسام كبيرة، والأبصار لا تحيط بأطرافها، والعلوم لا تصل إلى تمام أجزائها، ولو كان الأمر كذلك لما كان في تخصيص ذات الله تعالى بهذا الوصف فائدة.

الحجة التاسعة: قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[1]:

ولو كان تعالى في السماء أو في العرش لما صح القول بأنه تعالى قريب من عباده.

الحجة العاشرة: لو كان تعالى في جهة فوق لكان سماء، ولو كان سماء لكان مخلوقًا لنفسه وذلك محال، فكونه في جهة فوق محال:

وإنما قلنا إنه لو كان ذاته سماء لكان ذاته مخلوقًا لوجهين:

الأول: أن السماء مشتق من السمو وكل شيء سماك فهو سماء، فهذا هو الاشتقاق الأصلي اللغوي، وعرف القرآن أيضا متقرر عليه، بدليل أنهم ذكروا في تفسير قوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[2] أنه السحاب، قالوا: وتسمية السحاب بالسماء جائز لأنه حصل فيه معنى السمو، وذكروا أيضا في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[3] أنه من السحاب فثبت أن الاشتقاق اللغوي والعرف القرآني متطابقان على تسمية كل ما كان موصوفا بالسمو والعلو سماء.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٦ .
(٢) سورة النور: جزء من الآية ٤٣ .
(٣) سورة الفرقان: جزء من الآية ٤٨ .

الثاني: أنه تعالى لو كان فوق العرش لكان من جلس في العرش ونظر إلى فوق لم ير إلا نهاية ذات الله تعالى فكانت نسبة نهاية السطح الأخير من ذات الله تعالى إلى سكان العرش كنسبة السطح الأخير من السموات إلى سكان الأرض، يقتضي بالقطع بأنه لو كان فوق العرش لكان ذاته كالسماء لسكان العرش فثبت أنه تعالى لو كان مختصا بجهة فوق لكان ذاته سماء وإنما قلنا أنه لو كان ذاته سماء لكان ذاته مخلوقا لقوله تعالى ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾[1]، ولفظة السموات لفظة جمع مقرونة بالألف واللام، وهذا يقتضي كون كل السموات مخلوقة لله تعالى، فلو كان هو تعالى سماء لزم كونه خالقًا لنفسه، وكذلك أيضًا قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2] يدل على ما ذكرناه، فثبت أنه تعالى لو كان مختصًا بجهة فوق لكان سماء، ولو كان سماء لكان مخلوقًا لنفسه وهذا محال، فوجب أن لا يكون مختصًا بجهة فوق.

فإن قيل: لفظ السماء مختص في العرف بهذه الأجرام المستديرة، وأيضًا فهب أن هذا اللفظ في أصل الوضع يتناول ذات الله تعالى إلا أن هذا الفرق ممنوع، وكيف لا نقول ذلك وقد دللنا على أنه بتقدير أن يكون الله تعالى مختصًا بجهة فوق، فإن نسبة ذاته تعالى إلى سكان العرش كنسبة السماء إلى سكان الأرض فوجب القطع بأنه لو كان مختصًا بجهة فوق لكان سماء.

---

(١) سورة طه: ٤ .

(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية ٥٤ .

وأما الجواب عن الثاني: فهو أن تخصيص العموم إنما يصار إليه عند الضرورة، فلو قام دليل قاطع عقلي على كونه تعالى مختصًا بجهة فوق لزمنا المصير إلى هذا التخصيص، أما ما لم يقم شيء من الدلائل على ذلك بل قامت القواطع العقلية والنقلية على امتناع كونه تعالى في الجهة فلم يكن بنا إلى التزام هذا التخصيص ضرورة فسقط هذا الكلام».

الحجة الحادية عشرة: قوله تعالى ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾[1]:

وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيها ملك لله تعالى، **وقوله**: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه لله تعالى، ومجموع الآيتين يدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى، وذلك يدل على تنزيهه عن المكان والزمان، وهذا الوجه ذكره أبو مسلم الأصفهاني رحمه الله في تفسيره.

الحجة الثانية عشرة: قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[3]:

ولو كان الخالق في العرش لكان حامل العرش حاملًا لمن في العرش، فيلزم احتياج الخالق إلى المخلوق، ويقرب منه قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٢ .
(٢) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٣ .
(٣) سورة الحاقة: جزء من الآية ١٧ .
(٤) سورة غافر: جزء من الآية ٧ .

الحجة الثالثة عشرة: قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1]:

ظاهر الآية يقتضي فناء العرش[2] وفناء جميع الأحياز والجهات، وحينئذٍ يبقى الحق سبحانه وتعالى منزّهًا عن الحيّز والجهة، وإذا ثبت ذلك امتنع أن يكون الآن في جهة وإلا لزم وقوع التغير في الذات.

فإن قيل: الحيّز والجهة ليس شيئًا موجودًا حتى يصير هالكًا فانيًا.

قلنا: الأحياز والجهات أمور مختلفة بحقائقها متباينة بماهيتها بدليل أنكم قلتم إنه يجب حصول ذات الله تعالى في جهة فوق ويمتنع حصول ذاته في سائر الجهات، فلولا أن جهة فوق مخالفة بالماهية لسائر الجهات لما كانت جهة فوق مخالفة لسائر الجهات في هذه الخاصية، وهذا الحكم. وأيضًا فلأنا نقول هذا الجسم حصل في هذا الحيّز بعد أن كان حاصلًا في حيّز آخر، فهذه الأحياز معدودة متباينة متعاقبة، والعدم المحض لا يكون كذلك، فثبت أن هذه الأحياز أمور متخالفة بالحقائق متباينة بالعدد، وكل ما كان كذلك امتنع أن يكون عدمًا محضًا فكان أمرًا موجودًا، وإذا ثبت هذا دخل تحت قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وإذا هلك الحيز والجهة بقي ذات الله تعالى منزّهًا عن الحيّز.

---

(١) سورة القصص: جزء من الآية ٨٨ .

(٢) لكن ورد استثناء العرش وأشياء في بعض الآثار، وهو إنما يورد ذلك من باب الفرض لا أن ذلك واقع.

الحجة الرابعة عشرة: قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾[(١)]:

فهذا يقتضي أن يكون ذاته متقدمًا في الوجود على كل ما سواه، وأن يكون متأخرًا في الوجود عن كل ما سواه، وذلك يقتضي أنه كان موجودًا قبل الحيز والجهة، ويكون موجودًا بعد الحيز والجهة.

الحجة الخامسة عشرة: قوله تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[(٢)]:

ولو كان في جهة الفوق لكانت السجدة تفيد البعد من الله تعالى لا القرب منه، وذلك خلاف الأصل.

[وقال الإمام المتولي رضي الله عنه: «فإن استدلوا - أي المشبهة - بعرف الناس ورفع أيديهم إلى السماء عند الدعاء، فرفع اليد إلى السماء ليس لأن الله تعالى في مكان، ولكن لأن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة في حال القيام والأرض قبلة في حال الركوع والسجود.

وليعلم أن الله تعالى ليس في الكعبة ولا في الأرض.

وإن استدلوا بقصة المعراج وأن رسول الله ﷺ حمل إلى جهة فوق وبقوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[(٣)] فليس فيها حجة لأن موسى عليه السلام سمع الكلام على الطور وكان ميعاده الطور، ولم يدل على أن الله تعالى على الطور.

وقال في قصة إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾[(٤)] وكانت

(١) سورة الحديد: جزء من الآية ٣ .
(٢) سورة العلق: جزء من الآية ١٩ .
(٣) سورة النجم: ٨ - ٩ .
(٤) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٢٦ .

هجرته إلى الشام ولم يكن البارئ تعالى في الشام فبطل قولهم، وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ فذلك دنو كرامة لا مجاورة كقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾»[1] اهـ.]

الحجة السادسة عشرة: قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[2]:

والند المثل، ولو كان تعالى جسمًا لكان مثلًا لكل واحد من الأجسام.. لأن الأجسام كلها متماثلة فحينئذٍ يكون الند موجودًا على هذا التقدير، وذلك على مضادة هذا النص.

[الحجة السابعة عشر: قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[3]:

قال المفسر ابن عطية: «والمشرق موضع الشروق، والمغرب موضع الغروب، أي هما له ملك وما بينهما من الجهات والمخلوقات وخصهما بالذكر وإن كانت جملة المخلوقات كذلك»[4] اهـ.

وقال المفسّر اللغوي أبو حيان الأندلسي ما نصه: «وفي قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ردٌّ على من يقول إنه في حيِّز وجهة، لأنه لمّا خيَّر في استقبال جميع الجهات دلَّ على أنه ليس في جهة ولا حيِّز، ولو كان في حيِّز لكان استقباله والتوجه إليه أحق من جميع الأماكن، فحيث لم يُخصِّص مكانًا علمنا أنه لا في جهة ولا حيِّز، بل جميع الجهات في ملكه

(١) الغنية في أصول الدين (١/ ٧٩).
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢ .
(٣) سورة البقرة: ١١٥ .
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٩٩).

وتحت ملكه، فأيّ جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظمين له ممتثلين لأمره»[١] اهـ.

وقال البيضاوي: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يريد بهما ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان، فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجدا، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي جهته التي أمر بها، فإن إمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو ﴿فَثَمَّ﴾ ذاته أي هو عالم مطلع بما يفعل فيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ بإحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها، وعن ابن عمر رضي الله عنهما وأنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم، وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك، وقيل: هي توطئة لنسخ القبلة، وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة»[٢].

الحجة الثامنة عشرة: قوله تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٣]:

قال الإمام أبو المظفر الأسفراييني: «وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص والآفة لأن الآفة نوع من المنع، والمنع يقتضي مانعا وممنوعا، وليس فوقه سبحانه مانع، وقد نبه الله

(١) تفسير البحر المحيط (١/ ١٦٣).
(٢) تفسير البيضاوي (١/ ٣٨٧).
(٣) سورة الحشر: ٢٣ .

تعالى عليه بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والسلام هو الذي سلم من الآفات والنقائص، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع، ويعلم بذلك أن لا طريق للآفات والنقائص والموانع إليه، وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1] والمجد في كلام العرب كمال الشرف، ومن كان لنوع من النقص إليه طريق لم يكمل شرفه، ولم يجز وصفه بقوله: «مجيد» فلما اتصف به سبحانه علمنا أنه لا طريق للنقص إليه»[2] اهـ.

الحجة التاسعة عشرة: قوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[3]:

قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل عند كلامه عن إثبات حدوث العالم بعد أن لم يكن، وتحقيق أن له محدثا لم يزل لا إلٰه إلا هو، ما نصه: «إن كل شخص في العالم، وكل عرض في شخص، وكل زمان، وكل ذلك متناهٍ ذُو أوّل نشاهد ذلك حسًّا وعيانًا، لأن تناهي الشخص ظاهر بمساحته بأول جرمه وآخره، وأيضًا بزمان وجوده.

وتناهي الزمان موجود باستئناف ما يأتي منه بعد الماضي، وفناء كل وقت بعد وجوده، واستئناف آخر يأتي بعده، إذ كل زمانٍ نهايته الآن، وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضي، وما بعده ابتداء للمستقبل، وهكذا أبدًا يفنى زمان ويأتي آخر.

(١) سورة البروج: ١٥ .
(٢) التبصير في الدين (ص/ ١٦١).
(٣) سورة الرعد: جزء من الآية ٨ .

وكل جملة من جمل الزمان فهي مركبة من أزمنة متناهية، ذات أوائل كما قدمنا.

وكل جملة أشخاص فهي مركبة من أشخاص متناهية بعددها، وذوات أوائل كما قدمنا، وكل مركب من أجزاء متناهية ذات أوائل فليس هو شيئًا غير أجزائه، إذ الكل ليس هو شيئًا غير الأجزاء التي ينحل إليها، وأجزاؤه متناهية كما بينا ذات أوائل، فالجُمل كلها بلا شك متناهية ذات أوائل، والعالم كله إنما هو أشخاصه، ومكانه، وأزمانها، ومحمولاتها، ليس العالم كله شيئًا غير ما ذكرناه، فالعالم كله متناهٍ ذو أول ولا بدَّ...

ثم استدل بدليل آخر.. إلى أن قال: وهذان الدليلان قد نبه الله تعالى عليهما وحصرهما بحجته البالغة إذ يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾»[1] اهـ.

الحجة العشرون: قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[2]:

أخرج الواحدي عن علقمة عن عبد الله قال: أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم بلغك أن الله يحمل الخلائق على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية.

قال الواحدي: ومعنى هذا أن الله تعالى يقدر على قبض الأرض وجميع ما فيها من الخلائق والشجر قدرة أحدنا ما يحمله بأصبعه، فخوطبنا بما نتخاطب فيما بيننا لنفهم، ألا ترى

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٩).
(٢) سورة الزمر: جزء من الآية ٧٦ .

أن الله تعالى قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي يقبضها بقدرته»[١] اهـ.

وقال الأصفهاني: «وقوله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ أي ما عرفوا كنهه، تنبيها أنه كيف يمكنهم أن يدركوا كنهه وهذا وصفه، وهو قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾»[٢] اهـ

وذكر العلامة تقي الدين الحصني رحمه الله عن بعض أهل العلم قوله: «قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾، دفعا لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات.

قال الأئمة: معناه ما عرفوه حق معرفته، وقال المبرد: ما عظموه حق عظمته، وقبضة الله عز وجل عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، واليمين في كلام العرب بمعنى الملك والقدرة، كما قال تعالى ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾[٣] أي بالقوة والقدرة، وأشعار العرب في ذلك أكثر جدا من أن تذكر وأشهر من أن تنشد وتبرز وتظهر.

وفي الحديث: «**الحجر الأسود يمين الله تعالى**»[٤]، وقال تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[٥].

وقال أبو الوفاء بن عقيل من أصحاب الإمام أحمد: «ما قدر الله حق قدره» إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل

---

(١) أسباب النزول للواحدي (١/ ٢٨٠).
(٢) غريب القرءان للأصفهاني (١/٣٩٦).
(٣) سورة الحاقة: ٤٥ .
(٤) رواه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٦٤)، (٢٤٤).
(٥) سورة الفتح: جزء من الآية ١٠ .

مخلوقاته، وإنما ذكر الشرك في الآية ردا عليهم.

وفي معنى هذا الحديث قوله: «**إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء**»[1] وفي ذلك إشارة إلى أن القلوب مقهورة لمقلبها.

قال الخطابي: واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول عليهم، ولهذا ضحك على وجه الإنكار، وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته، بل يطلق الاسم في ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه.

وقال غيره: من حمل الأصابع على الجارحة فقد رد على الله سبحانه وتعالى في قوله سبحانه، وأدخل نفسه في أهل الشرك، لقوله تعالى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] وهو عز وجل يذكر في كتابه المبين التحرس عما لا يليق دفعا وردا لأعداءه، كقوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ﴾[3]، وقال تعالى ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ﴾[4] ونحو، وأكد من ذلك قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾[5]، قدم تنزيهه عز وجل أولا في هذه الآية، والقرآن طافح بذلك»[6] اهـ.

قال العيني: «وقد قلنا: إن الحديث من المتشابهات، والأمر

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥)، (٢٦٥٤)، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.
(٢) سورة يونس: جزء من الآية ١٨ .
(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١١٦ .
(٤) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠٠ .
(٥) سورة الجن: الآية ٣ .
(٦) انظر دفع شبه من شبه وتمرد للحصني (١/ ١٥).

فيه إما التفويض وإما التأويل، والمقصود: بيان استحقار العالم عند قدرته إذ يستعمل الحمل بالإصبع عند القدرة بالسهولة وحقارة المحمول كما تقول لمن استقل شيئا أنا أحمله بخنصري، قوله: «ثم يهزهن» وفيه إشارة أيضا إلى حقارتها أي لا يثقل عليه لا إمساكها ولا تحريكها ولا قبضها ولا بسطها»[(١)] اهـ.

الحجة الواحدة والعشرون: قوله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾[(٢)] وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾[(٣)]:

قال تقي الدين الحصني: «ولهذا نزه سبحانه نفسه بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ وفي هذا غاية الحث على كثرة التنزيه ودوامه مع أمره لأكمل خلقه في قوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ مع غير ذلك مما في أشرف الكتب مما أذكر بعضه.

فقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ١﴾ أي قل سبحان ربي الأعلى، والمعنى نزه اسم ربك وأذكره وأنت له معظم، وقيل: نزهه عن المعاني المفضية إلى نقصه، وقيل: نزه اسمه عن الكذب إذا أقسمت به، وقيل: لفظ اسم زائد، وفي الكلام حذف المعنى نزه مسمى ربك الذي خلق فسوى أي مخلوقه، بأن خلقه مستويا بلا تفاوت فيه وفي أعضائه وغير ذلك من مخلوقاته، فإن من هذا بعض مصنوعاته يستحق التنزيه، فكيف بمخلوقات أخر يعجز الخلق عن إدراكها لعظمها، وكلها على اختلاف

---

(١) عمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٦٨).
(٢) سورة الصافات: ١٨٠.
(٣) سورة الأعلى: ١.

أجناسها وأنواعها كل يسبحه بلغته وبما يليق بجلاله قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[1]، وقال: ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾.

قال مجاهد: تسبيح المخلوقات هو تنزيه خالقها وتوحيده بما يستحقه من كمال صفات عظم ذاته، قيل: يفقه تسبيحهم العلماء الربانيون الذين انفتحت أسماع بصائرهم، والمنورون البصائر الذين يشاهدون كل شيء مرموقا عليه بقلم القدرة هو الملك القدوس. وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح: حيوانا وجمادا، وتسبيحها: سبحان الله وبحمده»[2] اهـ.

الحجة الثانية والعشرون: ومما يدل على ما قدمنا أيضا قول الله تعالى ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾[3]، أي لا تجعلوا لله الشبيه والمِثْل فإن الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل له، فلا ذاته يشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات.

قال النسفي في تفسيره: «﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾، فلا تجعلوا لله مثلا، فإنه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء إن الله يعلم أنه لا مثل له من الخلق وأنتم لا تعلمون ذلك، أو أن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك»[4] اهـ.

الحجة الثالثة والعشرون: قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾[5] أي الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف

(١) سورة الإسراء: جزء من الآية ٤٤ .
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (١/ ٥٢).
(٣) سورة النحل: جزء من الآية ٧٤ .
(٤) تفسير النسفي (٢/ ٢٦٤).
(٥) سورة النحل: جزء من الآية ٦٠ .

ربنا عزَّ وجلَّ بصفات المخلوقين من التغيّر والتطور والحلول في الأماكن والسُّكْنى فوق العرش، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال المفسّر اللغوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره: «أي الصفة العليا من تنزيهه تعالى عن الولد والصاحبة، وجميع ما تنسب الكفرة إليه مما لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى في صورة»[١] اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره: «فإن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فالجواب أن قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي الأمثال التى توجب الأشباه والنقائص، أي لا تضربوا لله مثلا يقتضى نقصا وتشبيها بالخلق.

والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا»[٢] اهـ.]

الحجة الرابعة والعشرون: ومما يؤيد ذلك من الأحاديث الحديث المشهور وهو ما روي أن عمران بن الحصين قال: يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شيء معه»[٣]:

والحديث رواه البخاري والبيهقي وابن الجارود، وقد دللنا مرارًا كثيرة على أنه تعالى لو كان مختصًا بالحيّز والجهة لكان

---

(١) النهر الماد (ج٢/ ق١/ ص٣٥٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١١٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه «بلفظ: كان الله ولم يكن شيء غيره» (٣/ ١١٦٦)، (٣٠١٩)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

ذلك الحيّز شيئًا موجودًا معه وذلك على نقيض هذا النص.

[ومعنى الحديث أن الله لم يزل موجودًا في الأزل، ليس معه غيره لا ماء و لا هواء ولا أرض و لا سماء ولا كرسي ولا عرش ولا إنس ولا جن ولا ملائكة ولا زمان ولا مكان ولا جهات، فهو تعالى موجود قبل المكان بلا مكان وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه، وهذا يستفاد من الحديث المذكور[١]. ولا يوصف سبحانه بالتغير لأن التغير صفة المخلوقين، فلا يقال كما تقول المشبّهة إن الله كان في الأزل ولا مكان ثم بعد أن خلق المكان صار هو في مكان وجهة فوق والعياذ بالله تعالى. وما أحسن قول المسلمين المنزهين في لبنان: «**سبحان الذي يُغيّر ولا يتغيّر**»، وهذه عبارة سليمة عند أهل السنة، غير أن المشبهة المجسمة أدعياء السلفية تشمئز نفوسهم منها لأنها تهدم عليهم عقيدة التشبيه.

الحجة الخامسة العشرون: والحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[٢]

فلو كان الأمر كما تقول المشبهة إن الله ساكن فوق ما كان النبي قال: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد».

قال الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي: «قال القرطبي: هذا أقرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة لأنه منزه عن المكان والمساحة والزمان، وقال البدر بن الصاحب في

(١) الشرح القويم لشيخنا العبدري رحمه الله (ص/١٠٩).
(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٠)، (٤٨٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

تذكرته: في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى، وأن العبد في انخفاضه غاية الانخفاض يكون أقرب ما يكون إلى الله تعالى»[١] اهـ.

الحجة السادسة والعشرون: والحديث الذي أخرجه ابن حبان من طريق ابن مسعود «**أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها**»[٢] ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ «**ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد**»[٣] وإسناده حسن، ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه[٤].

وعند الحافظ الهيثمي عن ابن مسعود قال: «**ما صلت امرأة في موضع خير لها من قعر بيتها إلا أن يكون المسجد الحرام أو مسجد النبي ﷺ إلا امرأة تخرج في منقليها**»[٥]، يعني: خفيها، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**المرأة عورة وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان وإنها أقرب ما تكون إلى الله وهي في قعر بيتها**» رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون[٦].

---

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي (٢/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ٤١٢)، (٥٥٩٨).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٣٢)، (٥١٤٨)، جماع أبواب إثبات إمامة المرأة وغيرها، باب خير مساجد النساء قعر بيوتهن.

(٤) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار في هامش إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٥٨).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٩٣)، (٩٤٧٢)، عبد الله بن مسعود الهذلي يكنى أبا عبد الرحمٰن.

(٦) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي (٢/ ١٥٦)، باب خروج النساء إلى المساجد وغير ذلك وصلاتهن في بيوتهن وصلاتهن في المسجد.

قال شيخنا الحافظ العلامة عبد الله الهرري رحمه الله رحمة واسعة: وماذا تقول الوهابية في هذا الحديث هل يؤولون الوجه أم يتركونه على الظاهر، فإن أولوا بما أول به السلف كان ذلك موافقة للسلف ونقضا لمذهبهم بمنع التأويل، وإن أولوه بالذات فقد نقضوا اعتقادهم بأن الله فوق العرش لأنه يلزم على هذا بأن الله قريب إلى المرأة بالمسافة.

فماذا يصنعون؟! هل يتركون مذهبهم الذي هو التجسيم وجعل الله على ظهر العرش؟!

فإن المسافة ما بين العرش إلى حيث تكون المرأة في الأرض معلوم أنها لفي غاية البعد أم ماذا يصنعون؟!.

فإن قالوا: قرب معنوي فقد نقضوا مذهبهم أيضا، وهذا إلزام لا مهرب لهم منه والحديث ثابت رواه ابن حبان وغيره»[1] اهـ.

الحجة السابعة العشرون: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء» رواه مسلم وأبو داود والبيهقي[2].

قال الطبري في تفسيره: «فلا شىء أقرب إلى شىء منه، كما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[3][4] اهـ. أي أن الإمام

(١) التعاون على النهي عن المنكر (ص/٤٣).
(٢) صحيح مسلم (٨/٧٨)، سنن أبي داود (٢/٧٣٢)، الأسماء والصفات للحافظ البيهقي (١/٣٦)، صحيح ابن حبان (٣/٢٤٦)، السنن الكبرى للنسائي (٤/٣٩٥).
(٣) سورة ق: ١٦ .
(٤) جامع البيان وهو تفسير القرءان للحافظ الكبير ابن جرير الطبري (٢٧/٢١٥).

الطبري نفى القُرْبَ الحِسِّي الذي تفتريه المجسمة، أما القرب المعنوي فلا يَنفيه، وهذا دليل على تنزيه الله عن المكان والجهة.

فالله تعالى هو الأول أي الأزلي الذي لا ابتداء لوجوده، كان ولم يكن مكان ولا زمان ثم خلق الأماكن والأزمنة ولا يزال موجودًا بلا مكان، ولا يطرأ عليه تغيّر لا في ذاته ولا في صفاته.

قال الحافظ البيهقي ما نصه: «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه أي عن الله بقول النبي صلوات ربي وسلامه عليه: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[1] **وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان**»[2] اهـ.

وهذا شيء ظاهرٌ جدًا في هذا الحديث. فإذا قال المشبّه: فليس دونك شيء ليس المراد أنه ليس هناك شيء تحت الله حسًا وإنما المراد شيءٌ آخر.

نقول له: تأولت وهذا خلاف الظاهر، لماذا تأولت هنا بغير دليل؟ إذا نحن أوّلنا بدليلٍ تُنكر علينا، أنت هنا تريد أن تؤول من غير دليل لأن الحديث يشهد عليك. هذا الحديث فيه رد ظاهر على الذين ينسبون الجهة إلى الله.

وقال الإمام النووي: «وأما معنى الظاهر من أسماء الله فقيل: هو من الظهور بمعنى القهر والغلبة وكمال القدرة، ومنه ظهر فلان على فلان، وقيل: الظاهر بالدلائل القطعية. والباطن المحتجب عن خلقه، وقيل: العالم بالخفيات»[3] اهـ.

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤)، (٢٧١٣)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.
(٢) الأسماء والصفات (٢/ ١٤٤)، باب ما جاء في العرش والكرسي.
(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٦).

وقال شيخنا العبدري رحمه الله لبعض تلاميذه موجها إياه لمناظرة بعض مشبهة هذا العصر كفانا الله شرهم: احصره عند هذا الحديث يختنق.

الحجة الثامنة والعشرون: ومن الدليل على ما نحن فيه ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نهبط واديا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، والتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، ضعوا من أصواتكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعون دون ركابكم**»[1]:

روى الحافظ البيهقي عند كلامه على اسم الله القريب: «وقال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[2].

- ثم ساق سند حديث - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ كلما أشرفنا على واد هللنا وسبحنا وارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم سميع قريب**». رواه البخاري في «الصحيح»[3]، عن محمد بن يوسف الفريابي، وأخرجاه من وجه آخر ورواه خالد الحذاء، عن أبي عثمان وزاد فيه: «إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٩١)، (٢٨٣٠)، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير.

(٢) سورة سبأ: جزء من الآية ٥٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٩١)، (٢٨٣٠)، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير.

قال الحليمي: «ومعناه أنه لا مسافة بين العبد وبينه فلا يسمع دعاءه أو يخفى عليه حاله، كيف ما تصرفت به، فإن ذلك يوجب أن يكون له نهاية، وحاشا له من النهاية.

وقال الخطابي: معناه أنه قريب بعلمه من خلقه قريب ممن يدعوه بالإجابة كقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(١)(٢) اهـ.

وروى: «عن مجاهد في قوله تعالى ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾(٣) قال: كان أغصان السدرة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، فرآه محمد ﷺ بقلبه، ورأى ربه، وعن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾(٤) يعني: حيث الوتر من القوس، يعني ربه تبارك وتعالى من جبريل عليه السلام.

قلت (الحافظ البيهقي): فعلى هذه الطريقة المراد بالقرب المذكور في الآية قرب من حيث الكرامة لا من حيث المكان، ألا تراه قال: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾، وإنما يتصور الأدنى من قاب قوسين في الكرامة، وهو كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ يعني: بالإجابة، ألا تراه قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقد قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٨٦ .
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١١).
(٣) سورة النجم: ١٦ .
(٤) سورة النجم: ٩ .
(٥) سورة الواقعة: جزء من الآية ٨٥ .

وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[١]، وإنما أراد بالعلم والقدرة لا قرب البقعة، ونظيره من الحديث: . . . عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نهبط واديا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، والتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، ضعوا من أصواتكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعون دون ركابكم**»[٢] اهـ.

وفي شرح البخاري للحافظ ابن حجر عند الكلام على حديث جابر: «كنّا إذا صعدنا كبّرنا إذا نزلنا سبّحنا»، من كتاب الجهاد ما نصه:

«قال المهلب: تكبيرُه ﷺ عند الارتفاع استشعار لكبرياء الله عز وجل وعند ما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء. وتسبيحه في بطون الأودية مستنبط من قصة يونس، فإن بتسبيحه في بطن الحوت نجّاه الله من الظلمات، فسبح النبي ﷺ في بطون الأودية لينجيه الله منها، وقيل مناسبة التسبيح في الأماكن المنخفضة من جهة أن التسبيح هو التنزيه فناسب تنزيه الله عن صفات الانخفاض كما ناسب تكبيره عند الأماكن المرتفعة. ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محالا على الله أن لا يوصف بالعلو لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس. وكذلك في صفته تعالى العالي والعليّ والمتعالي، ولم يرد ضد ذلك وإن كان قد أحاط بكل شيء علما جل وعز»[٣] اهـ.

---

(١) سورة ق: جزء من الآية ١٦ .
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٥٣).
(٣) فتح الباري (٦/ ١٣٦)، كتاب الجهاد.

الحجة التاسعة والعشرون: ومما يدل أيضًا على ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفّيه إلى السماء»[(١)] أي أن النبي جعل بطون كفّيه إلى جهة الأرض:

قال الحافظ النووي: «قوله إن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء، قال جماعة من أصحابنا وغيرهم: السنة في كل دعاء لرفع بلاء كالقحط ونحوه أن يرفع يديه ويجعل ظهر كفيه إلى السماء، وإذا دعا لسؤال شيء وتحصيله جعل بطن كفيه إلى السماء»[(٢)] اهـ.

وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السفل.

الحجة الثلاثون: ويدل أيضًا على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متّى**»[(٣)] اهـ واللفظ للبخاري.

قال المفسّر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره ما نصه: «قال أبو المعالي: قوله ﷺ: «**لا تفضّلوني على يونس بن متى**» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦١٢)، (٨٩٦)، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٩٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٤٤)، (٣٢١٥)، كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة الصافات]، رواه مسلم في صحيح (٤/ ١٨٤٦)، (٢٣٧٦)، كتاب الفضائل: باب في ذكر يونس عليه السلام.

وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس في جهة»[١] اهـ.

وقال العلامة المحدّث الفقيه عبد الله الهرري رحمه الله رحمة واسعة ما نصه: «ومما استدل به أهل السنة على أن العروج بالنبي إلى ذلك المستوى الذي لمّا وصل إليه سمع كلام الله لم يكن لأن الله تعالى متحيزٌ في تلك الجهة، أن موسى لم يسمع كلامه وهو عارجٌ في السموات إلى محل كالمحل الذي وصل إليه الرسول محمد، بل سمع وهو في الطور، والطور من هذه الأرض؛ فيُعلَمُ من هذا أن الله موجودٌ بلا مكان، وأن سماع كلامه ليس مشروطًا بالمكان، وأن صفاته ليست متحيزة بالمكان، جعل سماع محمد لكلامه الأزلي الأبدي في وقت كان فيه محمد في مستوى فوق السموات السبع حيث يعلمُ الله، وموسى كان سماعه في الطور، وأن نبينا ﷺ صار مشرفًا بجميع أقسام التكليم الإلهي المذكور في تلك الآية، ولم يجتمع هذا لنبي سواه»[٢] اهـ.

فإذا استوفينا هذه الدلائل والحجج والبراهين فما أحسن أن نختم بكلام جامع يجمع ما تفرق هناك، وهي الطريقة التي أشرت لها في المقدمة:

قال أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية: فإن قيل: أليس الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٣] فيجب الأخذ بظاهره.

---

(١) الجامع لأحكام القرءان (١١/ ٣٣٣ - ٣٣٤).

(٢) إظهار العقيدة السنية (ص/ ١١٨ - ١١٩).

(٣) سورة طه: ٥ .

قلنا: الله يقول أيضا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(1) ويقول: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾(2) فينبغي أيضًا (أي على مقتضى أتباع المشبهة للظاهر وتركهم للتأويل) أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطا بالعالم محدقًا به بالذات في حالة واحدة، والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة بكل مكان.

قالوا: قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني بالعلم و﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ إحاطة العلم.

قلنا: وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قهر وحفظ وأبقى»(3) اهـ.

يعني أنهم قد أولوا هذه الآيات ولم يحملوها على ظواهرها فكيف يَعيبون على غيرهم تأويل آية الاستواء بالقهر فما هذا التحكم؟!

قال الإمام علم الهدى أبو منصور الماتريدي السمرقندي: «وجملة ذلك أن إضافة كلية الأشياء إليه، وإضافته عز وجل إليها يخرج مخرج الوصف له بالعلو والرفعة ومخرج التعظيم له والجلال:

كقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(4) ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(5)، إله الخلق (يريد قوله تعالى في الأنعام: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(6) **رب العالمين**،

---

(1) سورة الحديد: جزء من الآية ٤ .

(2) سورة فصلت: جزء من الآية ٥٤ .

(3) إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين للحافظ الزبيدي (٢/ ١٠٧).

(4) سورة البقرة: جزء من الآية ١٠٧ .

(5) سورة الرعد: جزء من الآية ١٦ .

(6) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠٢ .

وفوق كل شيء (يريد قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[١]، ونحوه.

وإضافة الخاص إليه يخرج مخرج الاختصاص له بالكرامة والمنزلة والتفضيل له على من هو بجوهره: نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[٣] ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾[٤] بيت الله، وغير ذلك، ولا يخرج شيء من ذلك على مثل المفهوم من إضافة الخلق بعضهم إلى بعض، لا قطع احتمال مثله في الخلق، إذ قد تخرج أيضا إضافة التخصيص مخرج التفضيل، والعموم مخرج فضل السلطان والولاية»[٥].

وقال عند كلامه على الاستواء: «وبعد، فإنه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو من المكان للجلوس أو القيام شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء كمن يعلو السطوح أو الجبال إنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند إستواء الجوهر، فلا يجوز صرف تأويل الآية إليه مع ما فيها ذكر العظمة والجلال إذ ذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٦] فدلك على تعظيم العرش أي شيء كان من نور أو جوهر لا يبلغه علم الخلق، وقد روى عن نبي الله ﷺ أنه وصف الشمس أن جبريل يأتيها بكف من ضوء العرش فيلبسها كما يلبس أحدكم قميصه كل يوم تطلع، وذكر في القمر كفًا من نور العرش.

---

(١) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٨ .
(٢) سورة النحل: جزء من الآية ١٢٨ .
(٣) سورة الجن: جزء من الآية ١٨ .
(٤) سورة الشمس: جزء من الآية ١٣ .
(٥) كتاب التوحيد (ص/٦٨)، وما بعدها.
(٦) سورة الأعراف: جزء من الآية ٥٤ .

فإضافة الاستواء إليه لوجهين:

أحدهما: ليدل على تعظيمه بما ذكره على أثر ذكر سلطانه في ربوبيته وخلقه ما ذكر.

والثاني: ليدل على تخصيصه بالذكر بما هو أعظم الخلق وأجله على المعروف من إضافة الأمور العظيمة إلى أعظم الأشياء، كما يقال: تم لفلان ملك بلد كذا واستوى، على موضع كذا لا على خصوص ذلك في الحق، ولكن معلوم أن من له ملك ذلك فما دونه أحق»[١] اهـ.

إلى أن قال: «فأشار إليه ليعلم علوه عن الأمكنة وتعاليه عن الحاجة، وعلى ذلك قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٢] والنجوى ليس من نوع ما يضاف إلى المكان، ولكن يضاف إلى الأفراد، فأخبر بعلوه عن الأمكنة وتعاليه عن أن يخفى عليه شيء، ثم بقدرته بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٣] أي بالسلطان والقوة، وبألوهيته في البقاع كلها، لأنها أمكنة العبادة، وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾[٤] ويملك كل شيء بقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥]، ثم بعلوه وجلاله بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧] وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٨]،

---

(١) كتاب التوحيد (ص/ ٧٠).
(٢) سورة المجادلة: جزء من الآية ٧ .
(٣) سورة ق: جزء من الآية ١٦ .
(٤) سورة الزخرف: جزء من الآية ٨٤ .
(٥) سورة الفرقان: جزء من الآية ٢ .
(٦) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٨ .
(٧) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠١ .
(٨) سورة الشورى: جزء من الآية ٩ .

فجمع في هذه الأحرف ما فرّق في تلك ليعلم أنه بكل ما سمّى به ووصف كان، كان ذلك بذاته لا بشيء من خلقه، وكذلك عزّه وشرفه ومجده، جلّ ثناؤه عن الأشباه ولا إلٰه غيره» اهـ.

ثم قال بعد أن ذكر بعض التأويلات في تفسير الاستواء أغفلت نقلها هنا عمدا طلبا للاختصار، ما نصه: «وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]، فنفى عن نفسه شبه خلقه، وقد بينا أنه في فعله وصفته متعال عن الأشباه، فيجب القول بالرحمٰن على العرش استوى على ما جاء به التنـزيل وثبت ذلك في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا واحتماله أيضا، ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق، ونؤمن بما أراد الله به، وكذلك في كل أمر ثبت التنـزيل فيه نحو الرؤية وغير ذلك يجب نفي الشبه عنه، والإيمان بما أراده من غير تحقيق على شيء دون شيء والله الموفق.

الأصل في هذا أن الأمر يضيق على السامع بما يقدره من المفهوم عن الخلق في الوجود، وإذ لزم القول في الله بالتعالي عن الأشباه ذاتا وفعلا لم يجز أن يفهم من الإضافة إليه المفهوم من غيره في الوجود مع ما كان الوقوف على المعنى يصرف إليه الكلام في الخلق بما هو علمه به قبل سمع ذلك الكلام، والله سبحانه علم قبل سمع ذلك الكلام على غير الذي علم عليه الخلق لم يجز صرف التأويل إلى ما فهمه من الخلق إذ سببه العلم المتقدم منه على احتمال ذلك المعنى معنى قد يفهم من الشاهد، من (على) ومن (العرش) ومن (الاستواء)

---

(١) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .

معان مختلفة، لم يجز صرف ذلك إلى أوحش وجه وثمة لأحسن ذلك مساغ، مع ما كان الله يمتحن بالوقوف في أشياء كما جاء من نعوت الوعد والوعيد وما جاء من الحروف المقطعة وغير ذلك مما يؤمن المرء أن يكون ذا مما المحنة فيه الوقف لا القطع، والله أعلم»[١] اهـ.

يصدق ذلك ما نقله الإمام الأصولي أبو منصور البغدادي الأسفراييني التميمي حيث قال ما نصه: «وأجمعوا - يريد أهل السنة والجماعة - على أنه لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان، على خلاف قول من زعم من الهشامية والكرامية أنه مماس لعرشه، وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «**إن الله خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتخذه مكانًا لذاته**»، وقال أيضا: «**قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان**»[٢] اهـ.

وقال أبو بكر الباقلاني: «مسألة: ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه. فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام والقعود، لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك.

فإن قيل أليس قد قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما

(١) كتاب التوحيد (ص/ ٧٤).
(٢) الفرق بين الفرق (٣٥٦).

جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان.[(١)]

وقال أبو عثمان المغربي يومًا لخادمه محمد المحبوب: لو قال لك قائل: أين معبودك؟ ماذا كنت تقول له؟ فقال: أقول حيث لم يزل ولا يزول. قال: فإن قال: فأين كان في الأزل؟ ماذا تقول؟ فقال: أقول حيث هو الآن. يعني: إنه كما كان ولا مكان.

وقال أبو عثمان: كنت أعتقد شيئًا من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابنا: إني قد أسلمت جديدا.

وقد سئل الشبلي عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ فقال: الرحمٰن لم يزل ولا يزول، والعرش محدث، والعرش بالرحمٰن استوى[(٢)].

---

(١) وهذا يشرح كلامه في تمهيد الأوائل (ص/ ٣٠٠ - ٣٠١): «فإن قال قائل: أين هو؟ قيل له: الأين سؤال عن المكان، وليس هو ممن يجوز أن يحويه مكان ولا تحيط به أقطار. غير أنا نقول: إنه على عرشه، لا على معنى كون الجسم بالملاصقة والمجاورة تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا!» وهو ما تحاول المشبهة به التمويه والتلبيس. وتتمته: «فإن قال قائل: فمتى كان؟ قيل له: سؤالك عن هذا يقتضي كونه في زمان لم يكن قبله؛ لأن (متى) سؤال عن الزمان. وقد عرفناك أنه قديم كائن قبل الزمان، وأنه الخالق للمكان والزمان وموجود قبلهما، وتوقيت وجود الشيء بعام أو مائة ألف عام يفيد ان الموقَّت وجوده معدوم قبل الزمان الذي وقّت به، وذلك مما يستحيل عليه تعالى».

(٢) معنى قوله: العرش بالرحمٰن استوى أن العرش بإيجاد الله تم.

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك؛ لأنه لو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدثًا، والله يتعالى عن جميع ذلك»[١] اهـ.

ثم يتابع الإمام أبو منصور الماتريدي رحمات الله عليه: «وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة، ولله أن يتعبد عباده بما شاء، ويوجههم إلى حيث شاء، وإن ظن من يظن أن رفع الأبصار إلى السماء لأن الله من ذلك الوجه، إنما هو كظن من يزعم أنه إلى جهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجها في الصلاة ونحوها، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة أو نحو مكة لخروجه إلى الحج، وفي المشاعر بالسعي فيها ضالة أو ناحية العدو ويقصدون قصد من يغلب على شيء يستنفد منه جل الله عن ذلك، ثم الله سبحانه إذ ليس وجه أقرب إليه من وجه، ولا أحق أن يعلمه من وجه ولا في وسع الخلق وجه الوصول إليه من وجه دون وجه، ولا طمع العقول بما هو عالم بذاته غنى عن عبادة خلقه، فتعبدهم لأنفسهم أن يقوموا بشكر نعمه، له المحنة كيف شاء لا يسبق إلى وهم أحدٍ الوصول إليه في جهة دون جهة إلا من يعرف الله حق المعرفة.

وقد بينا فيما تقدم وصف قربه وذلك بالإجابة كقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[٢] وبالنصر والمعونه

---

(١) الإنصاف (ص/ ٦٤ - ٦٦).

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٨٦ .

كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[١] والتقرب إلى المنزلة والمحل كقوله تعالى ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[٢]، وما روي أن من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا إلى آخر ذلك وقوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[٣]، وفي الكلأ والحفظ كقوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾[٤]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[٥]، وقوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾[٦]، وبالعلم بقوله: ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾[٧]، وغير ذلك، فعلى مثل بعض هذه الوجوه المجيء والذهاب مع ما كان مجيء الأجسام يفهم منه الإنتقال ثم مجيء الحق يفهم منه الظهور كقوله: ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾[٨]، وعلى ذلك ذهاب الباطل بطلانه، وذهاب الجسم انتقاله، فهذا محل المجيء والذهاب في المعروف من الأعراض والأجسام، والله يتعالى عن المعنيين جميعا لم يجز أن يفهم من المضاف إليه ذلك ولا قوة إلا بالله.

للمسألة عبارة أخرى أنه ما من جهة ولا حالة إلا لله على عباده فيها نعم لا تحصى، فجعل عليهم بها وفيها عبادات، كما جعل في الجوارح والأموال بها له فيهما من النعم ولا قوة إلا بالله.

---

(١) سورة النحل: جزء من الآية ١٢٨ .
(٢) سورة العلق: جزء من الآية ١٩ .
(٣) سورة المائدة: جزء من الآية ٣٥ .
(٤) سورة سبأ: جزء من الآية ٢١ .
(٥) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠٢ .
(٦) سورة الرعد: جزء من الآية ٣٣ .
(٧) سورة الأنعام: جزء من الآية ٣ .
(٨) سورة سبأ: جزء من الآية ٤٩ .

على أن السماء هي محل ومهبط الوحي ومنها أصول بركات الدنيا فرفع إليها البصر لذلك ولا قوة إلا بالله»[١] اهـ.

قال أبو حامد الغزالي: «فانظر كيف تلطف الشرع بقلوب الخلق وجوارحهم في سياقهم إلى تعظيم الله، وكيف جهل من قلت بصيرته ولم يلتفت إلا إلى ظواهر الجوارح والأجسام، وغفل عن أسرار القلوب واستغنائها في التعظيم عن تقدير الجهات، وظن أن الأصل ما يشار إليه بالجوارح ولم يعرف أن المظنة الأولى لتعظيم القلب، وأن تعظيمه باعتقاد علو الرتبة لا باعتقاد علو المكان، وأن الجوارح في ذلك خدم وأتباع يخدمون القلب على الموافقة في التعظيم بقدر الممكن فيها، ولا يمكن في الجوارح إلا الإشارة إلى الجهات، فهذا هو السر في رفع الوجوه إلى السماء عند قصد التعظيم، ويضاف إليه عند الدعاء أمر آخر وهو أن الدعاء لا ينفك عن سؤال نعمة من نعم الله تعالى، وخزائن نعمه السموات، وخزان أرزاقه الملائكة ومقرهم ملكوت السموات وهم الموكلون بالأرزاق. وقد قال الله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٢] والطبع يتقاضى الإقبال بالوجه على الخزانة التي هي مقر الرزق المطلوب، فطلاب الأرزاق من الملوك إذا أخبروا بتفرقة الأرزاق على باب الخزانة مالت وجوههم وقلوبهم إلى جهة الخزانة، وإن لم يعتقدوا أن الملك في الخزانة فهذا هو محرك وجوه أرباب الدين إلى جهة السماء طبعًا وشرعًا»[٣] اهـ.

---

(١) كتاب التوحيد (ص/ ٧٥ - ٧٧).

(٢) سورة الذاريات: ٢٢ .

(٣) في الاقتصاد في الاعتقاد (ص/ ٦١ - ٦٢).

وقال الإمام العارف الشيخ السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس رضي الله عنه في معراج القلوب (٢٣-٢٤): «أيها الوارث الروحي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحقق بالتوحيد الخالص، نزه الله في ذاته وصفاته، طهر قلبك من لوث رؤية الأغيار، أثبت في لوح سرك حكم حكمة التوحيد، بأن لا تشهد لغير الواحد سبحانه وتعالى قدرة في فعل من الأفعال (المؤثر الحقيقي هو الله) واحفظ نظرك من مصيبة التجسيم والتشبيه والفوقية والتحتية، وأجر الصفات مجراها، حكم النص في اعتقادك، ورد تأويله إلى الله تعالى إلى رسوله ﷺ.

واعلم أن الحدث لا يحيط إلا بالحدث، فكل ما خطر ببالك فالله لا يشبه ذلك، والله منزه عن كل ذلك، وقد عرفنا القرآن العظيم حقيقة التوحيد، ففي كتاب الله تعالى قال الله وهو أصدق القائلين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقال سبحانه ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[1] وقال جلت عظمته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾[2] وقال تبارك اسمه ﴿كُلُّ شَىْءٍ شَىْءٍ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3].

- فنفي المثلية قطع الأفكار عن الخوض بلجة التشبيه.

- وإثبات الإحاطة المطلقة بالأشياء قطع وهم الفوقية والتحتية.

- والتفرد بالقدرة محق قدرة الغير.

---

(١) سورة فصلت: جزء من الآية ٥٤ .

(٢) سورة المائدة: جزء من الآية ١٢٠ .

(٣) سورة القصص: جزء من الآية ٨٨ .

- والبقاء المطلق قطع مجانسة الحدث الهالك بحال من الأحوال، وشأن من الشؤون ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[١] وهذا هو التوحيد.

فقد ورد على لسان سيدنا ومولانا الإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «التوحيد وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه»[٢] اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره قول الله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣] ما نصه: «والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت، ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة، وإليها ترفع أعمال العباد، وفوقها عرشه وجنته، كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل أن خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان»[٤] اهـ.

تعالى الله عن أن يقال: كيف هو؟ أو أين[٥] هو؟[٦]. .

---

(١) سورة الشورى: جزء من الآية ٥٣ .

(٢) البرهان المؤيد (١/١٣٦)، لا تكن فضوليا.

(٣) سورة الملك: جزء من الآية ١٦ .

(٤) تفسير القرطبي (١٨/٢١٦).

(٥) الأين حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان، ذكره ابن الكمال، وقال: لفظ يبحث به عن المكان، كما أن متى يبحث به عن الزمان. التعاريف للمناوي (ص/١٠٧).

(٦) من مقدمة الإمام أبي القاسم القشيري للرسالة القشيرية (ص/٣).

فالله تعالى لا يجوز عليه الأينية لأن من لا مكان له لا يقال فيه أين كان، ولا تجوز عليه الكيفية لأن من لا مثل له لا يجوز أن يقال فيه كيف، هو الذي أين الأين فلا يقال له أين، والكيفية هي الصفات التي تقوم بالجرم أي الحجم.

قال الحافظ ابن الجوزي: «إنما يقع الإشكال في وصف من له أشكال، وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال، فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال، عظمته عظمت عن نيل كف الخيال.

كيف يقال له كيف والكيف في حقه محال، أنى تتخايله الأوهام وهي صنعه، كيف تحده العقول وهي فعله، كيف تحويه الأماكن وهي وضعه، انقطع سير الفكر، وقف سلوك الذهن، بطلت إشارة الوهم، عجز لطف الوصف، عشيت عين العقل، خرس لسان الحس. . .، جادة التسليم سليمة، وادي النقل بلا نقع، انزل عن علو غلو التشبيه، ولا تعل قلل أباطيل التعطيل، فالوادي بين جبلين، المشبه متلوث بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب المحق لبن خالص هو التنـزيه، تخمر في نفوس الكفار حب الأصنام فجاء محمد فمحا ذلك بالتوحيد، وتخمر في قلوب المشبهة حب صورة وشكل، حيث فمحوتها بالتنـزيه، والعلماء ورثة الأنبياء، ما عرفه من كيّفه، ولا وحّده من مثّله، ولا عبده من شبّهه، المشبه أعشى والمعطل أعمى.

. . .تعالى عن بعضية مِن، وتقدس عن ظرفية في، وتنـزه عن شبه كأن، وتعظم عن نقص لو أن، وعز عن عيب إلا أن، وسما كماله عن تدارك لكن.

. . .سبحان من أقام من كل موجود دليلا على عزته، ونصب علم الهدى على باب حجته، الأكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته، وكل موافق ومخالف يمشي تحت مشيئته، إن رفعت بصر الفكر ترى دائرة الفلك في قبضته، وتبصر شمس النهار وبدر الدجى يجريان في بحر قدرته، والكواكب قد اصطفت كالمواكب على مناكب تسخير سطوته، فمنها رجوم للشياطين ترميهم فترميهم عن حمى حمايته، ومنها (النجوم) سطور في المهامه يقرؤها المسافر في سفر سفرته، وإن خفضت البصر رأيت الأرض ممسكة بحكمة حكمته»[١] اهـ. بتصرف خفيف.

وقال في مقدمة كتابه اللطف في الوعظ: «لا بصفة الأول يحكم له مبدأ، ولا بالآخر صار له منتهى، ولا من الظاهر فهم له شبح، ولا من الباطن تعطل له وصف، خرست في حضرة القدس صولة لِمَ؟ وكفّت لهيبة الحق كف كيف؟ وغشيت لأنوار العزة عين عين الفكرة، فأقدام الطلب واقفة على حمى التسليم، جل عن أشباه وأمثال، وتقدس عن أن تضرب له الأمثال، وإنما يقع الاشتباه والإشكال، في حق من له أنداد وأشكال، المشبِه ملوث بفرث التجسيم، والمعطِل نجس بدم الجحود، ونصيب المحق من بين فرث ودم لبن خالص، هو المنزه لا يقال: لم لفعله؟ ولا متى لكونه؟ ولا فيم لذاته؟ ولا كيف لوصفه؟ ليس في صفاته أين؟ ولا مما يدخل في أحديته مِنْ، مَنْ طالع مرآة صمديته دلته صفاتها على التنزيه، وعلم أنه لا ينطبع فيها شبح الشريك، ولا خيال التشبيه «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فتهلكوا» إذا استقبل الرمد الريح فقد تعرض لزيادة الرمد.

---

(١) المدهش (ص/ ١٣٧ - ١٣٨).

جاء البعوض إلى سليمان عليه السلام يشكو من الريح، فاستحضر سليمان الريح، فذهب البعوض، فقال سليمان: إلى أين؟ فقال: لو كان لي قوة الثبوت معها ما شكوت منها»[١] اهـ.

وهو معنى قول جده الحبيب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: «العجز عن درك الإدراك إدراك»[٢] اهـ.

قال أبو المظفر الأسفراييني: «وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان، وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ونفي الابتداء والأولية، وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له: أين الله؟ فقال: إن الذي أين الأين لا يقال له أين. فقيل له: كيف الله؟ فقال إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف»[٣] اهـ.]

سبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره، ولا وصفه بما يليق به سواه، عجز الأنبياء والمرسلون عن ذلك، قال أجلهم قدرا وأرفعهم محلا وأبلغهم نطقا مع ما أعطى من جوامع الكلم: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٤].

---

(١) اللطف في الوعظ (ص/٥).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٩/ ٤٥) خلال رسالة أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابي الحلبي الأصل والتي أولها في (ج٩/ ص٣٤).

(٣) التبصير في الدين (ص/ ١٦١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٢)، (٤٨٦)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

ومن تأمل كلام الله عز وجل وجده محشوا بتنزيهه تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتارة بالإشارات[١].

فقد ثبت أن في القرآن والأخبار دلائل كثيرة تدل على تنزيه الله تعالى عن الحجمية والجسمية والحيّز والجهة.

(١) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/٢٣).

الباب الثاني:
التمييز بين المعقول والموهوم

تمهيد:

مما تقدم يفهم أن النصوص المتشابهة الواردة في القرآن والحديث لا يجوز حملها على الظاهر الذي يتبادر إلى أوهام المشبهة أو تخيلات الحلولية، لأن الله لا يقاس بخلقه، وإلا لم يكن للنهي عن التفكر في ذات الله سبحانه معنى، ولم يكن لانزعاج مالك حين سئل عن الاستواء حتى أخذته الرحضاء وإطراقه معنى، بل كان جوابه رضي الله عنه ساطعًا كالشمس: «استوى كما وصف نفسه ولا كيف، وكيف عنه مرفوع»[(١)] ففيه نفي الجلوس والاستقرار والتحيز، لأن كل هذه كيفيات والله منزّه عنها، لأن الكيف من صفات الحدث، وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه.

---

(١) الأسماء والصفات للحافظ البيهقي (٢/ ١٥٠ - ١٥١). عن عبد الله بن وهب، يقول: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل، فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝﴾ كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيفو وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه. قال: فأخرج الرجل.

وفي رواية عن يحيى بن يحيى، يقول: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝﴾ فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا. فأمر به أن يخرج» اهـ.

وذلك صريح كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه حيث قال في الوصية ما نصه: «ونقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا إلى الجلوس لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا»(١) اهـ.

وهو ما أجمله وأوجزه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر»(٢) اهـ.

والجلوس والاستقرار والتحيز والتمكن والحلول والجهة صفات وكيفيات تخطر للبشر، وأحمد هنا يقول: «لا كما يخطر للبشر» فلم يبق إلا التزام قول الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وهو قوله: «آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك»(٣).

وهذا شأن الأئمة يمسكون أعنة الخوض في هذا الشأن مع أنهم أعلم الناس به ولا يخوض فيه إلا أجهل الناس به، وسئل الإمام أبو حنيفة قدس الله روحه عن ذلك، فقال: «من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر»، لأن هذا القول يؤذن أن لله سبحانه وتعالى مكانا، ومن توهم أن لله مكانا فهو مشبه.

---

(١) شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة لملا علي القاري الحنفي (ص/٦١).
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد: (ص/١٧).
(٣) ذكره في الفواكه الدواني (١/ ٥١).

فهؤلاء الأئمة التي مدار الأمة عليهم في دينهم متفقون في العقيدة، فمن زعم أن بينهم اختلافا في ذلك فقد افترى على أئمة الإسلام والمسلمين، والله حسيبه وسيجزي الله المفترين.

وسئل بعض أئمة السلف عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[١]، فقال: الرحمٰن جل وعلا لم يزل، والعرش محدث بالرحمٰن استوى، ثم قال: كل ما ميزتموه بأذهانكم وأدركتموه في أتم عقولكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم، محدث ومصنوع مثلكم، لأن حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وهم أو يحيط به علم، كلا كيف يحيط به علم وقد اتفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[٢] أي عبارة تخبر عنه حقيقة الألفاظ، كلا قصرت عنه العبارات وخرست عنه الألسنة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾[٣]، تعالى الله وتقدس عن المجانسة والمماثلة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: معناها ليس له نظير.

وقال أهل التحقيق: ذكر العرش إظهارا لقدرته لا مكانا لذاته، إذ الذات ممتنعة عن الإحاطة بها -يريد لا نحيط علما بالله- والوقوف عليها، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾[٤]، فسبحانه هو المنـزه عن الشبيه القدوس المبرأ عن الآفات والمسبح بجميع اللغات، السلام السالم من نقائص المخلوقات، الصمد السيد الذي لا يشبهه شيء من المصنوعات والمخلوقات، الغني عن الأغيار،

(١) سورة طه: ٥ .
(٢) سورة الحديد: جزء من الآية ٣ .
(٣) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .
(٤) سورة النمل: ٢٦ .

تبارك وتعالى عن أن تحويه الجهات، الفرد الذي لا نظير له، المنفرد بصفات الكمال والقدرة، ومن بعض مقدوراته الكرسي والعرش والأرضون والسموات، شهد لنفسه بالوحدانية ونزهها بالآيات البينات، فصفاته لا يوصف بها غيره، ومن تعرض لذلك فقد طعن في كلامه وضاهى أهل العناد فاستوجب اللعن وأشد العقوبات.

قال البغداديون في قوله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[1]، كل صنع صنعه ولا علة لصنعته، ليس لذاته مكان لأنه قبل الكون والمكان وأوجد الأكوان بقوله (كن)، أزال العلل عن ذاته بالدرك وبالعبارة عنه وبالإشارة فلا يبلغ أحد شيئا من كنه معرفته، لأنه لا يعلم أحد على الحقيقة ما هو إلا هو، حي قيوم لا أول لحياته، ولا أمد لبقائه، احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الأبصار فعجز العقل عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، وانتهى المخلوق إلى مثله، وأسنده الطلب إلى شكله، أهو قولهم: كل صنع عبروا بالمصدر عن اسم المفعول كقوله تعالى ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴿١١﴾﴾[2]، ومن الجهل البين أن يطلب العبد المقهور «بكن»، درك ما لا يدرك، كيف وقد تنزه عن أن يدرك بالحواس أو يتصور بالعقل الحادث والقياس، من لا يدركه العقل من جهة التمثيل ويدركه من جهة الدليل، فكل ما يتوهمه العقل لنفسه فهو جسم وله نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة من الطول

---

(١) سورة البقرة: ١١٧ .

(٢) سورة لقمان: جزء من الآية ١١ .

والعرض وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان، وهو الأول قبل سوابق العدم الأبدي بعد لواحق القدم ليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات.

جلت ذاته القديمة التي لم تسبق بعدم أن يكون لها صفة حادثة، كما يستحيل أن يكون للذات الحادثة صفة قديمة، قال تعالى ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[1][2] اهـ.

قال الحافظ البيهقي: «والقديم سبحانه عال على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش، يريد به: مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها، والقيام والقعود من أوصاف الأجسام، والله عز وجل أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى. وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك هذه الطريقة عن بعض أصحابنا أنه قال: استوى بمعنى: علا، ثم قال: ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في مكان متمكنا فيه»[3] اهـ.

تنبيه: من لم يحترز بعقله هلك بعقله.

وهو تمامًا ما نبه إليه الحافظ ابن الجوزي: «سألني سائل: قد قال بعض الحكماء: «من لم يحترز بعقله هلك بعقله» فما معنى هذا؟ فبقيت مدة لا ينكشف لي المعنى ثم اتضح، وذلك أنه إذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل فزع إلى

---

(١) سورة مريم: ٦٧ .

(٢) مختارات من المصدر السابق دفع شبه من شبه وتمرد (ص/١٨ - ٢٠).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٤١٢).

الحس فوقع التشبيه، فالاحتراز من العقل بالعقل، هو أن ينظر فيعلم أنه لا يجوز أن يكون الله جسمًا ولا شبهًا لشيء»[١] اهـ.

وقد مرت بك طريقة الجمع بين الآيات الواردة في كتاب الله المجيد من كلام إمام الهدى أبي منصور الماتريدي وغيره في تنزيه الله عن الجهة والمكان فلا نعيدها هنا.

وعلى هذه الطريقة يحمل معنى العلي العظيم من أسماء الله:

قال فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ما نصه: «قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[٢] لا يجوز أن يكون المراد بكونه عليا العلو في الجهة والمكان لما ثبتت الدلالة على فساده، ولا يجوز أن يكون المراد من العظيم العظمة بالجثة وكبر الجسم، لأن ذلك يقتضي كونه مؤلفا من الأجزاء والأبعاض وذلك ضد قوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ فوجب أن يكون المراد من العلي المتعالي عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات، ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر والاستعلاء وكمال الإلهية»[٣] اهـ.

وقال الحافظ الشيخ عبد الله الهرري رضي الله عنه في الرد على المشبهة المجسمة الذين يقولون بالعلو الحسي في حق الله ما نصه: «والعلو على وجهين: علو مكان، وعلو معنى أي علو قدر، والذي يليق بالله هو علو القدر لا علو المكان، لأنه لا شأن في علوّ المكان إنما الشأن في علو القدر، ألا ترون أن حملة العرش والحافين حوله هم أعلى مكانًا من سائر عباده وليسوا أفضل خلق الله، بل الأنبياء الذين مكانهم تحت أفضل

(١) صيد الخاطر (ص/ ٣٨٠)، فصل حدود العقل.
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥٥.
(٣) تفسير الرازي المسمى التفسير الكبير (٢٧/ ١٤٤).

منهم، ولو كان علو المكان يستلزم علو القدر لكان الكتاب الذي وضعه الله فوق العرش وكتب فيه: «إن رحمتي سبقت غضبي»[١] مساويًا لله في الدرجة على قول أولئك -أي على قول من قال إن الله فوق العرش بذاته-، ولكان اللوح المحفوظ الذي هو على قول بعض العلماء إنه فوق العرش ليس دونه، مساويًا لله في الدرجة بحسب ما يقتضيه زعمهم، فعلى هذا المعنى يحمل تفسير مجاهد لقول الله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٢] بعلا على العرش كما رواه البخاري[٣][٤] اهـ. وهو نفيس جدًا، وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لهذا في محله.

وكذلك معنى قولنا «الله أكبر» أي أكبر من كل شيء قدرا وعلما وقدرة، ولا يتبادر إلى فهم السامع لهذه الكلمة الشريفة كبر الحجم في حق الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٤٥)، (٧١١٥)، كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [سورة البروج].

(٢) سورة طه: ٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه معلقًا (٦/ ٢٦٩٨)، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ۝٧﴾ [سورة هود].

(٤) إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية (ص/ ١٦٥).

المبحث الأول
ليس محور الاعتقاد على الوهم
بل على ما يقتضيه العقل الصحيح السليم

العقل شاهد للشرع، أي هو يدل على صحة ما جاء به الشرع، وذلك أن المحدود (وهو ما كان له حجم صغيرا كان أم كبيرا) محتاج إلى من حده بذلك الحد فلا يكون إلها.

فكما صح وجود الله تعالى بلا مكان وجهة قبل خلق الأماكن والجهات، فكذلك يصح وجوده بعد خلق الأماكن بلا مكان وجهة، وهذا لا يكون نفيا لوجوده تعالى كما لم يكن قولنا «كما صح وجود الله تعالى بلا مكان وجهة قبل خلق الأماكن والجهات» نفيا لوجوده سبحانه.

قال الصحابي الجليل والخليفة الراشد سيدنا عليٌّ رضي الله عنه ما نصه: «كان - الله - ولا مكان، وهو الآن على ما - عليه - كان»[١] اهـ. أي بلا مكان.

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: «الأصل فيه أن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جل عن التغير والزوال والاستحالة والبطلان إذ ذلك أمارات الحدوث التي بها عرف حدث العالم ودلالة احتمال الفناء»[٢] اهـ.

ونقل البياضي في إشارات المرام نقلا عن الفقه الأبسط لأبي

(١) الفرق بين الفِرَق لأبي منصور البغدادي (ص/٣٣٣).
(٢) كتاب التوحيد (ص/٦٩).

حنيفة رضي الله عنه ما نصه: «كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين» أي مكان «ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء» اهـ. موجد له بعد العدم فلا يكون شيء من المكان والجهة قديما.

ثم قال البياضي: وفيه إشارات: الأولى: بأنه تعالى لو كان في مكان وجهة لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسما، لأن **المكان** هو الفراغ الذي يشغله الجسم، **والجهة** اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل»[(١)] اهـ.

وروى الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء بالإسناد المتصل أن الإمام عليًا زين العابدين كان يقول: «سبحانك أنت الله لا إله إلا أنت **لا يحويك مكان** لا تحس ولا تمس ولا تجس»[(٢)] اهـ. وزين العابدين كان أفضل أهل البيت في زمانه.

وقد قرر هذه العبارة من لا يحصى من علماء الإسلام كأبي حنيفة وابن جرير الطبري والماتريدي والأشعري وغيرهم.

بل نقل أبو منصور البغدادي التميمي إجماع أهل السنة على أن الله موجود بلا مكان، ذكره في كتابه الفرق بين الفرق، فلا عبرة بعد ذلك بمشبه يعترض على هذه الكلمة الجليلة، فإن من خالف ذلك وأثبت لله تعالى المكان فقد شبهه بالمخلوقات وجعله عديلًا لها، وخالف صريح القرءان وصحيح الحديث والإجماع والعقل.

---

(١) نقلًا عن إشارات المرام من عبارات الإمام البياضي (ص/ ١٩٧).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٤/ ٣٨١).

قال الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الشيباني الحنفي (٦٢٩هـ) ما نصه: «فكان القول بالمكان والتمكن ردا لهذا النص المحكم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ الذي لا احتمال فيه، وردّ مثله يكون كفرا.

ومن حيث المعقول: إن الله تعالى كان ولا مكان لأن المكان حادث بالإجماع.

فعلم يقينا أنه لم يكن متمكنا في الأزل في مكان، فلو صار متمكنا بعد وجود المكان لصار متمكنا بعد أن لم يكن متمكنا، ولا شك أن هذا المعنى حادث وحدوث المعنى في الذات أمارة الحدث، وذات الله القديم يستحيل أن يكون محل الحوادث على ما مرّ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»[1] اهـ.

وقال أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي من علماء ما وراء النهر (كان حيا سنة ٥٣٩هـ) ما نصه: «ثم إن الصانع جل وعلا وعزَّ **لا يوصف بالمكان** لما مر أنه لا مشابهة بينه تعالى وبين شىء من أجزاء العالم، فلو كان متمكنًا بمكان لوقعت المشابهة بينه وبين المكان من حيث المقدار لأن المكان كل متمكن قدر ما يتمكن فيه. والمشابهة منتفية بين الله تعالى وبين شىء من أجزاء العالم لما ذكرنا من الدليل السمعي والعقلي، لأن في القول بالمكان قولا بقدم المكان أو بحدوث البارئ تعالى وكل ذلك محال؛ لأنه لو كان لم يزل في المكان لكان المكان قديما أزليا.

ولو كان ولا مكان ثم خلق المكان وتمكن فيه لتغير عن حاله ولحدثت فيه صفة التمكن بعد أن لم تكن، وقبول الحوادث من

(١) شرحه على العقيدة الطحاوية المسمى بيان اعتقاد أهل السنة (ص/ ٤٥).

أمارات الحدوث، وهو على القدير محال»[١] اهـ.

وللشيخ ابن جَهْبَل الحلبي الشافعي رسالة أَلَّفَها في نفي الجهة ردَّ بها على ابن تيمية الحرَّاني، قال ابن جَهْبَل فيها ما نصه: «وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة، فنقول: عقيدتنا أن الله قديم أزليٌّ، لا يُشبِهُ شيئًا ولا يشبهه شيء، ليس له جهة ولا مكان»[٢] اهـ.

قال شيخنا الحافظ العلامة اللغوي النحوي عبد الله بن محمد الهرري رحمه الله في العقيدة المنجية: «فإن قال الحشوية المجسمة المثبتون لله الحد[٣]: هذا نفي لوجود الله.

يقال لهم: أنتم بنيتم اعتقادكم على ما يصل إليه الوهم ولا عبرة بالوهم، إنما العبرة بالدليل الشرعي والعقل، وهذا الذي قررناه هو ما يقتضيه النقل والعقل.

فإن قلتم: لا نؤمن بما لا يصل إليه وهمنا فقد أنكرتم مخلوقا لا يصل إليه وهمكم مما أثبته القرءان كقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، فالنور والظلام مخلوقان حادثان بشهادة القرءان، فهل يفهم تصوركم وقتا (مخلوقا) لم يكن فيه نور ولا ظلام وقد ثبت ذلك بهذه الآية ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي أن الله خلق الظلمات والنور بعد أن لم يكونا، أوجدهما بعد أن كانا معدومين، وهذا لا تصل إليه أوهامنا ولا أوهامكم ولا يتطرق إليه تصورنا ولا تصوركم، من يستطيع أن يتصور وقتا لم يكن فيه نور ولا ظلام ومع ذلك يجب أن نؤمن أنه كان وقت

---

(١) التمهيد لقواعد التوحيد (ص/ ٦٢ - ٦٣).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ترجمة أحمد بن يحيى بن إسماعيل (٩/ ٣٥).

(٣) وهو ما له حجم كبيرًا كان أو صغيرًا.

(أي مخلوق) لم يكن فيه نور ولا ظلام، لأنه بعد خلق الماء والعرش خلق الله النور والظلام، فأول ما خلق الله الماء ثم العرش فإذا النور والظلام ما كانا إلا بعد وجود الماء والعرش، وليعلم أن ما جاز عليه الدخول والخروج فهو مخلوق لله الواحد الذي ليس كمثله شىء»[(١)] اهـ.

وقد مر الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء»[(٢)]. وقول الحافظ البيهقي: «قال أصحابنا: فلما لم يكن فوقه شىء ولا دونه شىء لم يكن في مكان»[(٣)] اهـ.

فلا يقاس سبحانه بخلقه أبدًا، قال الإمام أبو القاسم سليمان (سلمان) بن ناصر الأنصاري النيسابوري (٥١٢هـ) شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين بعد كلام في الاستدلال على نفي التحيّز في الجهة عن الله تعالى ما نصه: «ثم نقول: سبيل التوصل إلى درك المعلومات الأدلة دون الأوهام، ورُب أمر يتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرك العقل موجودًا يحاذي العرش مع استحالة أن يكون مِثْل العرش في القدر أو دونه أو أكبر منه، وهذا حكم كل مختص بجهة»[(٤)] اهـ.

ولذلك قال سيف الدين الآمدي ما نصه: «منشأ الخبط ههنا إنما هو من الوهم لإعطاء الحق (أي الله سبحانه) حكم الشاهد

(١) كتاب شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله تعالى ويليه العقيدة المنجية لشيخنا العبدري رحمه الله (ص/ ٦٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤)، (٢٧١٣)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٣) الأسماء والصفات (٢/ ١٤٤)، باب ما جاء في العرش والكرسي.

(٤) شرح الاعتقاد (ق/ ٥٨ - ٥٩)، مخطوط.

(أي المشاهدات المحسوسات) والحكم على غير المحسوس (يعني الله) بما حكم به على المحسوس، وهو كاذب غير صادق». . . إلى أن قال - وهنا انتبه -: «بل قد يشتد وهم بعض الناس بحيث يقضي به على العقل، وذلك كمن ينفر عن المبيت في بيت فيه ميت لتوهمه أنه يتحرك أو يقوم وإن كان عقله يقضي بانتفاء ذلك.

فإذا اللبيب من ترك الوهم جانبا ولم يتخذ غير البرهان والدليل صاحبا.

وإذا عرف أن مستند ذلك ليس إلا مجرد الوهم فطريق كشف الخيال إنما هو بالنظر في البرهان، فإنا قد بينا أنه لا بد من موجود هو خالق الكائنات، وبينا أنه لا جائز أن يكون له مثل من الموجودات شاهدا ولا غائبا، ومع تسليم هاتين القاعدتين يتبين أن ما يقضى به الوهم لا حاصل له»[١] اهـ.

قال أبو حامد الغزالي: «فوالله ما عرف الله غير الله في الدنيا والآخرة، يعني على سبيل الإحاطة والكمال، فهو الله المنزه عن الماهية، الأحد المقدس عن الكمية، الصمد المتعالي عن الكيفية، الذي لم يلد، بل هو المبدع ولم يولد، بل هو قديم الوجود، ولم يكن له كفوا أحد في ذاته وصفاته وأفعاله»[٢] اهـ.

---

(١) كتاب غاية المرام (١/١٨٦)، القانون الرابع، القاعدة الثنية في إبطال التشبيه وبيان ما لا يجوز على الله تعالى.

(٢) معارج القدس (ص/ ١٨٠).

المبحث الثاني
الموجود قسمان

قال القاضي الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن جماعة الشافعي الأشعري (٧٣٣هـ) ما نصه: «فإن قيل: نفي الجهة عن الموجود يوجب نفيه لاستحالة موجود في غير جهة؟

قلنا الموجود قسمان:

- موجود لا يتصرف فيه الوهم والحس والخيال. . .[١]
- وموجود يتصرف فيه ويقبله.

فالأول: ممنوع، والرب لا يتصرف فيه ذلك، إذ ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر فصح وجوده عقلا من غير جهة ولا حيز، كما دلّ الدليل العقلي فيه، فوجب تصديقه عقلا وكما دلّ الدليل العقلي على وجوده مع نفي الجسمية والعرضية مع بعد الفهم الحسي له فكذلك دلّ على نفي الجهة والحيز مع بعد فهم الحس له»[٢] اهـ.

قال شيخنا الحافظ الهرري العبدري رضي الله عنه في الرد على المجسمة ما نصه: «وأشد شبهة لهم -أي للمجسمة- قولهم إنه يلزم من نفي التحيّز في المكان عن الله تعالى كالتحيز في جهة فوق أنه نفي لوجوده تعالى.

يقال لهم: ليس من شرط الوجود التحيز في المكان، لأن

(١) في الأصل كتبت كلمة (والانفصال) لكن لم أفهم معناها في هذا السياق، وأظنها دخيلة.

(٢) إيضاح الدليل (ص/١٠٣ - ١٠٤).

الله تبارك وتعالى كان قبل المكان والزمان والجهات والأجرام الكثيفة واللطيفة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»[١] فأفهمنا أن الله تعالى كان قبل المكان والزمان والنور والظلام والجهات، فإذا صح وجوده قبل هؤلاء وقبل كل مخلوق صحّ وجودُه بلا تحيّز في جهة ومكان بعد وجود الخلق. وهذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره تفسيرٌ لقول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾[٢] فقد وصف ربنا نفسه بالأوّلية المطلقة، فلا أول على الإطلاق إلا الله، أما أوّلية بعض المخلوقات بالنسبة لبعض فهي أوّلية نسبيّة. وأنتم أيها المجسمة لما حصرتم الموجود فيما يدرِكه ويتصوره الوهم، وهو ما يكون متحيزًا في جهة ومكان، فهذا قياس منكم للخالق بالمخلوق، لأن المخلوق لما كان لا يخرج عن كونه جِرمًا كثيفًا أو لطيفًا أو صفة تابعة للجرم كالحركة والسكون قطعتم بعدم صحة ما ليس كذلك، فبهذا التقرير بطلت شبهَتهم وتمويههم»[٣] اهـ.

وقال الشيخ عبد الكريم الرفاعي الدمشقي (١٣٩٣هـ) أحد خواص تلاميذ الشيخ المحدث بدر الدين الحسني ما نصه: «ويستحيل أن يكون الإله في جهة، لأن الجهة التي هي الفوق والتحت والأمام والوراء واليمين والشمال لا تتصور ولا تعقل إلا ملازمة للجرم (الحجم)، وقد تقدم استحالة الجرمية عليه، فإذا لا يتصور أن يكون له جهة أو يكون في جهة»[٤] اهـ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/١١٦٦)، (٣٠١٩)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾.
(٢) سورة الحديد: جزء من الآية ٣ .
(٣) صريح البيان لشيخنا الحافظ الهرري العبدري رحمه الله (ص/١١٧).
(٤) كتابة المعرفة في بيان عقيدة المسلم (ص/٦٥).

وقال الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي (١٢٩٨هـ) ما نصه: «والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الأجسام، فإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه، فمن كان في مكان وجهة لا يرى إلا في مكان وجهة كما هو كذلك.. ثم قال: ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة»[١] اهـ.

وقال الشيخ العلامة الفقيه أبو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي طرابلس الشام الحنفي (١٣٠٥هـ) ما نصه: «ولا يقال لا يعلم مكانه إلا هو، ومن قال لا أعرف الله في السماء أم في الأرض كفر - لأنه جعل أحدهما له مكانا - فإن قال لك: ما دليلك على ذلك؟ فقل لأنه لو كان له جهة أو هو في جهة لكان متحيزا، وكل متحيز حادث (مخلوق)، والحدوث عليه محال»[٢] اهـ.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي ما نصه: «الجهات جمع جهة وهي ست فوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، والجهة عند المتكلمين هي نفس المكان باعتبار إضافة جسم آخر إليه، ومعنى كون الجسم في جهة كونه مضافًا إلى جسم آخر، حتى لو انعدمت الأجسام كلها لزم من ذلك انعدام الجهات كلها، لأن الجهات من توابع الأجسام وإضافاتها كما قدمنا في المكان والزمان، وحيث انتفى عن الله الزمان والمكان انتفت الجهات كلها عنه تعالى أيضًا، لأن جميع ذلك من لوازم الجسمية وهي مستحيلة في حقه تعالى»[٣] اهـ.

(١) شرحه العقيدة الطحاوية (ص/ ٦٩).
(٢) الاعتماد في الاعتقاد (ص/ ٥).
(٣) رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة (ص/ ٤٨ - ٤٩).

وقال الغزالي: «فإن قيل: اختص بجهة فوق لأنه أشرف الجهات.

قلنا: أي إنما صارت الجهة جهة فوق بخلقه العالم في هذا الحيز الذي خلقه فيه، فقبل خلق العالم لم يكن فوق ولا تحت أصلًا، إذ هما مشتقان من الرأس والرجل ولم يكن إذ ذاك حيوان فتسمى الجهة التي تلي رأسه فوق والمقابل له تحت.

والوجه الثاني: أنه لو كان بجهة لكان محاذيًا لجسم العالم، وكل محاذ فإما أصغر منه وإما أكبر وإما مساو، وكل ذلك يوجب التقدير بمقدار، وذلك المقدار يجوز في العقل أن يفرض أصغر منه أو أكبر فيحتاج إلى مقدار ومخصص»[١] اهـ.

وقال مفتي ولاية بيروت الأسبق الشيخ عبد الباسط الفاخوري الشافعي (١٣٢٣هـ) عن الله ما نصه: «ليس بجِرْم يأخذ قدرًا من الفراغ، فلا مكان له، وليس بعَرَض يقوم بالجِرم، وليس في جهة من الجهات، ولا يوصف بالكِبَر ولا بالصغر، وكل ما قام ببالك فالله بخلاف ذلك»[٢] اهـ.

وقال الشيخ المتكلم عبد العزيز بن عبد الرحمٰن السكندري (كان حيًّا سنة ١٣١٧هـ) ما نصه: «وكذا يستحيل عليه تعالى أن يكون في مكان أو زمان، لأن الحلول في المكان من لوازم الجرم والحلول في الزمان من لوازم الجرم والعرض»[٣] اهـ.

فإذا الوهم لا يدرك الأشياء التي لا تُدرك بالحواس على ما هي عليه، وذلك كحكمه على الواحد الحق الذي لا جهة له

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص/ ٥٩).
(٢) الكفاية لذوي العناية (ص/ ١٣).
(٣) الدليل الصادق على وجود الخالق (١/ ٩٤).

ولا بعض في قضية العقل بأنه لا بُدَّ أن يكون له حركة وسكون واجتماع وافتراق ومقدار ومكان قريب وبُعْدٌ إلى ما سوى ذلك من سائر عوارض الأجسام التي ألفها وأنس بها، فيحكم على ما لم يشاهده بحكم ما شاهده من المحسوسات فيها، والتخلص من غلط الوهم عزيز يختص به الآحاد، فهذا وجه الغلط في هذه المسالة وهو أن الوهم يحكم على الله بحكم ما تعود عليه من الأجسام والمكان والزمان، والعقل يحكم بإحالته في حق الله لقيام الدليل القاطع على استحالة اتصاف الخالق بصفات المخلوق[1] عِلّة هؤلاء المشبهه أنهم يجرون خلف الوهم ليس خلف حُكم العقل، هؤلاء لا عِبرة بكلامهم، كلامهم مبني على الوهم، والوهم ليس دليلًا، الدليل حُكم العقل، الذي يتمسّك بالوهم متمسّكه أوهى من بيت العنكبوت.

---

(١) تشنيف المسامع للإمام الزركشي (٤/ ٨٨١)، بتصرف يناسب السياق.

المبحث الثالث
الأوهام دخلت على النفوس في معرفة الله سبحانه من تعلق القلوب بالزمان والمكان والأجسام

فالشأن لحُكم العقل، في ديننا أمر حكم العقل معتبر، وما جاء في الشرع معتبر، أما حُكم الوهم لا عِبرة به، أهل السنه كلامهم معتمدٌ على القواعد الشرعيه ليس معتمدًا على الهوى ولا على الوهم إنما على ما يقتضيه حكم الشرع وحكم العقل، وقد عرفنا أن الله تعالى كان قبل الزمان والمكان والأجسام وقبل كل حادث، «فكما أنه لا مدخل للأوهام في إدراك حقيقة قدمه وبقائه سبحانه كذلك لا تدرك حقيقة كنه ذاته وصفاته، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[1]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[2] إنما دخلت الأوهام على النفوس في معرفته سبحانه وتعالى من تعلق القلوب بالزمان والمكان في وجوده تعالى، وقد عرفت أنه كان قبلهما وقبل كل حادث، فالكل في قبضة قهره ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[3]، فهو فوق كل شيء بقهره وعظمته، محيط بكل شيء ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾[4]، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾[5]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[6]، غاية ما بلغه الكاملون في معرفته

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٣ .
(٢) سورة الزمر: جزء من الآية ٦٧ .
(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٨ .
(٤) سورة البروج: ٢٠ .
(٥) سورة الجن: جزء من الآية ٢٨ .
(٦) سورة طه: جزء من الآية ١١٠ .

تعالى أنه ذات لا تدرك، وأن العجز عن إدراكه هو عين المعرفة، تفكروا في آلائه ولا تفكروا في ذاته»[١] اهـ.

ومعنى ذلك أن الله خالق الأمكنة والجهات كلها، وكان قبلها موجودا مستغن عنها، فكما صح وجود الله تعالى بلا مكان وجهة قبل خلق الأماكن والجهات فكذلك يصح وجوده سبحانه بعد خلق الأماكن بلا مكان ولا جهة، وهو غني عنها أزلا وأبدا.

وهو معنى ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**»[٢] ومعنى قول الله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣] أي أنه سبحانه لا بداية له أما الماء والهواء والنور أي الضوء والظلام والمكان والجهة، فكلها خلقت بعد أن لم تكن، بل إن النور والظلام خلقا بعد الماء والعرش والقلم واللوح كما دلّ عليه حديث البخاري، ومع ذلك فإن الوهم لا يتصور عدم النور والظلام معًا في آن واحد قبل أن يخلقا، فأي عقل يفهم حقيقة ذلك، ومع أنه غير مفهوم للإنسان نؤمن به لأن الله أخبر بذلك في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٤].

فالله تعالى لا تبلغه الأوهام أي لا تبلغه تصورات العباد لأن

---

(١) العقيدة الفائقة وهي الرسالة الثالثة من رسائل في عقائد أهل السنة والجماعة للشيخ قدوة المحققين المحدث محمد بن درويش الحوت (ص/١٠٣)، بتصرف يناسب السياق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/١١٦٦)، (٣٠١٩)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠١ .

(٤) سورة الأنعام: جزء من الآية ١ .

الإنسان وهمه يدور حول ما ألفه من الشيء المحسوس الذي له حجم وشكل وهيأة والله ليس كذلك، لذلك نهينا عن التفكر في ذات الله وأمرنا بالتفكر في مخلوقاته[١] كما مر، لأن التفكر في مخلوقاته يقوي اليقين.

ومما يؤيد ما ذكرناه ما قاله الشيخ الفقيه شيث بن إبراهيم المالكي ونصه: «واعلم بعد ذلك كله أن المعتزلة إنما تلقوا اعتقادهم في كلام الله تعالى من العقل المحض، والحشوية تلقوا اعتقادهم في كلام الله تعالى من ظاهر الشرع،[٢]... وسبب ذلك كله عدم ممارستهم للعلماء بل لطلبة العلم من أهل الكلام، فهؤلاء فرطوا وأولئك أفرطوا، وأهل الحق جمعوا بين المعقول والمنقول أي بين العقل والشرع، واستعانوا في درك الحقائق بمجموعهما فسلكوا طريقًا بين طريقي الإفراط والتفريط، وسنضرب لك مثالا يقرب من أفهام القاصرين ذكره العلماء كما أن الله تعالى يضرب الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، فنقول لذوي العقول: مثال العقل العين الباصرة، ومثال الشرع الشمس المضيئة، فمن استعمل العقل دون الشرع كان بمنزلة من خرج في الليل الأسود البهيم وفتح بصره يريد أن يدرك المرئيات ويفرق بين المبصَرات فيعرف الخيط الأبيض

---

(١) من الشرح القويم في حل الصراط المستقيم لشيخنا الحافظ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه (ص/١٠٦ - ١١١ - ١١٢) بتصرف.

(٢) تتمة كلامه: «من ظاهر الشرع المحض، ومن العرف الجاري به العادة فيما يتخاطب به الخلق، فظنوا أن كلام الله مثل كلامهم، فحكموا على الغائب عنهم بالشاهد عندهم، ومن قاس الغائب على الشاهد فقد أخطأ عند جماعة المتكلمين وأهل العقل أجمعين، فلا يحصل علم العالم على جهل الجاهل، وكونهم يقولون لا يفهم كلامًا إلا صوتًا وحرفًا فكلام العوام ومن لا يدري شيئًا ولا يعرف أحقيقة لا ولا مجازا» اهـ.

من الخيط الأسود، والأحمر من الأخضر والأصفر، ويجتهد في تحديق البصر فلا يدرك ما أراد أبدًا مع عدم الشمس المنيرة وإن كان ذا بصر وبصيرة، ومثال من استعمل الشرع دون العقل، مثال من خرج نهارًا جهارًا وهو أعمى أو مغمض العينين، يريد أن يدرك الألوان ويفرق بين الأعراض، فلا يدرك الآخر شيئًا أبدًا، ومثال من استعمل العقل والشرع جميعًا مثال من خرج بالنهار وهو سالم البصر، مفتوح العينين والشمس ظاهرة مضيئة، فما أجدره وأحقه أن يدرك الألوان على حقائقها، ويفرق بين أسودها وأحمرها وأبيضها وأصفرها.

فنحن بحمد الله السالكون لهذه الطريق وهو الطريق المستقيم، وصراط الله المبين، ومن زل عنها وحاد وقع في طريق الشيطان المتشعّبة عن اليمين والشمال، قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[(١)][(٢)] اهـ.

وأنا أؤكد هذا المعنى للتمييز بين المعقول والموهوم من خلال هذا التقريب:

١) أهل الإيمان والإسلام يجزمون بأن الله عالم بما لا نهاية له من المعلومات على التفصيل بعلم أزلي أبدي واحد من غير أن يحصل فيه اشتباه والتباس، وهذا على خلاف مقتضى الوهم والخيال، مع أنا إذا جربنا أنفسنا وجدناها متى اشتغلت باستحضار معلوم معين امتنع عليها في تلك الحالة استحضار معلوم آخر.

(١) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٥٣.
(٢) حز الغلاصم في إفحام المخاصم (ص/ ٩٣ - ٩٤).

فكان كونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات أمرًا على خلاف مقتضى الوهم والخيال[١].

ثم [إن علم الله لا يزداد ولا ينقص بل علمه كامل كما سائر صفاته يعلم به كل شيء، فالتغير يحصل في المعلوم الحادث لا في علم الله الأزلي، فالله يعلم ما كان في الماضي وما يكون في الوقت الحاضر وما سيكون في المستقبل حتى الأشياء التي تتجدد في الآخرة الله علم بها في الأزل، حتى أنفاس أهل الجنة وأهل النار التي تتجدد بلا انقطاع الله تعالى يعلم بتفصيلها، هنا يحتار العقل، فإذا أجرى الشخص قلبه في هذه المسئلة الوهم ينهار، هنا يقول كيف يكون علمه محيطا بما لا نهاية له، وأنفاسهم جارية لا انقطاع لها][٢]. ولما عظم عند الفلاسفة في العادة الإحاطة بكل شيء قالوا: إن الله يعلم الجمل لا التفاصيل[٣]، وتبعهم على ذلك من كتب الله عليه الشقاوة ممن انتسب للإسلام، أحسن الله ختامنا آمين...

٢) ومن تفكر في عظمة الله عز وجل طاش عقله، لأنه يحتاج أن يثبت موجودا لا أول لوجوده، هذا شيء لا يعرفه الحس وإنما يقر به العقل ضرورة[٤]، لأنا إذا نظرنا في ذات الخالق حار العقل، وبهت الحس فهو لا يعرف شيئا لا بداية له، إنه لا يعلم إلا الجسم والجوهر والعرض فإثبات ما يخرج عن ذاك لا يفهمه.

---

(١) باختصار وتصرف من أساس التقديس صحيفة (٢٠ - ٢١).

(٢) من الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم لشيخنا الحافظ الهرري رحمه الله (ص/١٦٨).

(٣) صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي (ص/ ٢٦٥).

(٤) صيد الخاطر (ص/٣٦٩).

ومتى قام العقل فنظر في دليل وجود الخالق بمصنوعاته، وأجاز بعثه نبي واستدل بمعجزاته، كفاه ذلك أن يتعرض لما قد أغنى عنه[(١)].

٣) ثم إنا نعتقد أنه يسمع أصوات الخلق.

٤) ويرى الصغير والكبير فوق أطباق السموات العلى وتحت الأرضين السفلى.

٥) ومعلوم أن الوهم البشري والخيال الإنساني قاصران عن معرفة أفعال الله سبحانه تعالى وصفاته، ومع ذلك فإنا نثبت الأفعال والصفات على مخالفة الوهم والخيال.

وقد ثبت أن معرفة كنه الذات أعلى وأجلّ وأغمض من معرفة كنه الصفات، فلما عزلنا الوهم والخيال في معرفة الصفات والأفعال فلأن نعزلهما في معرفة الذات أولى وأحرى[(٢)]. وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج إلى الكفر، فإن المجسمة دخلوا في ذلك لأنهم حملوا أوصافه على ما يعقلون[(٣)].

إذ ما يُشاهد في المحسوسات كلها محدث، وارتفاع دلالة الحدث عن المحدَث محال، والحق تعالى لا يجوز أن يتصف بصفات المحدثات. وليس من ضرورة الارتفاع عن الوهم العدمُ لما ثبت من الدلائل العقلية على الحدوث، وظهور التفرقة بين المعقول والموهوم على ما تقدم ذكره على وجه لا يبقى للمنصف فيه ريبة[(٤)].

---

(١) صيد الخاطر (ص/ ٢٦٤).
(٢) باختصار وتصرف من أساس التقديس (ص/ ٢٠ - ٢١).
(٣) صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي (ص/ ٢٦٥).
(٤) تبصرة الأدلة في أصول الدين (١/ ١٨٢).

- وإذا كان الله قد نهى خلقه عن الخوض في القدر فكيف يجوز الخوض في صفات المقدّر، وما ذاك إلا لأحد أمرين إما لعدم إثارة شبهة تزلزل العقائد، أو لأن قوى البشر تعجز عن إدراك الحقائق[١] نسأل الله عز وجل توفيقا للتسليم وتسليما للحكيم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٢].

سئل علي رضي الله عنه عن التوحيد والعدل، فقال: «التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه». وقال يحيى بن معاذ التوحيد في كلمة واحدة: «ما تصور في الأوهام فهو بخلافه»[٣].

وقال الحافظ ابن الجوزي: «تأملت سبب تخليط العقائد فإذا هو الميل إلى الحس وقياس الغائبات على الحاضر، فإن أقواما غلب عليهم الحس فلما لم يشاهدوا الصانع جحدوا وجوده ونسوا أنه قد ظهر بأفعاله، وأن هذه الأفعال لا بد لها من فاعل، فإن العاقل إذا مر على صحراء خالية ثم عاد وفيها غرس وبناء علم أنه لا بد من غارس، إذ الغرس لا يكون بنفسه ولا البناء.

ثم جاء قوم فأثبتوا وجود الصانع ثم قاسوه على أحوالهم فشبهوا حتى إن قائلهم يقول: في قول: «ينزل إلى السماء» ينتقل، ويستدل بأن العرب لا تعرف النزول إلا الانتقال.

وضل خلق كثير في صفاته كما ضل خلق في ذاته، فظن أقوام أنه يتأثر حين سمعوا أنه يغضب ويرضى، ونسوا أن صفته تعالى قديمة لا يحدث منها شيء.

(١) صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي (ص/ ١٨٣).

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ٨ .

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ٤٩).

وضل خلق في أفعاله، فأخذوا يعللون فلم يقنعوا بشيء فخرج منهم قوم إلى أن نسبوا فعله إلى ضد الحكمة تعالى عن ذلك.

ومن رزق التوفيق فليحضر قلبه لما أقول:

اعلم أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات وصفاته ليست كالصفات، وأفعاله لا تقاس بأفعال الخلق.

أما ذاته سبحانه فإنا لا نعرف ذاتا إلا أن تكون جسما، وذاك يستدعي سابقة تأليف وهو منزه عن ذلك لأنه المؤلّف، أو أن يكون جوهرا فالجوهر متحيز وله أمثال وقد جل عن ذلك، أو عرضا فالعرض لا يقوم بنفسه بل بغيره وقد تعالى على ذلك.

فإذا أثبتنا ذاتا قديمة خارجة عما يعرف فليعلم أن الصفات تابعة لتلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس شيئا منها على ما نفعله ونفهمه بل نؤمن به ونسلم به.

وكذلك أفعاله فإن أحدنا لو فعل فعلا لا يجتلب به نفعا، ولا يدفع عنه ضرا عد عابثا، وهو سبحانه أوجد الخلق لا لنفع يعود إليه ولا لرفع ضر، إذ المنافع لا تصل إليه والمضار لا تتطرق عليه.

فإن قال قائل: إنما خلق الخلق لينفعهم، قلنا: يبطله أنه خلق خلقا منهم للكفر وعذبهم، ونراه يؤلم الحيوان والأطفال وهو قادر على ألا يفعل ذلك.

فإن قال قائل: إنه يثيب على ذلك. قلنا: وهو قادر أن يثيب بلا هذه الأشياء، فإن السلطان لو أراد أن يغني فقيرا فجرحه ثم أغناه ليم على ذلك، لأنه قادر أن يغنيه بلا جراح.

ثم من يرى ما جرى لرسول الله ﷺ وعلى أصحابه من الجوع والقتل مع قدرة الناصر، ثم يسأل في أمه فلا يجاب، ولو كان المسؤول بعضنا قلنا لم تمنع ما لا يضرك، غير أن الحق سبحانه لا تقاس أفعاله على أفعالنا.

الذي يوجب علينا التسليم أن حكمته فوق العقل، فهي تقضي على العقول، والعقول لا تقضي عليها.

ومن قاس فعله تعالى على أفعالنا غلط الغلط الفاحش، وإنما هلكت المعتزلة من هذا الفن. فإنهم قالوا: كيف يأمر بشيء ويقضي بامتناعه؟ ولو أن إنسانا دعانا إلى داره ثم أقام من يصد الداخل لعيب عليه، ولقد صدقوا فيما يتعلق بالشاهد، فأما من أفعاله لا تعلل ولا تقاس بشاهد فإنا لا نصل إلى معرفة حكمته.

فإن قال قائل: فكيف يمكنني أن أقود عقلي إلى ما ينافيه؟

قلنا: لا منافاة لأن العقل قد قطع بالدليل الجلي أنه حكيم وأنه مالك، والحكيم لا يفعل شيئا إلا لحكمة غير أن تلك الحكمة لا يبلغها العقل.

ألا ترى أن الخضر خرق سفينة وقتل شخصا، فأنكر عليه موسى عليهما السلام بحكم العلم، ولم يطلع على حكمة فعله فلما أظهر له الحكمة أذعن؟ ولله المثل الأعلى.

فإياك أن تقيس شيئا من أفعاله على أفعال الخلق أو شيئا من صفاته سبحانه وتعالى، فإنك إن حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادا والنزول نقلة، ونجوت من الاعتراض الذي أخرج قوما إلى الكفر حتى طعنوا في الحكمة.

وأول القوم إبليس فإنه رأى تقديم الطين على النار ليس

بحكمة، فنسى أنه إنما علم ذلك بزعمه بالفهم الذي وهب له والعقل الذي منحه، فنسى أن الواهب أعلم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾(١)(٢) اهـ.

---

(١) سورة فصلت: جزء من الآية ١٥ .

(٢) صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي (ص/ ٣٢٦). صيد الخاطر (١/ ٢٧٢).

وها أنا أنقل من موضع آخر من الكتاب نفسه (ص/ ٢٧٢) ما يرجى ان ينتفع به أهل الغفلة تحت عنوان: هل يرد الاعتراض الأقدار؟ ما نصه:

«رأيت كثيرًا من المغفلين يظهر عليهم السخط وفيهم من قل إيمانه فأخذ يعترض، وفيهم من خرج إلى الكفر وراى أن ما يجري كالعبث، وقال: ما فائدة الإعدام بعد الإيجاد والابتلاء ممن هو غني عن أذانا؟

فقلت لبعض من كان يرمز إلى هذا: إن حضر عقلك وقلبك حدثتك، وإن كنت تتكلم بمجرد واقعك من غير نظر وإنصاف فالحديث معك ضائع، ويحك أحضر عقلك واسمع ما أقول:

أليس قد ثبت أن الحق سبحانه مالك وللمالك أن يتصرف كيف يشاء؟

أليس قد ثبت أنه حكيم والحكيم لا يعبث؟

وأنا أعلم أن في نفسك من هذه الكلمة شيئًا فإنه قد سمعنا عن جالينوس أنه قال: ما أدري؟ أحكيم هو أم لا؟ والسبب في قوله هذا أنه رأى نقضًا بعد إحكام فقاس الحال على أحوال الخلق وهو أن من بني ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم.

وجوابه لو كان حاضرًا أن يقال: بماذا بان لك أن النقض ليس بحكمة؟ أليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك؟

وكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو الكمال؟

وهذه هي المحنة التي جرت لإبليس فإنه أخذ يعيب الحكمة بعقله فلو تفكر على أن واهب العقل أعلى من العقل وأن حكمته أوفى من كل حكيم لأنه بحكمته التامة أنشأ العقول.

فهذا إذا تأمله المصنف زال عنه الشك، وقد أشار سبحانه إلى نحو هذا في قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۝٣٩﴾ أي أجعل لنفسه الناقصات وأعطاكم الكاملين؟ فلم يبق إلا أن نضيف العجز عن فهم ما يجري إلى أنفسنا، ونقول هذا فعل عالم حكيم ولكن ما يبين لنا معناه.

وليس هذا يعجب فإن موسى عليه السلام خفي عليه وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة وقتل الغلام الجميل فلما بين له الخضر وجه الحكمة أذعن. . . =

= أو لسنا نرى المائدة المستحسنة بما عليها من فنون الطعام النظيف الظريف يقطع ويمضغ ويصير إلى ما نعلم ولسنا نملك ترك تلك الأفعال ولا ننكر الإفساد له لعلمنا بالمصلحة الباطنة فيه.

فما المانع أن يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا تعلمه؟...

ولو لم يكن في الابتلاء بما تنكره الطباع إلا أن يقصد إذعان العقل وتسليمه لكفى.

ولقد تأمل حالة عجيبة يجوز أن يكون المقصود بالموت هي وذلك أن الخالق سبحانه في غيب لا يدركه الإحساس فلو أنه لم ينقض هذه البنية لتخايل للإنسان أنه صنع لا بصانع، فإذا وقع الموت عرفت النفس نفسها التي كانت لا تعرفها لكونها في الجسد وتدرك عجائب الأمور بعد رحيلها، فإذا ردت إلى البدن عرفت ضرورة أنها مخلوقة لمن أعادها وتذكرت حالها في الدنيا - الأفكار تعاد كما تعاد الأبدان - فيقول قائلهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾. ومتى رأيت ما قد وعدت به من أمور الآخرة أيقنت يقينًا لا شك معه، ولا يحصل هذا بإعادة ميت سواها وإنما يحصل برؤية هذا الأمر فيها، فتبنى بنية تقبل البقاء وتسكن جنة لا ينقضي دوامها، فيصلح بذلك اليقين أن تجاور الحق - يريد القرب المعنوي لا الحسي - لأنها آمنت بما وعد وصبرت بما ابتلى وسلمت لأقداره فلم تعترض، ورأت في غيرها العبر ثم في نفسها فهذه هي التي يقال لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

فأما الشاك والكافر فيحق عليهما الدخول إلى النار واللبث فيها، لأنهما رأيا الأدلة ولم يستفيدا ونازعا الحكيم واعترضا عليه، فعاد شؤم كفرهما يطمس قلوبهما فبقيت على ما كانت عليه.

فلما لم تنتفع بالدليل في الدنيا لم تنتفع بالموت والإعادة، ودليل بقاء الخبث في القلوب قوله تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾. فنسأل الله عز وجل عقلًا مسلمًا يقف على حده ولا يعترض على خالقه وموجده، ثم الويل للمعترض أيرد اعتراضه الأقدار؟ فما يستفيد إلا الخزي نعوذ بالله ممن خذل. وقال (ص٣٣٩): «فالفقيه من علل بما يمكن فإذا عجز استطرح للتسليم هذا شأن العبيد. فأما من يقول: لم فعل كذا وما معنى كذا فإنه يطلب الاطلاع على سر الملك وما يجد إلى ذلك سبيلًا لوجهين:

أحدهما: أن الله تعالى ستر كثيرًا من حكمه عن الخلق.

والثاني: ان ليس في قوى البشر إدراك حكم الله تعالى كلها، فلا يبقى مع المعترض سوى الإعتراض المخرج إلى الكفر: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ والمعنى من رضي بأفعالي وإلا فليخنق نفسه فما أفعل إلا ما أريد» اهـ.

- وكذلك فإن ما شاهدناه في المخلوقات هو:

تغيّر الصفات مثل انقلاب الماء والتراب نباتًا.

وانقلاب النبات جزء من بدن الإنسان.

فأما حدوث الذوات ابتداء من غير سبق مادة فهذا شيء ما شاهدناه ألبتة، ولا يقضي بجوازه وهمنا وخيالنا مع أنا سلّمنا أنه تعالى هو المحدث للذات ابتداء من غير سبق مادة[١].

ولذلك ترى أن الفلاسفة لما رأوا إيجاد شيء لا من شيء كالمستحيل في العادات قالوا بقدم العالم[٢].

- والأمثلة على ذلك كثيرة...

فدل على أننا نجزم بأمور هي على خلاف حكم الحس والخيال، وإذا كان الأمر كذلك فأي استبعاد في وجود موجود غير حال في العالم ولا متحيز في جهة أو مكان[٣]، ذلك أن التحيز في المكان والجهة يدل على الاحتياج، وشرط الألوهية الاستغناء عن كل شيء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٤]، ويوضح هذا أنك لو قلت: كل موجود لا يخلو أن يكون عالما أو جاهلا، قلنا: إن كان ذلك الموجود يقبل الضدين فنعم، فأما إذا لم يقبلهما كالحائط مثلا فإنه لا يقبل العلم ولا الجهل، ونحن ننزه الذي ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى كما نزه نفسه عن كل ما يدل على الحدث، وما ليس كمثله شيء لا يتصوره وهم ولا يتخيله خيال، والتصور والخيال إنما هما من نتائج

(١) باختصار وتصرف من أساس التقديس (ص/ ٢٠ - ٢١).

(٢) صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي (صم٢٦٥).

(٣) باختصار وتصرف من أساس التقديس (ص/ ٢٠ - ٢١).

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ٩٧ .

المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك، ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدو فأهلك خلقا، وقد تنبه خلق لهذه الغائلة فسلموا وصرفوا عنه عقولهم إلى تنزيهه سبحانه وتعالى فسلموا[١].

فثبت أنه لا يجوز قياس الخالق بمخلوقاته، وأنه يجب عزل حكم الوهم والخيال عند كلامنا عن ذات الله أو صفاته سبحانه، ذلك أن أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق[٢].

فثبت أنه لا يجوز قياس الخالق بمخلوقاته، ولذلك أنقل لك كلامًا للحافظ ابن الجوزي لتقف على مغزى مهم، فقد قال رحمه الله: «عجبت من أقوام يدعون العلم، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها، فلو أنهم أمرُّوها كما جاءت سلموا، لأن من أمرَّ ما جاء ومرَّ من غير اعتراض، فما قال شيئًا لا له ولا عليه، ولكن أقوامًا قصرت علومهم، فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا، وما هم إلا بمثابة قول الحجاج لكاتبه وقد مدحته الخنساء فقالت:

إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة شفاها

فلما أتمت القصيدة قال لكاتبه: اقطع لسانها[٣]، فجاء ذاك

(١) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ١١).
(٢) صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي (ص/ ٢٦٥).
(٣) وذلك خشية أن تهجوه إن لم يجزل لها العطاء وقد دل مدحها إياه على ذلك، فلم يأمر بقطع لسانها؟!.

الكاتب المغفَّل بالموسى، فقالت له: ويلك إنما قال أجزل لها العطاء، ثم ذهبت إلى الحجاج فقالت: كاد والله يقطع مقولي.

فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم، فإنه من قرأ الآيات والأحاديث ولم يزد لم أَلُمْهُ، وهذه طريقة السلف، فأما من قال: الحديث يقتضي كذا، ويحمل على كذا، مثل أن يقول: استوى على العرش بذاته، وينزل إلى السماء الدنيا بذاته، فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل».

ثم قال بعد كلام: «وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل، لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام، فقاس صفة الحق عليه، فأين هؤلاء واتباع الأثر؟».

ثم قال: «واعلم أيها الطالب للرشاد أنه سبق إلينا من العقل والنقل أصلان راسخان عليهما مر الأحاديث كلها:

أما النقل فقوله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] ومن فهم هذا لم يحمل وصفًا له على ما يوجبه الحس.

وأما العقل فإنه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات، واستدل على حدوثها بتغيرها ودخول الانفعال عليها، فثبت له قدم الصانع.

واعجبًا كل العجب من رادٍّ لم يفهم طبيعة الكلام! أليس في الحديث الصحيح أن الموت يذبح بين الجنة والنار؟ أوليس العقل إذا استغنى في هذا صرف الأمر عن حقيقته، لما ثبت عند من يفهم ماهية الموت أنه لا يذبح؟ هب أن رجلا تأوّل فقال: الموت عرض يوجب بطلان الحياة، فكيف يمات الموت؟ فإذا قيل له فما تصنع بالحديث؟ قال: هذا ضربُ مَثَل ليُعلم بتلك الصورة

(١) سورة الشورى: ١١ .

الحسية فوات ذلك المعنى، قلنا له: فقد روي في الصحيح: تأتي البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان، فقال: الكلام لا يكون غمامة ولا يتشبَّه، قلنا له أفتعطل النقل؟ قال: لا، ولكن أقول يأتي ثوابهما، قلنا فما الدليل الصارف لك عن هذه الحقائق؟ فقال: علمي بأن الكلام لا يتشبه بالأجسام، والموت لا يذبح ذبح الأنعام. ولقد علمتم سعة لغة العرب.

إن أحدًا لو صرف الكلام على هذا النحو ما ضاقت أعطانكم من سماع مثل هذا منه، وإذن لقال له العلماء: صدقت. هكذا نقول في تفسير مجيء البقرة، وفي ذبح الموت، أليس من حقه أن يقول: واعجبًا لكم، صرفتم عن الموت والكلام ما لا يليق بهما، حفظًا لما علمتم من حقائقهما فكيف لم تصرفوا عن الإلٰه القديم ما يوجب التشبيه له بخلقه، بما قد دلَّ الدليل على تنزيهه عنه؟ فما زال يجادل الخصوم بهذه الأدلة ويقول: لا أقطع حتى أقطع، فما قطع حتى قطع» اهـ.

وقال رحمه الله أيضًا: وجاء آخرون فلم يقفوا على ما حدَّه الشرع، بل عملوا فيه بآرائهم فقالوا: الله على العرش، ولم يقنعوا بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1].

ودفن لهم أقوام من سلفهم دفائن، ووضعت لهم الملاحدة أحاديث، فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز، فأثبتوا بها صفات - جمهور الصحيح منها ءات على توسع العرب - فأخذوه على الظاهر، فكانوا في ضرب المثل كجُحا، فإن أمه قالت له: احفظ الباب، فقلعه ومشى به، فأخذ ما في الدار،

(١) سورة الأعراف: ٥٤ .

فلامته أمه، فقال: إنما قلتِ احفظ الباب، وما قلتِ احفظ الدار.

ولما تخايلوا صورة عظيمة على العرش أخذوا يتأولون ما ينافي وجودها على العرش، مثل قوله: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» فقالوا: ليس المراد دنو الاقتراب الحسي وإنما المراد قرب المنزلة والحظ، وقالوا في قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ يَأْتِيَهُمُ فِى ظُلَلٍ﴾[1] هو محمول على ظاهرها في مجيء الذات، فهم يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا.

ويسمون الإضافات إلى الله تعالى صفات، فإنه قد أضاف إليه النفخ والروح، وأثبتوا خلقه باليد، فلو قالوا خلقه بقدرته لم يكن إنكار هذا بل قالوا هي صفة تولى بها خلق ءادم دون غيره، فأي مزية كانت تكون لآدم؟ فشغلهم النظر في فضيلة ءادم عن النظر إلى ما هو يليق بالحق مما لا يليق به، فإنه لا يجوز عليه المس ولا العمل بالآلات، وإنما ءادم أضافه إليه. فقالوا: نطلق على الله اسم الصورة لقوله: خلق ءادم على صورته». وفهموا هذا الحديث وهو قوله عليه السلام: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك ولا** وجهًا أشبه وجهك، **فإن الله خلق ءادم على صورته**» فلو كان المراد به الله عز وجل لكان وجه الله سبحانه يشبه وجه هذا المخاصم لأن الحديث كذا جاء - ولا وجهًا أشبه وجهك -.

ورووا حديث خولة بنت حكيم: وإن ءاخر وطئة وطئها الله بِوَجّ وما علموا النقل ولا السير، وقول الرسول ﷺ: «**اللهم اشدد وطأتك على مُضَر**»، وأن المراد به ءاخر وقعة قاتل فيها

(١) سورة البقرة: ٢١٠.

المسلمون بوجّ، وهي غزاة حنين، فقالوا نحمل الخبر على ظاهره وأن الله وطىء ذلك المكان.

ولا شك أن عندهم أن الله تعالى كان في الأرض ثم صعد إلى السماء، وكذلك قالوا في قوله: «إن الله لا يمل حتى تملوا» قالوا: يجوز أن الله يوصف بالملل، فجهلوا اللغة وما علموا أنه لو كانت (حتى) ههنا للغاية لم تكن بمدح لأنه إذا ملّ حين يملون فأي مدح؟ وإنما هو كقول الشاعر:

جلبت مني هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا

والمعنى لا يمل وإن ملوا.

وقالوا في قوله عليه الصلاة والسلام: «**الرحم شجنة من الرحمـٰن تتعلق بِحَقْوَيِ الرحمـٰن**» فقالوا: الحقو صفة ذات. وذكروا أحاديث لو رويت في نقض الوضوء ما قبلت، وعمومها وضعته الملاحدة كما يروى عن عبد الله بن عمرو، وقال: خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر، فقالوا نثبت هذا على ظاهره، ثم أرضوا العوام بقولهم: ولا نثبت جوارح، فكأنهم يقولون: فلان قائم وما هو بقائم.

فاختلف قولهم هل يطلق على الله عز وجل أنه جالس أو قائم كقوله تعالى ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾[1].

وهؤلاء أخسُّ فهمًا من (...) لأن قوله قائمًا بالقسط لا يراد به القيام وإنما هو كما يقال: الأمير قائم بالعدل.

وإنما ذكرت بعض أقوالهم لئلا يُسْكَنَ إلى شىء منها فالحذر من هؤلاء فما لهم فقه ولا عبادة اهـ.

---

(١) سورة ءال عمران: ١٨ .

ثم رفع الأيدي في الدعاء للسماء لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة، أي تنزل علينا البركة والرحمة منها، لأن السماء مهبط الرحمات، قال تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾[1] وليس لأن الله موجود بذاته في السماء، بل هو سبحانه خالقها فكيف يحتاج إليها؟

ويرد على من يعتقد أن الله متحيز في جهة العلو:

١ - بما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ استسقى - أي طلب المطر - وجعل بطن كفيه إلى الأرض وظاهرهما إلى السماء.

٢ - وبأنه ﷺ نهى المصلي أن يرفع رأسه إلى السماء، ولو كان الله متحيزًا في جهة العلو ما نهينا عن رفع أبصارنا في الصلاة إلى السماء.

٣ - وبأنه كان يرفع إصبعه المسبحة عند قول (إلا الله) في التحيات ويحنيها قليلًا، فلو كان الأمر كما تقول المشبهة ما كان يحنيها، بل كان يرفعها إلى السماء، وكل هذا ثابت حديثًا عند المحدثين.

٤ - ثم إننا نسمي المساجد (بيوت الله) لا لأن الله يسكنها، بل لأنها أماكن معدة لذكر الله وعبادته. ويقال في العرش إنه جرم أعده الله ليطوف به الملائكة كما يطوف المؤمنون في الأرض بالكعبة.

وليس المقصود بالمعراج وصول الرسول إلى مكان ينتهي إليه وجود الله تعالى، إنما القصد من المعراج هو تشريف النبي ﷺ

(١) سورة الذاريات: ٢٢ .

بإطلاعه على عجائب في العالم العلوي وتعظيم مكانته ورؤيته لله تعالى بفؤاده من غير أن يكون الله في مكان، وإنما المكان للرسول ﷺ، ولا يخفى أن موسى كان في الأرض حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾(١).

وإليك أجوبة من القرءان وكلام بعض الأئمة على بعض ما يثيره أهل البدع من الشبه التي داروا حولها متوهمين أن الله في جهة فوق:

أولا - الآيات التي فيها ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٢) وهي ست ءايات فاعلم أنه يوجد أيضًا في كتاب الله ست ءايات فيها وصف الله بأنه ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾(٣) فترد إليها تلك الآيات المتشابهة التي تعلق بها من وصفهم الله بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾(٤) فابتعد عن الفتنة.

وليس الشأن في علو المكان والجهة بل الشأن في علو القدر، والفوقية في لغة العرب تأتي على معنيين: فوقية المكان والجهة، وفوقية القدر أي الشأن، قال تعالى إخبارًا عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ أي نحن فوقهم بالقوة والغلبة والسيطرة لأنه لا يصح أن يقال إن فرعون أراد بهذا أنه فوق رقاب بني إسرائيل إلى جهة العلو، إنما أراد أنهم مقهورون له مغلوبون.

ثانيًا - قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(٥) أي بالسلطان

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٣.
(٢) سورة الأعراف: ٥٤.
(٣) سورة التوبة: ١٢٩.
(٤) سورة ءال عمران: ٧.
(٥) سورة فاطر: ١٠.

والقدرة، وكذلك القول بأنه فوق كل شيء أي بالقهر على ما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[١] وهو معنى قول الله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[٢] أي أن الله أعلم بحال المحتضر حال وجود أقاربه حوله من هؤلاء الأقارب.

ثالثًا - وإن أورد عليك بعض الناس قول الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٣] فاعلم أن هذا كقول الله تعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[٤] فهل يفهم أحد أن إبراهيم ذهب من بابل إلى فلسطين لمقابلة رب العزة أم معناه إني ذاهب إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه.

وكذلك ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٥] معناها أن الله جعل ديوان أعمال العباد أي أهل الصلاح في السماء وهو في قوله تعالى ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[٦] فمعنى (إليه) أي إلى حيث أمر الله، ﴿يَصْعَدُ﴾ أي تصعد به الملائكة، فزال بحمد الله الإشكال الذي يثيره أهل التشبيه.

رابعًا - قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٧] أي إلى حيث أمرهم الله وهو كقوله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[٨].

---

(١) سورة الأنعام: ١٨ .
(٢) سورة الواقعة: ٨٥ .
(٣) سورة فاطر: ١٠ .
(٤) سورة الصافات: ٩٩ .
(٥) سورة فاطر: ١٠ .
(٦) سورة المطففين: ١٨ .
(٧) سورة المعارج: ٤ .
(٨) سورة هود: ١٢٣ .

خامسًا - إذا أورد عليك قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾(١) فاعلم أن المراد به قرب المنزلة لا قرب المكان، وهو كقول الله في حق موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾(٢) وأنت تعلم أن موسى عاش في الأرض ودفن فيها، وإنما هو قرب المنزلة، ولذلك قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر: «وليس قُرب الله تعالى ولا بُعده طول المسافة وقِصرها ولكن على معنى الكرامة والهوان» اهـ أي الكرامة للطائع والهوان للعاصي فتنبَّه.

سادسًا - إذا أورد عليك قول الله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٣) فهو كما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾(٤) وهو كقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾(٥) وكقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾(٦) وكقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾(٧).

وأيضًا لا يخفى عليك قول الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٨) وقول الله: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾(٩) ولا يجوز أن يصعق الله أو... إلخ.

سابعًا - قول الله تعالى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٦ .
(٢) سورة الأحزاب: ٦٩ .
(٣) سورة الملك: ١٦ .
(٤) سورة الزخرف: ٨٤ .
(٥) سورة الأنعام: ٤ .
(٦) سورة مريم: ٩٣ .
(٧) سورة ءال عمران: ١٨٩ .
(٨) سورة الزمر: ٦٨ .
(٩) سورة الأنبياء: ١٠٤ .

ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾(١) فهو كقول الله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ﴾(٢).

ثامنًا - قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾(٣) أي (جاء ثوابه) قاله الإمام أحمد بن حنبل فيما رواه عنه الحافظ البيهقي في مناقب أحمد وابن كثير في البداية والنهاية.

تاسعًا - قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ لاحظ سياق الآية ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٤) فالمعنى: (يكشف عن شدة من الأمر) كما قال ابن عباس فيما رواه الحافظ البيهقي بسندين جيدين في الأسماء والصفات ولا يصح تفسيره بالعضو الجارحة أبدًا ولا كشف الساق عند ذكرها.

لطيفة مهمة: اسمع معي قول الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾(٥) قال المفسرون وأئمة الهدى: أي أولو القوة في الدين والبصارة في الأمر، ولم يفهم أحد من السلف والخلف منه الأيدي الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة بالأبصار الجارحة والأيدي الجارحة، فكيف فهمت المشبهة من قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾(٦) ومن قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٧) اليدين الجارحتين، مع أن الآية الثانية تفسيرها في ءاخرها وهو قوله: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٠ .
(٢) سورة النحل: ٣٣ .
(٣) سورة الفجر: ٢٢ .
(٤) سورة لاقلم: ٤٢ .
(٥) سورة ص: ٤٥ .
(٦) سورة ص: ٧٥ .
(٧) سورة المائدة: ٦٤ .

والعجب كذلك كيف فهمت المشبهة من قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[١] العين الجارحة حتى قالوا له عينان اثنتان، وبعضهم قال كبيرتان، تنزه الرحمن عن المثيل والنظير سبحانه، ثم لاحظ كل ذلك مع قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[٢] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٣] وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٤] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥] فما فهم أهل التشبيه من تلك الآيات المتشابهات إثبات الجسم والجوارح والصورة إلا لخبث عقيدتهم وسوء سريرتهم واعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والموضوعة وحملهم للمتشابه على ما يقتضيه الحس والوهم، وبالله العصمة من الخذلان.

أما الأحاديث المتشابهة فأقدم إليك أولا قول بعض العلماء فيها ثم أعرج على بعضها تدليلًا على غيرها:

أما القول فهو لأبي حامد الغزالي حيث قال في الأحاديث المتشابهة: «وما ذكر ﷺ كلمة منها إلا مع قرائن وإشارات يزول معها إيهام التشبيه، وقد أدركها الحاضرون المشاهدون، فإذا نقلت الألفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الإيهام، وأعظم القرائن في زوال الإيهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر». اهـ ومن ذلك:

١ - حديث النزول وهو أشهرها على ألسنة أولئك القوم

(١) سورة طه: ٣٩ .
(٢) سورة الشورى: ١١ .
(٣) سورة الإخلاص: ٤ .
(٤) سورة المؤمنون: ٩١ .
(٥) سورة العنكبوت: ٦ .

لكنهم لو التفتوا للروايات المفسرة له لكان أولى لأن خير ما فسرته بالوارد، وهو ما رواه النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزّ وجلّ يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا فيقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يُغفر له، هل من سائل يُعطى**» صححه أبو محمد عبد الحق كما قال القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1]. وهو ما أكده الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٣/ ٣٠) وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢) وكذا الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٥١) بلفظ: «**تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه**» الحديث. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٣) عقبه: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ومثله نقل الحافظ ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (١/ ٢٢٥)، فتحمل رواية «ينزل الله «على معنى أنه نزول المنادي وهو الملك بأمر الله.

٢ - وكذلك الحديث المشهور: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» فله رواية أخرى فيها: «يرحمكم أهل السماء» انظر مسند أحمد (٢/ ١٦٠) ومسند ابن المبارك (ص١٦٥)، قال ولي الدين العراقي: «واستدل بهذه الرواية (أهل السماء) على أن المراد بقوله من في السماء الملائكة» اهـ لأنه لا يقال عن الله: (أهل السماء)، وخير ما يفسَّر الوارد بالوارد.

٣ - وأما حديث الجارية فإن للأئمة الأعلام كلامًا وافيًا

---

(١) سورة ءال عمران: ١٧.

فيه، وتجدر الإشارة إلى أن لهذا الحديث روايات متعددة ففي الموطأ ومسند أحمد أن النبي ﷺ قال: «**أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم. . . . . إلى ءاخره**»، وفي رواية ابن حبان قال لها: «**من ربك؟ قالت: الله. . . .إلى ءاخرها**».

ومعلوم أن كلمة أين تأتي في لغة العرب للسؤال عن المكان، وتأتي للسؤال عن المكانة، فاللائق أن يكون معنى رواية مسلم ما اعتقادك من التعظيم في حق الله؟ فقالت: في السماء، معناه أنه أعلى من كل شيء قدرًا.

وإذا علمت هذا فاعلم أن كل ءاية أو حديث متشابه تسمعها فردها دومًا إلى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وإياك أن تقيس شيئًا من أفعاله سبحانه على أفعال الخلق أو شيئًا من صفاته أو ذاته سبحانه وتعالى، فإنك إن حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادًا والنزول نقلة ونجوت من الاعتراض الذي أخرج قومًا إلى الكفر حتى طعنوا في الحكمة.

[ثم إن لفظة (في) للظرفية وتعالى الله أن يكون مظروفا أي محصورا في خلق من خلقه وأيضا فقد قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ والجمع بينهما متناقض، ثم إن المشبه يعتقد أن الله تعالى على العرش والآية تضاد ذلك:

١ - لأن من هو في السماء ليس هو على ما هو أعلى منها بطبقات وآلاف سنين.

٢ - وكذلك لا يصح أن يقال لمن هو فوق سطح واسع

---

(١) سورة الشورى: ١١ .

يسع لدار عظيمة تحته، في وسطه من أسفل بيت صغير جدًا جدًا إنه في ذلك البيت بقصد أنه فوقه، مع أن نسبة العرش إلى السماء أضعاف أضعافِ ذلك السطح بالنسبة إلى ذلك البيت](١).

تنبيه مهم: هذا الحديث من الآحاد، وقد صيَّره من يتبع المتشابه كالمتواتر لكثرة ما يتكلمون به ونسوا أن رسول الله ﷺ قال أيضاً: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» وقال: «كان الله ولم يكن شيء غيره» وقد مرَّ بك شرحهما، والنصوص الشرعية كما مر بك يبنى بعضها على بعض.

فإذا عقلت ما بيناه واتضح لديك معناه فإن ما ورد في الحديث الذي شهر بحديث الجارية هذا هو معناه، ومع ذلك سنعرض لهذا الحديث من جوانب:

١) بيان أن (أين) تأتي للسؤال عن المكان أي علو الشأن والمرتبة.

٢) الكشف عن وجه اضطراب الحديث.

٣) أصغ لأهل السنة لا للمشبهة لتسلم عقيدتك.

وهذا تفصيل الكلام عليها:

١) بيان أن (أين) تأتي للسؤال عن المكانة أي علو الشأن والمرتبة:

وهو مستعمل في لهجتنا العامية اليوم، مثاله: ما لو جرى حديث بين صديقين يستخبر أحدهما من الثاني عن صديق مشترك بينهما

(١) بتصرف من إيضاح الدليل لبدر الدين بن جماعة (ص١١٤ - ١١٥).

فيسأله: أين فلان هذه الأيام؟ (مع أنه يعرف محل سكنه) فيجيبه: في السماء أو فوق الريح أي مكانته لا مكانه، وقد يرد السؤال بصيغة: ما هي أخبار فلان؟ ... إلخ.

وقال الإمام النحرير القاضي بدر الدين بن جماعة رضي الله عنه (٧٢٧هـ) ما نصه: «ويقول الإنسان لصاحبه: أين محلي منك؟ فيقول: في السماء. يريد أعلى محل» اهـ.

وإنما قدمت هذا المستعمل في لساننا اليوم تذكيرا ليتضح الآتي:

قال أحد أعلام أهل السنة والجماعة وهو الإمام ابن فورك رضي الله عنه: «فإذا كان ذلك مشهورًا في اللغة احتمل أن يقال: إن معنى قوله ﷺ «أين الله» استعلام لمنزلته وقدره عندها، وفي قلبها، وأشارت إلى السماء ودلت بإشارتها إلى السماء على أنه في السماء عندها، على قول القائل إذا أراد أن يخبر عن رفعةٍ وعلوِ منزلةٍ: فلان في السماء، أي هو رفيع الشأن عظيم المقدار... .إلخ» اهـ[1]

قال أبو عبد الله الأبي في شرح مسلم (جـ٢/ ٢٤١) عند كلامه على حديث الجاريّة ما نصه:» أراد - الرسول ﷺ - معرفة ما يدل على إيمانها، لأن معبودات الكفار من صنمٍ ونار بالأرض، وكل منهم يسأل حاجته من معبوده، والسماءُ قبلة دعاء الموحدين، فأراد كشف معتقدها، وخاطبها بما تفهم فأشارت إلى الجهة التي يقصدها الموحدون، ولا يدل ذلك على جهة، ولا انحصاره في السماء، كما لا يدل التوجه إلى القبلة على انحصاره في الكعبة، وقيل إنما سألها بأين عما

(١) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص/ ٦١).

تعتقده من عظمة اللَّه، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلاله في نفسها. . . وقد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده، وأنه استوى على العرش، فالتمسك بالآية الجامعة للتنـزيه الكلي الذي لا يصح في العقل غيره، وهي قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. عصمةً لمن وفقه اللَّه تعالى» اهـ.

وقال الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد صحيفة (٦٢): » وأما حكمه صلوات الله عليه بالإيمان للجارية لما أشارت إلى السماء، فقد انكشف به أيضًا إذ ظهر أن لا سبيل للأخرس إلى تفهم علو المرتبة إلا بالإشارة إلى جهة العلو، فقد كانت خرساء كما حكي» اهـ. فاللائق أن يكون معنى رواية مسلم ما اعتقادك من التعظيم في حق الله؟ فقالت: في السماء، معناه أنه أعلى من كل شيء قدرًا.

وقد بين ذلك غيرهم انظر أساس التقديس للفخر والقبس في شرح موطأ مالك لأبي بكر بن العربي وكذا شرحه على صحيح الترمذي، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

٢) الكشف عن وجه اضطراب الحديث:

قال الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة العثمانية سابقا في تعليقه على حديث الجارية في الأسماء والصفات (ص٤٢١): «انفرد برواية حديث القوم عن معاوية بن الحكم - يعني عطاء بن يسار - وقد وقع في لفظ له كما في كتاب (العلو) للذهبي ما يدل على أن حديث رسول الله ﷺ مع الجارية لم يكن إلا بالإشارة، وسبك الراوي ما فهمه من الإشارة في لفظ اختاره فلفظ عطاء الذي يدل على ما قلنا هو (حدثني صاحب الجارية نفسه الحديث) وفيه: فمد النبي ﷺ

يده إليها مستفهما من في السماء؟ وقالت: الله، قال: «فمن أنا» . . . . وهذا من الدليل على أن «أين الله «لم يكن من لفظ الرسول ﷺ» اهـ.

يؤكد هذا ما ذكره ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (ج٦/ ٤٥٤) ما نصه: «وقد جاء في بعض الأحاديث أن هذه الجارية كانت خرساء، ولهذا جوز الشافعي الأخرس في العتق، فقوله: فقالت: (في السماء) بمعنى أشارت إلى السماء كما في رواية» اهـ.

لاحظ قوله ولهذا جوز الشافعي الأخرس في العتق لتعرف أن الشافعي صحح تلك الرواية وعمل بمقتضاها في الأحكام، فهل يُتهم الشافعي في التصحيح أو التضعيف؟ أم يدّعون أنه اختلط عليه الأمر.

ولذلك قال الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٢٢) ما نصه: «وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعا من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه، وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث» اهـ.

وهاك رواية الجارية الخرساء كما أوردها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى (ج٧/ ٣٨٨)» (أخبرنا) أبو علي الروذباري أنا أبو بكر بن داسة نا أبو داود نا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني نا يزيد بن هارون أنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن رجلًا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء فقال يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة فقال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها ..... الخ» اهـ.

فلا يهولنك ما حاول أن يُلبّس به الألباني في مختصر العلو (ص٨٢) في محاولة نقضه لما نبه إليه الكوثري فقد رأيت أن الشافعي صحح رواية الجارية الخرساء، أما اختيار الألباني لرواية سعيد بن زيد التي فيها أيضا قصة الخرساء هذه فإنما هو لأنه وجد من ضعف سعيد بن زيد، ثم حاول أن يُلبس على القارئ بأنه تفرد برواية الخرساء ليسقطها لتخلو له الساحة بعد ذلك في الطعن على الكوثري وأنه يدلس إلى غير ذلك من كلامه ليصل إلى إثبات رواية أين الله، ليبث بعد ذلك تشبيهه بأن الله في جهة فوق، فيظهر لك بهذا أن الألباني هو المدلس والمموه والمشبه.

ثم يورد الألباني عن عبد الرزاق في مصنفه وأحمد في مسنده وابن الجارود والبيهقي في السنن الكبرى طريقًا للحديث فيه عن عبد الله بن عتبة عن رجل من الأنصار . . . . ليُعقب عليها بقوله وهذا الإسناد معلول بجهالة صحابيه قال فإن قيل ما وجه إعلاله بذلك والصحابة كلهم عدول فالجواب: أنه لم يرد في طريق من طرق الحديث ما يدل على أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قد سمعه من هذا الأنصاري فلعله لم يسمع منه» اهـ كلام الألباني.

وهو بذلك يتغافل عمدًا أو جهلًا عن رواية عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة كما رأيت وما ذلك إلا ليرد رواية الخرساء كما أسلفنا، فإن كان إغفاله لهذه الرواية عمدًا فالقارئ يدرك معنى ذلك، وإن كان إغفاله لها جهلًا منه فهو مما يؤكد ما قاله فيه علماء الحديث «إنه مدعي الحديثية وما هو إلا رجل ساعاتي لا دراية له بعلم الحديث». فتنبه.

قال الكوثري في تعليقه على (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل) للشيخ تقي الدين السبكي (ص٩٤) عند حديث الجارية ما نصه: «ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد، ولذا أخرجه مسلم في باب (تحريم الكلام في الصلاة) دون الإيمان حيث اشتمل على تشميت العاطس في الصلاة ومنع النبي ﷺ من ذلك، ولم يخرجه البخاري في صحيحه وأخرج في جزء (خلق الأفعال) ما يتعلق بتشميت العاطس من هذا الحديث مقتصرًا عليه دون ما يتعلق بكون الله في السماء بدون أي إشارة إلى أنه اختصر الحديث» اهـ.

إلى أن قال: «ولأن الحديث فيه اضطراب سندًا ومتنًا رغم تصحيح الذهبي وتهويله، راجع طرقه في كتاب العلو للذهبي وشروح الموطأ وتوحيد ابن خزيمة حتى تعلم مبلغ الاضطراب فيه سندًا ومتنًا.

وحمل ذلك على تعدد القصة لا يرضاه أهل الغوص في الحديث والنظر معًا في هذا المطلب. فالروايات على رجل مبهم محمولة على ابن الحكم، ولم يصح حديث كعب بن مالك ولا حديث يروى عن امرأة. فمالك يرويه عن عمر بن الحكم غير مقر بأن يكون غلط فيه. ومسلم عن معاوية بن الحكم ولفظهما كما سبقت الإشارة إليه مع نقص لفظ «فإنها مؤمنة» في رواية مالك. ولفظ ابن شهاب في موطأ مالك عن أنصاري - وهو صاحب القصة في الرواية الأولى - «فقال لها رسول الله ﷺ: **أتشهدين ألا إله إلا الله**؟ قالت: نعم، قال: **أتشهدين أن محمدًا رسول الله**؟ قالت: نعم»، وأين هذا من ذاك» اهـ.

إلى أن قال: «فيكون معنى (أين الله) ما هي مكانة الله عندك، ومعنى (في السماء) أنه تعالى في غاية من علو الشأن. يتحد هذا المعنى مع معنى «أتشهدين أن لا إلٰه إلا الله قالت: نعم»».

فإن قيل: فليكن لفظ رسول الله ﷺ هو (أين الله) ولفظ الراوي هو (أتشهدين...) رواية بالمعنى على الصورة السابقة؟

فالجواب: أنه لم يصح عن النبي ﷺ في تلقين الإيمان طول أداء رسالته السؤال بأين أو ذكر ما يوهم المكان ولا مرة واحدة في غير هذه القصة المضطربة بل الثابت هو تلقين كلمة الشهادة فاللفظ الجاري على الجادة أجدر بأن يكون لفظ الرسول ﷺ» اهـ.

الحافظ عبد الله الهرري حديث الجارية ليس بصحيح لأمرين: قال شيخنا الحافظ عبد الله الهرري رحمه الله[1]: «وأما ما في مسلم من أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن جارية له قال: قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها، قال: ائتني بها، فأتاه بها فقال لها: أين الله، قالت: في السماء، قال: من أنا، قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة. فليس بصحيح لأمرين:

للاضطراب لأنه روي بهذا اللفظ وبلفظ: من ربك، فقالت: الله، وبلفظ: أين الله، فأشارت إلى السماء. وبلفظ: أتشهدين أن لا إلٰه إلا الله. قالت: نعم، قال: أتشهدين أني رسول الله، قالت: نعم.

(١) انظر الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم صحيفة (١١٧ وما بعدها).

والأمر الثاني: أن رواية أين الله مخالفة للأصول لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يحكم له بقول (الله في السماء) بالإسلام لأن هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث المتواتر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله»[1]. ولفظ رواية مالك: «أتشهدين «موافق للأصول.

فإن قيل: كيف تكون رواية مسلم: أين الله. فقالت: في السماء. إلى آخره مردودة مع إخراج مسلم له في كتابه وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة.

فالجواب: أن عددًا من أحاديث مسلم ردها علماء الحديث وذكرها المحدثون في كتبهم كحديث أن الرسول قال لرجل: إن أبي وأباك في النار، وحديث إنه يعطى كل مسلم يوم القيامة فداءً له من اليهود والنصارى، وكذلك حديث أنس: صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا لا يذكرون بسم الله الرحمٰن الرحيم. فأما الأول ضعفه الحافظ السيوطي، والثاني رده البخاري والثالث ضعفه الشافعي وعدد من الحفاظ.

فهذا الحديث على ظاهره باطل لمعارضته الحديث المتواتر المذكور وما خالف المتواتر فهو باطل إن لم يقبل التأويل. اتفق على ذلك المحدثون والأصوليون لكن بعض العلماء أولوه على هذا الوجه قالوا: معنى أين الله سؤال عن تعظيمها لله وقولها في السماء عالي القدر جدًا أما أخذه على ظاهره من أن الله ساكن السماء فهو باطل مردود وقد تقرر في علم مصطلح

(١) رواية خمسة عشر صحابيًا.

الحديث أن ما خالف المتواتر باطل إن لم يقبل التأويل فإن ظاهره ظاهر الفساد فإن ظاهره أن الكافر إذا قال الله في السماء يحكم له بالإيمان.

وحمل المشبهة رواية مسلم على ظاهرها فضلوا ولا ينجيهم من الضلال قولهم إننا نحمل كلمة في السماء بمعنى إنه فوق العرش لأنهم يكونون بذلك أثبتوا له مثلًا وهو الكتاب الذي كتب الله فيه «إن رحمتي سبقت غضبي «فوق العرش فيكونون أثبتوا المماثلة بين الله وبين ذلك الكتاب لأنهم جعلوا الله وذلك الكتاب مستقرين فوق العرش فيكونون كذبوا قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهذا الحديث رواه ابن حبان بلفظ «مرفوع فوق العرش»، وأما رواية البخاري فهي «موضوع فوق العرش «وقد حمل بعض الناس فوق بمعنى تحت وهو مردود برواية ابن حبان «مرفوع فوق العرش «فإنه لا يصح تأويل فوق فيه بتحت.

ثم على اعتقادهم هذا يلزم أن يكون الله محاذيًا للعرش بقدر العرش أو أوسع منه أو أصغر، وكل ما جرى عليه التقدير حادث محتاج إلى من جعله على ذلك المقدار. والعرش لا مناسبة بينه وبين الله كما أنه لا مناسبة بينه وبين شىء من خلقه. ولا يتشرف الله بشىء من خلقه ولا ينتفع بشىء من خلقه» اهـ.

وقد بيّنا فيما سبق بطلان قول المشبهة بما يدحض أوهامهم وتخيلاتهم بحمد الله.

قال الحافظ ابن الجوزي (ص/٥٩) من الباز الأشهب:

فإن قيل: أنتم تلزموننا أن نقر بما لا يدخل تحت الفهم، قلنا: إن أردت بالفهم التخيل والتصور فإن الخالق لا يدخل

تحت ذلك إذ ليس بمحس ولا يدخل تحت ذلك إلا جسم له لون وقدر، فإن الخيال قد أنس بالمبصرات فهو لا يتوهم شيئًا إلا على وفق ما رءاه، لأن الوهم من نتائج الحس.

وإن أردت أنه لا يعلم بالعقل فقد دُللنا أنه ثابت بالعقل لأن العقل مضطر إلى التصديق بموجب الدليل.

واعلم أنك لما لم تجد إلا حسًا أو عرضًا وعلمت تنزيه الخالق عن ذلك بدليل العقل الذي صرفك عن ذلك فينبغي أن يصرفك عن كونه متحيزًا أو متحركًا أو منتقلًا، ولما كان مثل هذا الكلام لا يفهمه العامي قلنا: لا تسمعوه ما لا يفهمه، ودعوا اعتقاده لا تحركوه بل يسروه أن يساكن الجبال ويقال إن الله استوى على عرشه كما يليق به. اهـ.

وهذا ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٩٩):

(باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموه)

وقال علي رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله» ثم عقَّب الحافظ على ذلك بقوله: «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة» اهـ.

وفي تلبيس إبليس (ص١٦٢): قال ابن عقيل الحنبلي أحد أساطين المذهب الحنبلي: «هلك الإسلام بين طائفتين من الباطنية والظاهرية فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوا من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الواجب والنهي عن المنهي، وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه.

والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع» اهـ.

وقال الشيخ أبو نصر القشيري (٥١٤هـ): كما نقله الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/١٠٧-١٠٩) ما نصه:

«وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزالهم العوام بما يقرب إلى أفهامهم ويُتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار المقتضية حدًّا وعضوًا على الظاهر، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وهؤلاء - والذي أرواحنا بيده - أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري» اهـ.

وقال ابن الجوزي في الباز الأشهب (ص٦٠): «ومنها _ أي من المتشابه _ قوله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[2] قال المفسرون: أي من رحمتنا وإنما نسب الروح إليه لأنه بأمره

---

(١) سورة ءال عمران: ٧ .

(٢) سورة التحريم: ١٢ .

كان، ومنها قوله تعالى ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾[١] قلت: أي يؤذون أولياءه كقوله تعالى ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٢] أي أهلها» اهـ.

وهل يقول عاقل أن الله يتأذى، فمن يحمل المتشابه على ظاهره ماذا يقول؟!

وفي (ص١٢٤) منه تعقيبًا على نسبة القعود إلى الله في تفسيرهم المقام المحمود قال ابن الجوزي: «قلت هذا حديث مكذوب لا يصح عن رسول الله ﷺ» وهو شاهد على استدلالهم بالمكذوب في العقيدة التي يحتاط فيها ما لا يحتاط بغيرها ثم عقَّب على استشهادهم بقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[٣] فقال: «هذا عن جبريل لا عن الله سبحانه، ومن أجاز القرب بالمسافة من الذات أجاز الملاصقة، وما ذهب إليه - أهل الزيغ - صريح في التجسيم» اهـ.

ذلك أن المشبهة لا يعترفون بموجود غير متحيز في جهة ومكان غير متحرك ولا ساكن لأنهم يقيسون الخالق على المخلوق يظنون أن الوجود لا يصح إلا بالمكان مع ثبوت وجود الله قبل المكان بلا مكان، قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» رواه البخاري وغيره. أي كان الله موجودًا قبل المكان والزمان وقبل الجهات الست والعرش، فالله الذي هو موجود قبل المكان بلا مكان هو موجود بعد وجود المكان بلا مكان لأنه سبحانه لا يتغير.

وفي صحيفة (١٣٢) الحديث الثامن والأربعون وهو نموذج

(١) سورة الأحزاب: ٥٧ .
(٢) سورة يوسف: ٨٢ .
(٣) سورة النجم: ٩ .

من أحاديث كثيرة من التي افتراها أهل الزيغ قال ما نصه حديث العباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك «هذا حديث لا يصح تفرَّد به يحيى بن العلاء، قال أحمد: هو كذاب يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي: أحاديثه موضوعة»، يحتجون براوٍ كذاب فلا حول ولا قوى إلا بالله.

قال ابن الجوزي - بعد كلام-: أما لفظة القعود فقد رواها عن ابن عباس ولا يصح، وأما القيام فيرويها عيسى عن جابر عن عمر بن الصبح.

قال البخاري: قال عمر بن الصبح: أنا وضعت خطبة رسول الله.

وقال ابن حبان: وكان الحديث على الثقات لا يصح كتب حديثه إلا على التعجب، ثم قال: قلت وبمثل هذه يثبت لله صفة، أين العقول؟ تعالى الحق أن يوصف بقيام وهو انتصاب القامة، إنما هو قائم بالقسط، ولا يوصف بقعود ولأنها حالة الجسماني».

وفي (ص١٣٤) تعقيبًا على حديث الأعور الدجال، نقل قول ابن عقيل وهو: «يحسب بعض الجهلة أنه لما نفى العور عن الله عز وجل أثبت من دليل الخطاب أنه ذو عينين وهذا بعيد من الفهم، إنما نفى العور من حيث نفي النقائص كأنه قال ربكم ليس بذي جوارح تتسلط عليه النقائص، وهذا مثل نفي الولد عنه لأنه يستحيل عليه التجزئ، ولو كانت الإشارة إلى صورة كاملة لم يكن في ذلك دليل على الألوهية ولا القدم فإن الكامل في الصورة كثير» اهـ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وتعقيبًا على حديث مكذوب يُنقل عن بعض التابعين قال ابن الجوزي (ص٨٨): «والعجب من إثبات صفات الحق سبحانه وتعالى بأقوال التابعين وما تصح عنهم ولو صحت فإنما يذكرونها عن أهل الكتاب كما يذكر وهب ابن منبه». ثم بعد كلام قال: «وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله خلفًا وأمامًا وفخذًا...... ؟ ما ينبغي أن يحدث هؤلاء. ثم قال: ومثل هؤلاء لا يحدثون فإنهم يكابرون العقول وكأنهم يحدثون الأطفال» اهـ

ثم يعقب (ص٨٩) على حديث: «يضحك الله من رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة» قال ابن الجوزي: «اعلم أن الضحك له معان ترجع إلى معنى البيان والظهور وكل من أبدى من أمر كان مستورًا قيل قد ضحك، يقال: ضحكت الأرض بالنبات إذا ظهر ما فيها وانفتحت عن زهره، كما يقال: بكت السماء قال الشاعر:

كل يوم بالأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

وكذلك الضحك الذي يعتري البشر إنما هو انفتاح الفم عن الأسنان، (وهذا يستحيل على الله تعالى فوجب حمله على إبداء الله كرمه وإبانة فضله). اهـ.

وقد أوّل البخاري الضحك الوارد في الحديث: «ضحك الله الليلة» بالرحمة. نقله عنه الحافظ البيهقي، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ١٢٠): «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله تعالى مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما» إ.هـ.

وفي (ص١٢٨) يذكر الحديث المكذوب الذي تعتمده المشبهة، وهو أن الله لما كلّم موسى يوم الطور، وفيه أن الله

قال لموسى: يا موسى إني كلمتك بقوة عشرة ءالاف لسان. .... ثم يذكرون فيه أن موسى قرّب إلى بني إسرائيل على زعمهم صوت الله فقال: ألم تسمعوا صوت الصواعق بأحلى كلام سمعتموه قط.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، يرويه علي بن عاصم عن الفضل بن عيسى، قال يحيى: (ليس بشىء) وقال النسائي: علي بن عاصم متروك الحديث، وقال يزيد بن هارون، ما زلنا نعرفه بالكذب.

وأما الفضل بن عيسى فقال أبو أيوب السختياني: لو خلق أخرس كان خيرًا له، وقال ابن عيينة: الفضل بن عيسى لا شىء، وقال يحيى: هو رجل سوء اهـ.

وإنما نقلت لك كلامه في هؤلاء الرواة لتعلم كذب ما يدعيه أولئك الناس في تحريفهم لديننا حيث يرفضون أحاديث التبرك بالنبي ﷺ مع ثبوتها في الصحيحين وغيرهما بينما يقبلون على الأحاديث المكذوبة في الصفات فأي عقل هذا!.

قال الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه: «والله تعالى يتكلم بكلام ليس ككلامنا، نحن نتكلم بالآلات والحروف والله يتكلم بلا آلة ولا حروف» اهـ

وكذلك سائر صفاته سبحانه نثبتها لله لا على ما يقتضيه الحس والوهم فهو موصوف بأنه عالم بكل شىء لا على ما يقتضيه الحس، وكذلك سمعه وبصره وسائر صفات الله.

قال أئمة السلف ومنهم مالك والليث بن سعد والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم في بعض النصوص التي يتوهم بعض الناس من ظواهرها الجسمية في حق الله أو صفات الجسمية

كحديث النزول: (أمرّوها كما جاءت بلا كيف) ومعناه اروِوا هذا اللفظ ولا تعتقدوا تلك الظواهر التي هي من صفات الجسم، فالأئمة مرادهم نفي الجسمية وصفاتها عن الله أي أن هذه النصوص ليس معانيها الجسمية وصفاتها من حركة وسكون لأن الله تعالى نفى الجسمية وصفاتها عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وأراد الأئمة رحمهم الله رد تلك النصوص إلى هذه الآية المحكمة، أما المشبهة فيريدون بذلك إثبات الكيف لله لكن يموهون على الناس بقولهم إن هذه النصوص محمولة على الجسمية وصفات الجسمية من حركة وسكون لكن لا نعرف كيفية تلك الكيفية حتى قال بعض قدماء المشبهة في قوله تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] إن الله يفنى كله ويبقى منه الوجه فقط الذي هو الجزء المركب على أعلى البدن لأنه فسر الوجه على الظاهر، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

بينما في تفسير الثوري المطبوع في الهند سنة ١٣٥٨هـ (ص١٩٤) عند قوله تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قال: (إلا ما أريد به وجهه) اهـ يعني الحسنات، ومثله قال البخاري في صحيحه حتى إن بعض الدكاترة من مشبهة العصر لما عُرض عليه كلام للبخاري في تفسير هذه الآية أجاب بقوله: «**البخاري في إيمانه شك**» اهـ ذلك أنهم يعتقدون الوجه جسمًا صفة وهذا الغاية في الجهل كيف يسمي الجسم صفة؟!

ثم ماذا يقولون في حديث: «**أقرب ما تكون المرأة إلى وجه الله إذا كانت في قعر بيتها**» فهل يحملونه على الظاهر الذي

(١) سورة الشورى: ١١ .

(٢) سورة القصص: ٨٨ .

تعودوا أن يحملوا عليه الآيات وهو الجسم فينقضون بذلك مذهبهم وهو اعتقادهم أن الله على العرش بذاته، ولا يخفى بُعد المسافة بين العرش والأرض، أم يقولون له معنى يناسب سياق الحديث كما قاله السلف الصالح، فإن قالوا: هو قرب معنوي فقد نقضوا مذهبهم، وهذا إلزام لا مهرب لهم منه، والحديث ثابت رواه ابن حبان (٧/ ٤٤٦) وغيره.

فأما أهل السنة والجماعة فيقولون: لله وجه لا كوجوهنا على معنى الصفة لا على معنى الجسم، وكذلك يثبتون لله صفة اليد وصفة العين لا على معنى الجارحة والأعضاء، وهذه الكلمات الثلاث الوجه واليد والعين لها استعمالات في لسان العرب على معان تقتضي الجسمية ومعان لا تقتضي الجسمية وهذا الأخير هو ما حمله عليه أئمة الهدى ولذلك جاء في القرءان وصف الله بها.

فعليك بالتمسك بكلام الإمام السلفي المحدِّث ذو النون المصري الذي هو تلميذ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» أي لا يشبه ذلك. والحمد لله أولا وءاخرًا على وضوح وظهور مذهب أهل السنة والجماعة.

المبحث الرابع
حكم مسائل العقليات والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلى بابه ولا تخلط العقليات بالسمعيات ولا السمعيات بالعقليات والوهم في غير المحسوسات ليس بمقبول

وهو يتضمن الآتي:

- سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرءان.

- وأهل السنة تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول.

- لا يعرف الله بالحواس ولا يقاس بالناس، ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس.

- الاعتراف بوجود شيء على خلاف حكم الحس والخيال.

- قال أبو حنيفة في كتابه الوصية: «ولقاء الله لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة حق»[١].

- إن قال قائل: لم أنكرتم أن يكون القديم سبحانه جسما؟

---

(١) من شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/١٢١).

- فإن قال الخصم: إن مثل هذا الموجود الذي ساق دليلكم إلى إثباته غير مفهوم!

وأستعين بالله على إنجاز تفصيلها، وهو كما يلي:

- سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرءان:

قال العلامة كمال الدين البياضي الحنفي: «ونقل السبكي عن أبي القاسم القشيري أنه قال في رسالة الرد على الكرامية: العجب ممن يقول ليس في القرءان علم الكلام، وآيات الأحكام الشرعية تجدها محصورة، والآيات المنبهة على علم الأصول تربو على ذلك بكثير فلا يجحد علم الكلام إلا مقلد أو ذو مذهب فاسد... ثم نقل عن ابن حجر الهيتمي قوله: وما الأمر إلا ما جاء به القرءان، فإنه جاء فيه إشارات إلى النظر في أدلة اليقين وآيات منبهة على أصول الدين، كما قال عليّ كرم الله وجهه: «جميع العلم في القرءان لكن تقاصر عنه أفهام الرجال»[(١)] اهـ.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: «فأما حوادث تحدث في الأصول في تعيين مسائل فينبغي لكل عاقل مسلم أن يرد حكمها إلى جملة الأصول المتفق عليها بالعقل والحس والبديهة وغير ذلك، لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها السمع أن تكون مردودة إلى أصول الشرع التي طريقها السمع، وحكم مسائل العقليات والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلى بابه، ولا تخلط العقليات بالسمعيات ولا السمعيات بالعقليات»[(٢)] اهـ.

---

(١) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص/ ٤٨).

(٢) رسالته استحسان الخوض في علم الكلام (ص/ ٤٧).

ويساعد على إيضاح كلام إمامنا أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه هذا قوله: «الجواب الثاني: أن يقال لهم: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجهل شيئًا مما ذكرتموه من الكلام في الجسم والعرض والحركة والسكون والجزء والطفرة، وإن لم يتكلم في كل واحد من ذلك معينا، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة، غير أن هذه الأشياء التي ذكرتموها معينة أصولها موجودة في القرءان والسنة جملة غير مفصلة.

فأما الحركة والسكون والكلام فيهما فأصلهما موجود في القرءان، وهما يدلان على التوحيد، وكذلك الاجتماع والافتراق، قال الله تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾[1] في قصة أفول الكوكب والشمس والقمر وتحريكها من مكان إلى مكان ما دلّ على أن ربه عزّ وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك، وأن من جاز عليه الأفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله»[2] اهـ.

قال أبو المظفر الأسفراييني: «وأن تعلم أن الحركة والسكون والذهاب والمجيء والكون في المكان والاجتماع والافتراق والقرب والبعد من طريق المسافة والاتصال والانفصال والحجم والجرم والجثة والصورة والحيز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى، لأن جميعها يوجب الحد والنهاية، وقد دللنا على استحالة ذلك

(١) سورة الأنعام: جزء من الآية ٧٦ .
(٢) رسالة استحسان الخوض في علم الكلام (ص/٣٩ - ٤٠).

على البارئ سبحانه وتعالى، وأصل هذا في كتاب الله تعالى، وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ فبين أن ما جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقا»[١] اهـ.

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾[٢].

وكذا قوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾[٣].

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري في رسالته المذكورة آنفا (ص/ ٤٠-٤٤):

وأما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذ أيضا من الكتاب:

١ - قال الله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٤] وهذا الكلام موجز منبه على الحجة بأنه واحد لا شريك له، وكلام المتكلمين في التوحيد بالتمانع والتغالب فإنما مرجعه إلى

(١) التبصير في الدين (ص/ ١٦٠).
(٢) سورة يونس: ٥ - ٦ .
(٣) سورة البقرة: ١٦٤ .
(٤) سورة الأنبياء: جزء من الآية ٢٢ .

هذه الآية، وقوله عز وجل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾[1]، وإلى قوله عز وجل: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾[2].

وكلام المتكلمين في الحجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرءان.

٢ - فكذلك الكلام في جواز البعث واستحالته الذي قد اختلف عقلاء العرب ومن قبلهم من غيرهم فيه حتى تعجبوا من جواز ذلك، فقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾[3]، وقولهم: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦﴾[4]، وقولهم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[5]، وقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥﴾[6]، وفي نحو هذا الكلام منهم إنما ورد بالحجاج في جواز البعث بعد الموت في القرءان تأكيدا لجواز ذلك في العقول وعلّم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولقّنه الحجاج عليهم في إنكارهم البعث من وجهين على طائفتين:

منهم طائفة أقرت بالخلق الأول وأنكرت الثاني.

وطائفة جحدت ذلك بقدم العالم.

فاحتج على المقر منها بالخلق الأول بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ

---

(١) سورة المؤمنون: جزء من الآية ٩١ .
(٢) سورة الرعد: جزء من الآية ١٦ .
(٣) سورة ق: ٣ .
(٤) سورة المؤمنون: ٣٦ .
(٥) سورة يس: جزء من الية ٧٨ .
(٦) سورة المؤمنون: ٣٥ .

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ﴾[١]، وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾[٢]، وبقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٣]، فنبههم بهذه الآيات على أن من قدر أن يفعل فعلا على غير مثال سابق فهو أقدر أن يفعل فعلا محدثا فهو أهون عليه فيما بينكم وتعارفكم، وأما البارئ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه فليس خلق شيء أهون عليه من الآخر[٤]، وقد قيل: إن الهاء في «عليه» إنما هي كناية للخلق بقدرته، إن البعث والإعادة أهون على أحدكم وأخف عليه من ابتداء خلقه، لأن ابتداء خلقه إنما يكون بالولادة والتربية وقطع السُّرة والقماط وخروج الأسنان وغير ذلك من الآيات الموجعة المؤلمة، وإعادته إنما تكون دفعة واحدة ليس فيها من ذلك شيء فهي أهون عليه من ابتدائه، فهذا ما احتج به على الطائفة المقرة بالخلق.

٣ - وأما الطائفة التي أنكرت الخلق الأول والثاني وقالوا بقدم العالم فإنما دخلت عليهم شبهة بأن قالوا: وجدنا الحياة

---

(١) سورة يس: جزء من الآية ٧٩ .

(٢) سورة الروم: جزء من الآية ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف: جزء من الآية ٢٩، ومن هذه الأدلة قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ (مريم: ٦٦ - ٦٧). وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ (ق: ١٥)، وقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (غافر: ٥٧). وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ (السجدة: ٧ - ١٠).

(٤) وهناك تفسيرها على ما يبينه أبو الحسن لاأشعري من كتاب الله ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ (لقمان: ٢٨).

رطبة حارة والموت باردا يابسا، وهو من طبع التراب، فكيف يجوز أن يجمع بين الحياة والتراب والعظام النخرة فيصيرَ خلقا سويا، والضدان لا يجتمعان، فأنكروا البعث من هذه الجهة.

ولعمري إن الضدين لا يجتمعان في محل واحد ولا في جهة واحدة ولا في الموجود في المحل، ولكنه يصح وجودهما في محلين على سبيل المجاورة، فاحتج الله عليهم بأن قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1] فردهم الله عز وجلّ إلى ما يعرفونه ويشاهدونه من خروج النار على حرها ويبسها من الشجر الأخضر على بردها ورطوبتها، فجعل جواز النشأة الأولى دليلا على جواز النشأة الأخرى[2].

٤ - وأما ما يتكلم به المتكلمون من أن للحوادث أولا وردهم على الدهرية[3] أنه لا حركة إلا وقبلها حركة، ولا يوم

---

(١) سورة يس: ٨٠.

(٢) ومن الأدلة على هذا المعنى قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ (فاطر: ٩)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ (الزخرف: ١١).

(٣) بهذا تعرف حقيقة ابن تيمية أنه من الدهرية الهلكى لقوله بأنه ما من حركة إلا وقبلها حركة كما قال في كتابه موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (٢٩١/١، طبع دار الكتب العلمية - بيروت: ١٩٨٥) وهو كفر إجماعًا كما قال ابن دقيق العيد والزركشي والنووي والقاضي عياض وغيرهم كابن حزم في مراتب الإجماع وأنكر ابن تيمية على ابن حزم ذكره الإجماع على تكفير من قال بخالق سوى الله وذلك في كتاب أسماه نقد مراتب الإجماع، وذكر ابن تيمية عقيدته هذه أي قوله بأزلية العالم في ستة من كتبه وهي الموافقة وقد ذكر ءانفًا وشرح حديث عمران بن حصين وشرح حديث النزول ومنهاج السنة النبوية والفتاوى الكبرى ونقد مراتب الإجماع فابن تيمية في الحقيقة دهري قائل بأزلية العالم ومن أراد المزيد فليقرأ كتاب المقالات السنية في كشف ضلالات ابن=

إلا وقبله يوم، والكلام على من قال: ما من جزء إلا وله نصف لا إلى غاية.

فقد وجدنا ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: «**لا عدوى ولا طيرة**»، فقال أعرابي: فما بال الإبل كأنها الظباء تدخل في الإبل الجربى فتجرب؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فمن أعدى الأول»[١] فسكت الأعرابي لما أفحمه بالحجة المعقولة.

وكذلك نقول لمن زعم أنه لا حركة إلا وقبلها حركة، لو كان الأمر هكذا لم تحدث منها واحدة لأن ما لا نهاية له لا حدث له.

وكذلك لما قال الرجل: يا نبي الله إن امرأتي ولدت غلامًا أسود وعرّض بنفيه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هل لك من إبل»؟ فقال: نعم، قال: «فما ألوانها»؟ قال

= تيمية لشيخنا الحافظ عبد الله الهرري رحمه الله. قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾، فإن علماء البيان قالوا: مما يفيد الحصر كون المبتدأ والخبر معرفة وفي هذه الآية المبتدأ مضمر أي (هو) والخبر (الأول) وكلاهما معرفة فدل على أنه لا أول بمعنى لا بداية لوجوده أحد سوى الله جل وعلا. ومن اعتقد أن شيئًا من العالم بنوعه أو بأفراده لا بداية لوجوده فقد كذب هذه الآية وفارق الإسلام، ولحق بالفلاسفة والدهرية بإجماع علماء المسلمين.

قال السبكي في حق ابن تيمية:

حشيتُ سيرِ بشرقٍ أو بمغربه ... يحاولُ الحشوَ أنى سارَ فهوَ لهُ
في الله سبحانه عما يظن به ... يرى حوادثَ لا مبدأ لأولها

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٢١٦١)، (٥٣٨٧)، كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» فقال أعرابيّ: يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرّمل كأنّها الظّباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها، فقال: «فمن أعدى الأوّل» اهـ.

حمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هل فيها من أورق»؟ قال: نعم إن فيها أورق، قال: «فأنى ذلك»؟ قال: لعلَّ عرقًا نزعه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ولعلَّ ولدك نزعه عرق»[1] فهذا ما علّم الله نبيه من رد الشيء إلى شكله ونظيره، وهو أصل لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير.

وبذلك نحتج على من قال: إن الله تعالى وتقدس يشبه المخلوقات وهو جسم[2] بأن نقول له: لو كان يشبه شيئًا من الأشياء لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من كل جهاته، أو يشبهه من بعض جهاته.

فإن كان يشبهه من كل جهاته وجب أن يكون محدثًا من كل جهاته.

وإن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدثًا مثله من حيث أشبهه، لأن كل مشتبهين حكمهما واحد فيما اشتبها به، ويستحيل أن يكون المحدث قديما والقديم محدثا. وقد قال تعالى وتقدس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3]، وقال تعالى وتقدس: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥١١)، (٦٤٥٥)، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب ما جاء في التعريض.

(٢) وقد قال بعض الجامدين المتبعين لابن تيمية في التشبيه والتجسيم في كتاب له أسماه (تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد علي الصابوني في صفات الله): «إن تنزيه الله عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحنجرة ليس بمذهب أهل السنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم» اهـ. (ص/ ٢٢، طبع ما يسمى بجمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت).

(٣) سورة الشورى: جزء من الآية ١١ .

(٤) سورة الإخلاص: ٤ .

٥ - وأما الأصل في أن للجسم نهاية وأن الجزء ينقسم فقوله عز وجلّ اسمه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾(١) «ومحال إحصاء ما لانهاية له» اهـ. بتصرف يسير.

وذكر القاضي العلامة البياضي الحنفي الماتريدي في كتابه إشارات المرام أربعة وجوه في الاستدلال على وجود الخالق بالعقول مع بيان أصل الدليل من النقول وهي:

أولا: إمكان الجواهر: والجواهر جمع جوهر، وهو الجزء الفرد الذي لا يتجزأ، وهو قابل للتحيز(٢)، وما تركب من جوهرين فأكثر يقال له الجسم(٣)، وقيل: الجسم ما كان له طول وعرض وسمك وتركيب وتأليف(٤).

والمقصود أن الأجسام ممكنة الوجود أي أن العقل يجوّز وجودها وعدمها، وما كان كذلك دل على حدوثه أي وجوده بعد عدم، ودليله أنها قابلة للزوال، وكل ما كان كذلك فهو حادث، وإذا كانت حادثة مخلوقة افتقرت إلى محدث خالق أوجدها(٥).

والأدلة على هذا المعنى كثيرة منها في قوله تعالى ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾(٦)، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ

---

(١) سورة يس: جزء من الآية ١٢ .
(٢) الحدود الأنيقة للشيخ زكريا الأنصاري (ص/ ٧١).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص/١٠٣).
(٤) كما عرفه الإمام أحمد رضي الله عنه، كتاب اعتقاد الإمام أحمد لأبي الفضل التميمي (ص/ ٤٥).
(٥) باختصار من تهذيب كتاب الاعتماد في الاعتقاد للمحدث أبي المحاسن القاوقجي الطرابلسي (ص/ ١١).
(٦) سورة الرعد: جزء من الآية ١٦ .

بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾[(١)]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]، وقوله: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[(٣)]، والآيات بهذا المعنى كثيرة.

ثانيا: حدوث الجواهر: والدليل على حدوثها اتصافها بالأعراض[(٤)] المتغيرة من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم، وكل متغير حادث، ولو حدثت بنفسها لزم ترجيح المرجوح، وهو الوجود بلا مرجح وهو باطل، والممكن أي الجائز الوجود لا يكون إلا حادثا مخلوقا لاحتياجه إلى مرجح يرجح وجوده على عدمه[(٥)].

والأدلة على هذا المعنى كثيرة منها في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ

(١) سورة إبراهيم: ١٩ - ٢٠.
(٢) سورة إبراهيم: ٣٢ - ٣٤.
(٣) سورة الشورى: ٤٩ - ٥٠.
(٤) والأعراض جمع عرض وهو صفة الجسم، وفي اصطلاح المتكلمين ما لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به، وهو خلاف الجوهر، وذلك نحو حمرة الخجل وصفرة الوجل. المصباح المنير (ص/١٥٣).
(٥) باختصار من تهذيب كتاب الاعتماد في الاعتقاد للمحدث أبي المحاسن القاوقجي الطرابلسي (ص/١٢).

خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[1]، وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾[2]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾[3]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ثالثا: إمكان الأعراض: وهو جمع عرض وهو صفة الجسم من حركة وسكون واجتماع وافتراق ونحو ذلك، وهو ما يقوم بغيره، هذه حقيقة العرض أنه لا يقوم بنفسه وأنه لا ينتقل، قال أبو البقاء: «العرض بفتحتين عبارة عن معنى زائد على الذات أي ذات الجوهر، يجمع على أعراض، وهذا الأمر عرض أي عارض أي زائل يزول وعرض لفلان أمر أي معنى لا قرار له ولا دوام، ومنه العارضة على الأجسام - لعدم بقائه -»[4] اهـ.

لأن الجسم إما متحرك وإما ساكن، ولا يجوز أن يكون في حال حركته سكونه كامنا فيه، ولو كان الجرم ساكنا في حال حركته لاجتمع الضدان واجتماعهما محال. ولا يمكن ثبوت جسم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا مفترق ولا مجتمع، ولا يمكن خلو الأجسام عن بعض الأعراض -كالحركة والسكون

(١) سورة النور: ٤٣ - ٤٤ .
(٢) سورة فاطر: جزء من الآية ١٣ .
(٣) سورة الزمر: ٥ .
(٤) الكليات لأبي البقاء (١/ ٦٢٤).

وهذا أمر ظاهر مدرَك بالبديهة- لأنه لو جاز خلوها عن بعضها لجاز عن جميعها وهو باطل[(١)].

قال أبو البقاء: والعرض العام هو إما لازم كالتنفس والتحرك للإنسان، أو مفارق وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل أو بطيء كالشيب والشباب[(٢)] اهـ.

والأدلة على هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[(٣)]، وقوله: ﴿۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾[(٤)].

رابعا: حدوث الأعراض: والحركة والسكون حادثان لأنه بحدوث أحدهما ينعدم الآخر، فما من ساكن إلا والعقل قاضٍ بجواز حركته، وما من متحرك إلا والعقل قاضٍ بجواز سكونه، فالطارئ منهما حادث بطَرَيانه، والسابق حادث لعدمه، لأنه لو ثبت قِدَمُهُ لاستحال عدمه فالأعراض حادثة.

ومن أدلتها قوله تعالى إخبارا عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[(٥)].

قال أبو البقاء: «الاستدلال بحدوث الجواهر طريقة الخليل حيث قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[(٦)]، والاستدلال بإمكان

(١) كتاب الاعتماد في الاعتقاد (ص/ ١٢ - ١٣).
(٢) الكليات لأبي البقاء (١/ ٦٢٧).
(٣) سورة الفرقان: ٤٥ - ٤٦ .
(٤) سورة الأنعام: ١٣ .
(٥) سورة الشعراء: ٧٨ - ٨١ .
(٦) سورة الأنعام: جزء من الآية ٧٦ .

الأعراض مقيسة إلى محالها طريقة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[1][2] اهـ.

وإنما قدمت هذه المقدمة مع تدعيمها وتوضيحها ليقع معنى كلام البياضي موقعه من النفس لأهميته في استكمال ما شرعت بالتأكيد عليه، وهو أن أهل السنة والجماعة يستندون إلى الدلائل الساطعة والقاطعة من الشرع والعقل، فلا يهملون حكم العقل ولا يستقلون به عن الشرع.

قال العلامة البياضي: «وأصل الدليل -على حدوث السموات والأرض وأجزاء العالم - مأخوذ من قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[4]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[5]، حيث دلت على توبيخ الكفار بترك النظر والاستدلال على وجود الصانع المتعالي واتصافه بصفات الكمال بعد تعميرهم مدة يتمكنون فيها بعقولهم من الاستدلال، وقد أشير إلى الاستدلال في ثمانين آية، وظاهر الكل الاستدلال بحدوث الموجودات لكفايته في مقام التصديق وظهوره، وهو مراد المتكلمين»[6].

---

(١) سورة طه: ٥٠ .
(٢) الكليات لأبي البقاء (١/ ٤٠١).
(٣) سورة الأعراف: ١٨٥ .
(٤) سورة فصلت: ٥٣ .
(٥) سورة فاطر: ٣٧ .
(٦) إشارات المرام (ص/ ٨٢ - ٨٣).

وقال[1]: » (وكما يحيل العقل)[2] ويجزم بالاستحالة (في سفينة مشحونة بالأحمال احتوشتها) أي أحاطت بها من كل جهة، يقال احتوش القوم بالصيد واحتوشوه (في لجة البحر) ومعظمه (أمواج متلاطمة) يضرب بعضها بعضا (ورياح مختلفة) تهب من كل جهة (أن تجري) بنفسها (مستوية) لا تميل إلى طرف ولا تقف وقفة مع تصادم الرياح المختلفة (و) الحال أنه (ليس أحد يجريها ويقودها) مستوية، (فكذلك يستحيل) في العقل (قيام هذا العالم) من السموات والأرض وما فيهما بنفسه (على اختلاف أحواله) من حركات السموات والسيارات وسكون الأرض واختلافها في الكيفيات، وما خص به الإنسان من الهيئات واستجماع أنواع الكمالات، وما يختص به سائر الموجودات (وتغير أموره) من تعاقب الضوء والظلمات، وتغير أحوال الحيوانات والمعادن والنبات (من غير صانع) واجب بالذات واحد موصوف بصفات الكمال منزه عن سمات التغير والزوال (ومحدث) يحدث العالم وما اختلف فيه من الأحوال وتغير من الأعمال (وحافظ) يحفظه عن الاختلال.

يعني أن الممكنات من الأرض والسموات وما فيهما حادثة لأنها متغيرة، وكل حادث فله محدث. وتقريره على طريقة الإمكان: أن الممكنات موجودة فلا بد لها من موجد لاستحالة وجود الممكنات من نفسها وقيامها بلا موجد. . .

إلى أن قال: فثبت الانتهاء إلى مؤثر واجب قديم يحدثه

---

(١) إشارات المرام (ص/ ٨٥).

(٢) ما بين قوسين منقول عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، والشرح من كلام العلامة كمال الدين البياضي.

ويحفظه، وهذا برهان لطيف جليل مأخوذ من مسلك الخليل عليه التحية والتسليم بالتبجيل حيث استدل قبل أن يجرى عليه القلم بالظهور بعد أن لم يكن، والأفول بعد الطلوع، وآثار العجز عن التدبير كما قال الإمام أبو منصور، مستفهما على سبيل الإنكار في قوله: هذا ربي - فإن حذف أداته مشهور - قائلا: لا أحب الآفلين أي لا أثني على الذي تتعاقب عليه الأحوال ويعتريه التغير والزوال باستحقاق الربوبية ولا أعطيه المحبة التي تجب لله الواجب الوجود الذي يستحيل عليه الزيادة والنقصان والذهاب والإتيان. . .

وأصل الدليل مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴿٣٣﴾﴾[1]، وقوله تعالى ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]، وفيه إشارات إلى مسائل:

الأولى: أن الموجودات مفتقرة إلى الصانع ابتداء وبقاء من حيث يستتبع حدوثها كافتقارها من حيث إمكانها الذي لا ينفك عنها، فإن الموجودات إما جواهر يستحيل خلوها عن الأكوان[4] المتجددة المتغيرة، أو أعراض متجددة بتعاقب الأمثال متغيرة، فهي محتاجة إليه تعالى دائما عند المتكلمين.

---

(١) سورة الشورى: ٣٢ - ٣٣ .

(٢) سورة النمل: جزء من الآية ٨٨ .

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥٥ .

(٤) الأكوان هي عبارة عن الحركة والسكون والاجتماع والافتراق وهي معان حادثة، الكليات لأبي البقاء (١/ ٣٤٥).

الثانية: أن جزم العقل باستحالة جريان سفينة محمولة بنفسها على الاستواء مع تصادم الأمواج والرياح مما لم يختلف فيه الآراء وأجمع عليه العقلاء، وهو قدر يسير بالنسبة إلى ما في العالم من اختلاف أحوال وتغير الأمور والأعمال، فكيف يوجد ويقوم بنفسه من غير صانع واجب وإليه أشار بجعله المقيس عليه.

الثالثة: أن العالم حادث، والاستدلال على حدوثه بجميع أقسامه، وكونه مسبوقا بالعدم بوجوه:

الأول: أن الجسم يقوم به الحادث، وهو ضروري لما نشاهده من الحركات وتجدد الأعراض، ولا شيء من القديم كذلك، وإليه أشار بقوله: (في سفينة مشحونة بالأحمال احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة).

الثاني: أن الأجسام لا تخلو عن الحوادث من الأكوان والتأليف وما يتبعهما من الأعراض، ولا توجد بدون التمايز، وهو بالأعراض لتماثل الجواهر الفردة التي يتألف منها الأجسام، والأعراض لا تبقى زمانين، وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث بذاته وصفاته وأحواله، وأشار بقوله: (قيام هذا العالم على اختلاف أحواله وتغير أموره وأعماله).

الثالث: أن كل جسم ممكن لأنه مركب وكل ممكن وجد مسبوق بالعدم، إذ لا يتصور الإيجاد إلا عن عدم، وإليه أشار بقوله: صانع ومحدث مع قوله في الدليل السابق «لما يرى من خلق السموات والأرض».

وقال[1]: « (وكذا خروج الجنين) الولد المستبين الخلقة (من

(١) إشارات المرام (ص/٩١ - ٩٢).

بطن أمه) ملابسا (بصورة حسنة) من استواء القامة وتناسب الأعضاء، واعتدال التخطيطات المقدارية والأوضاع المتلائمة والإتقان والإحكام البالغ أقصى الغاية، والحكم والمصالح البالغة فيما عرف خمسة آلاف (ليس) بالضرورة (من) تأثير (نجم) من السيارات عديم الشعور كما زعمه المنجمون والصابئون من أن الكواكب المتحركة بحركات الأفلاك هي العلل لحدوث الحوادث الواقعة في العالم من الجواهر والأعراض، متمسكين بدوران الحوادث السفلية والتغيرات الواقعة في جوف فلك القمر وجودا وعدما مع ما لتلك الكواكب من الأوضاع في البروج، كما يشاهد في الفصول الأربعة وتأثيرات الطوالع، (ولا) من (طبع) من القوى البسطية والمركبة العديمة الشعور بالضرورة، وإليه أشار بعدم التعرض للاستدلال للإحالة إلى الضرورة، فليس التأثير من الطبع كما زعمه الطبيعيون من أن الطبائع هي العلل للحوادث متمسكين بأنه يكون من اجتماع الماء والأرض النبات ولا بد فيه من هواء يتخلل بين أجزائه ومن حرارة طابخة، إذ لو فقد أحدهما أو لم يكن على ما ينبغي فسد الزرع، كما إذا التقى البذر في موضع لا يصل إليه الهواء وحر الشمس، ومن النبات يحصل بعض الحيوان لأنه غذاؤه، ومنهما يحصل الإنسان لأنه متولد من المني المتكون من الغذاء الذي هو نبات أو حيوان، وكذا يحصل منهما بعض الحيوان الذي غذاؤه منهما، والطبيعة المصورة التي في الرحم تقيد الأجزاء المتخالفة الحقيقة بالصور والقوى والأشكال والمقادير التي بها يصير مثلا بالفعل لمن فصلت منه البذر (بل من تقدير صانع) متقن للأفعال، فإن الصنع إجادة الفعل كما في االمفردات، والتقدير بمعنى

التخصيص الذي هو نتيجة الإرادة أو نتيجة الحكمة كما في التعديل وغيره (حكيم عالم) بالأشياء على ما هي عليه الآتي بالأفعال على ما ينبغي. يعني أن اختصاص كل واحد من الأجسام بصفته وصورته جائز ممكن فلا بد له من مخصص حكيم. وتقريره أن اختصاص كل واحد من الأجسام بصفته المعينة وصورته المشخصة، والإحكام إلى الغاية لا بد وأن يكون من الجائزات ولا بد للجائز من مرجح...

وأصل الدليل مأخوذ من قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1] حيث دل إيراده في معرض الاستدلال على أنه يعلم علما ضروريا، ويستدل به على غيره كما في شرح المواقف، وفيه إشارات إلى مسائل:

الأولى: أن من تأمل في عجائب الأفعال الحادثة في عالم الطبيعة البالغة من الإتقان والاحكام أقصى الغايات، وكان راجعا إلى فطنة ولم يعم بصيرته التقليد علم بالضرورة أنها لا يمكن أن تستند إلى قوى بسيطة أو مركبة عديمة الشعور، سيما ما يحدث في الحيوانات من الصور النوعية والقوى التابعة لها على تلك المادة المتشابهة الأجزاء، وما يراعى فيها من حكم ومصالح قد تحيرت فيها الأوهام وعجزت عن إدراكها العقول والأفهام، مما قد بلغ المعروف منها في كتب منافع الأعضاء وأشكالها ومقاديرها، وأوضاعها خمسة آلاف وما لم يعلم منها أكثر مما علم، كما في المواقف وأوائل التفسير الكبير للرازي...

---

(١) سورة ءال عمران: جزء من الآية ٦ .

ثم قال بعد كلام: (والعالم) أي ما يُعلَم به الصانع وصفاته من الجواهر والأعراض (يتغير من حال إلى حال) في الأكوان والأمثال المتجددات (والتغير لا بد له من مغير) لا يتغير كما هو المتبادر، والاحتياج إلى المغير المرجح ضروري في الممكن المتغير (فدل تغيره على وجود مغير له غالب) على أمره (هو الصانع) الواجب المتقن لفعاله، يعني أن كل موجود من العالم يشاهد تغير حاله انقلابه من العناصر والحيوان والمعادن والنبات، ولا بد له من مغير صانع.

وتقريره: أن كل موجود من العالم كانت حقيقته قابلة للتغير والعدم فإنه يكون نسبة حقيقته إلى الوجود وإلى العدم على السوية، وكل ما كان كذلك لم يكن وجوده راجحا على عدمه إلا لمرجح وهو لا بد وأن يكون موجودا، فإن كان ممكنا عاد الكلام فيه ولزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل لما مر، فثبت الانتهاء إلى مرجح واجب الوجود غالب لذاته.

وتقريره على طريقة الحدوث: أنه لا شك في تغير العالم وحدوث أحواله، وكل حادث ممكن، وإلا لم يعدم ولم يوجد فله مؤثر، وذلك المؤثر يكون لا محالة واجبا غالبا، أو منتهيا إليه لاستحالة الدور أو التسلسل.

وأصل الدليل مأخوذ من قوله تعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[1]، وبين المقام تنبيها على ضرورية دلالة الموجود المحدث بقوله فيه (كوجود بناء مشيد) أي محكم (في عرصه بعد أن لم يكن) فيها

---

(١) سورة ءال عمران: جزء من الآية ١٩٠.

مادته وصورته كما دل الإطلاق (يدل على وجود بان بناه) بالضرورة» اهـ. بتصرف يسير.

قال الفخر الرازي: «**وهذا الكلام موافق للوحي والنبوة**، فإنه ذكر مراتب تكوّن الجسد في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1] فلما آل الأمر إلى تعلق الروح بالبدن قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[2] وذلك كالتنبيه على أن كيفية تعلّق الروح بالبدن ليس مثل انقلاب النطفة من حال إلى حال، بل هذا نوع آخر مخالف لتلك الأنواع المتقدّمة فلهذا السبب قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فكذلك الإنسان إذا تأمّل في أحوال الأجرام السفلية والعلوية وتأمّل في صفاتها فذلك له قانون، فإذا أراد أن ينتقل منها إلى معرفة الربوبية وجب أن يستحدث لنفسه فطرة أخرى وعقلًا آخر بخلاف العقل الذي به اهتدى إلى معرفة الجسمانيات»[3] اهـ.

- **[وأهل السنة تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول:**

وعرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد، واتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٢ .

(٢) سورة المؤمنون: جزء من الآية ١٤ .

(٣) أساس التقديس (ص/٢١/ ٢٢).

بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم، هيهات قد خاب على القطع والبتات وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات.

فمثال العقل البصر السليم عن الآفات، ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء، المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفيًا بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضًا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان.

فالعقل مع الشرع نور على نور، والملاحظ بالعين العور لأحدهما على الخصوص متدل بحبل غرور. وسيتضح لك أيها المشوق إلى الاطلاع على قواعد عقائد أهل السنة، المقترح تحقيقها بقواطع الأدلة، أنه لم يستأثر بالتوفيق للجمع بين الشرع والتحقيق فريق سوى هذا الفريق وهو فريق أهل السنة والجماعة.

فاشكر الله تعالى على اقتفائك لآثارهم وانخراطك في سلك نظامهم وعيارهم واختلاطك بفرقتهم، فعساك أن تحشر يوم القيامة في زمرتهم. نسأل الله تعالى أن يصفي أسرارنا عن كدورات الضلال، ويغمرها بنور الحقيقة، وأن يخرس ألسنتنا عن النطق بالباطل، وينطقها بالحق والحكمة إنه الكريم الفائض المنة الواسع الرحمة][1].

(١) بتصرف من مقدمة الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد (ص/ ٢٠).

- لا يعرف الله بالحواس ولا يقاس بالناس، ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس:

قال الإمام محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي (١٠٠٦-١٠٨٣هـ) ما نصه: «ويجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر، فيجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه، فالله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان، ولا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس، ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فهو الغني عن كل شيء، ولا يستغني عنه شيء، ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء، فمن شبهه بشيء من خلقه فقد كفر، كمن اعتقده جسما أو قال إنه جسم لا كالأجسام، فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ولا تضرب له الأمثال، ولا يعرف بالقيل والقال، وبكل حال مهما خطر بالبال وتوهمه الخيال فهو بخلاف ذي الإكرام والجلال»[1] اهـ.

وقال صاحب كتاب بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية: » (ولا يتمكّن بمكان) لأنّ التّمكّن عبارةٌ عن نفوذ بعدٍ في بعدٍ آخر متوهَّمٍ أو متحقّقٍ يسمّونه المكان.

والبعد عبارةٌ عن امتدادٍ قائمٍ بالجسم أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء، والله تعالى منزّهٌ عن المقدار والامتداد لاستلزامه التّجزّي، ولأنّه لو كان في مكان لزم قدم المكان،

(١) مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات (ص/٤٨٩ - ٤٩٠).

وأيضًا يلزم افتقاره إليه، وكلّ مفتقرٍ ممكنٌ، فيلزم كون الواجب ممكنًا، وأيضًا يلزم كونه جوهرًا وقد أبطلناه.

وأورد عليه بأنّ كلّ موجودٍ متحيّزٌ ببداهة العقل، ودفع بأنّه بداهة الوهم لا بداهة العقل لأنّ الوهم في غير المحسوسات ليس بمقبولٍ، وأمّا النّصوص الظّواهر في التّجسّم المستلزم للمكان نحو قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[١] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[٢] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٣].

قال صاحب المواقف: إنّها ظواهر ظنّيّةٌ لا تعارض اليقينيّات الدّالّة على نفي المكان، فلزم أنّها متشابهاتٌ فنفوّض علمها إلى الله تعالى كما هو مذهب السّلف أو نؤوّلها بنحو:

- الاستيلاء على العرش.
- ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي أمر ربّك.
- و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي يرتضيه.

(ولا يجري عليه زمانٌ) لأنّ الزّمان متجدّدٌ، يقدّر به متجدّدٌ آخر كما هو عند المتكلّمين أو مقدار الحركة والله منزّهٌ عنهما، لأنّ التّجدّد لا يتصوّر في القديم وكذا المقدار.

(وليس له جهةٌ من الجهات السّتّ ولا هو في جهةٍ منها) وهي فوق تحت ويمين ويسار وقدّام وخلف، والجهة عند المتكلّمين المكان نفسه بإضافة جسم آخر إليه، فإذا انتفت الجسميّة والمكانيّة تنتفي الجهة لأنّها من خواصّ الأجسام،

---

(١) سورة طه: ٥ .
(٢) سورة الفجر: جزء من الآية ٢٢ .
(٣) سورة فاطر: جزء من الآية ١٠ .

ولأنّه تعالى لو كان في جهةٍ أو زمانٍ لزم قدم المكان أو الزّمان ولأنّه أمارة الإمكان للافتقار إليه» اهـ.

وعليه فإن القول الفصل أن (الله موجود بلا مكان) وهو سبحانه عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومهيمن على كل شيء، لكن لا يقال «هو في كل مكان» أو «هو الكل» أو «موجود في كل الوجود»، كما يقوله جهلة المتصوفة، أو «لا يعلم مكانه إلا هو» كما تناور به أحيانا المشبهة، بل ذلك مخالف لما مر بيانه فيجب نبذه وبيان الصواب.

- **الاعتراف بوجود شيء على خلاف حكم الحس والخيال:**

وقد أوضحت ذلك بما تقدم لكني هنا أخلص إلى النتيجة المقصودة:

سئل الإمام العلامة أبو الحسن الدينوري عن الاستدلال بالشاهد على الغائب؟

فقال: «كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يشاهد ولا يعاين في الدنيا، ولا نظير له ولا مثل.

هذا من جهل الجاهلين بالآيات التي قلبوا بها حقائق الأمور»[١] اهـ.

وقال الفخر الرازي ما نصه[٢]: «خصومنا لا بد لهم من الاعتراف بوجود شيء على خلاف حكم الحس والخيال، وذلك لأن خصومنا في هذا الباب إما الكرامية وإما الحنابلة.

(١) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ٥٠).
(٢) في أساس التقديس (ص/ ١٨).

أما الكرّامية فإنا إذا قلنا لهم: لو كان الله تعالى مشارًا إليه بالحس لكان ذلك الشيء:

إما أن يكون منقسمًا فيكون مركبًا وأنتم لا تقولون بذلك.

وإما أن يكون غير منقسم فيكون في الصغر والحقارة مثل النقطة التي لا تنقسم، ومثل الجزء الذي لا يتجزّأ وأنتم لا تقولون بذلك.

فعند هذا الكلام قالوا: إنه واحد منـزّه عن التركيب والتأليف، ومع هذا فإنه فليس بصغير ولا حقير.

ومعلوم أن هذا الذي التزموه مما لا يقبله الحس والخيال، بل لا يقبله العقل أيضًا، لأن المشار إليه بحسب الحس:

- إن حصل له امتداد في الجهات والأحياز كان أحد جانبيه مغايرًا للجانب الثاني، وذلك يوجب الانقسام في بديهة العقل.

- وإن لم يحصل له امتداد في شيء من الجهات لا في اليمين ولا في اليسار ولا في الفوق ولا في التحت كان نقطة غير منقسمة، وكان في غاية الصغر والحقارة.

فإذا لم يبعد عندهم التزام كونه غير قابل القسمة مع كونه عظيمًا غير متناه في الامتداد كان هذا جمعًا بين النفي والإثبات، ومدفوعًا في بداية العقول.

وأما الحنابلة الذين التزموا الأجزاء والأبعاض فهم أيضًا معترفون بأن ذاته تعالى مخالف لذوات هذه المحسوسات، فإنه تعالى لا يساوي هذه الذوات في قبول الاجتماع والافتراق والتغير والفناء والصحة والمرض والحياة والموت، إذ لو كانت ذاته تعالى مساوية لسائر الذوات في هذه الصفات لزم إما افتقاره إلى خالق آخر ولزم التسلسل، أو لزم القول بأن

الإمكان والحدوث غير محوج إلى الخالق وذلك يلزم منه نفي الصانع[1] فثبت أنه لا بد لهم من الاعتراف بأن خصوصية ذاته التي بها امتازت عن سائر الذوات ما لا يصل الوهم والخيال إلى كنهها، وذلك اعتراف بثبوت أمر على خلاف ما يحكم به الوهم ويقضي به الخيال.

وإذا كان الأمر كذلك فأيّ استبعاد في وجود موجود غير حالّ في العالم، ولا مباين بالجهة للعالم، وإن كان الوهم والخيال لا يمكنهما إدراك هذا الموجود.

وأيضًا فعمدة مذهب الحنابلة أنهم متى تمسكوا بآية أو بخبر يوهم ظاهره شيئًا من الأعضاء والجوارح صرّحوا بأنا نثبت هذا المعنى لله تعالى على خلاف ما هو ثابت للخلق، فأثبتوا لله تعالى وجهًا بخلاف وجوه الخلق، ويدًا بخلاف أيدي الخلق، ومعلوم أن اليد والوجه بالمعنى الذي ذكروه مما لا يقبله الخيال والوهم، فإذا عقل إثبات ذلك على خلاف الوهم والخيال فأيّ استبعاد في القول بأنه تعالى موجود، وليس داخل العالم ولا خارج العالم، وإن كان الوهم والخيال قاصرين عن إدراك هذا الوجود».

ثم قال: «. . .أهل التشبيه قالوا: العالم والبارئ موجودان، وكل موجودين فإما أن يكون أحدهما حالًّا في الآخر أو مباينًا عنه. قالوا والقول بوجوب هذا الحصر معلوم بالضرورة. قالوا: والقول بالحلول محال، فتعيّن كونه مباينًا للعالم بالجهة فبهذا الطريق احتجوا بكونه تعالى مختصًا بالحيّز والجهة.

---

(١) وفي ذلك نفي دلالة الحدث، وفتح باب الإلحاد المقيت.

وأهل الدهر قالوا: العالم والبارئ موجودان، وكل موجودين فإما أن يكون وجودهما معًا أو أحدهما قبل الآخر، ومحال أن يوجد العالم والبارئ معًا وإلا لزم إما قدم العالم أو حدوث البارئ وهما محالان، فثبت أن البارئ قبل العالم.

ثم قالوا: والعلم الضروري حاصل بأن هذه القبلية لا تكون إلا بالزمان والمدة، وإذا ثبت هذا فتقدّم البارئ إن كان بمدة متناهية لزم حدوث البارئ، وإن كان بمدة لا أول لها لزم كون المدة قديمة فأنتجوا بهذه الطريق قدم المدة والزمن.

فنقول: حاصل هذا الكلام أن المشبهة زعمت أن مباينة البارئ تعالى عن العالم لا يعقل حصولها إلا بالجهة، وانتخبوا منه كون الإلٰه في الجهة، **وزعمت الدهرية** أن تقدّم البارئ على العالم لا يعقل حصوله إلا بالزمان، وأنتجوا منه قدم المدة.

وإذا ثبت هذا فنقول:

حكم الخيال في حق الله تعالى إما أن يكون مقبولا أو غير مقبول:

- فإن كان مقبولًا:

- فالمشبهة يلزم عليهم القول بكون الزمان أزليًّا، والمشبهة لا يقولون بذلك.

- والدهرية يلزم عليهم مذهب المشبهة وهو مباينة البارئ عن العالم بالجهة والمكان فيلزمهم القول بكون البارئ مكانيًا، وهم لا يقولون به.

فصار هذا النقد واردًا على الفريقين.

أما إن قلنا حكم الوهم والخيال غير مقبول ألبتة في ذات الله تعالى وفي صفاته فحينئذٍ نقول:

قول المشبهة: إن كل موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما حالًّا في الآخر أو مباينًا عنه بالجهة **قول خياليّ باطل**.

وقول الدهري: بأن تقدّم البارئ على العالم لا بدّ وأن يكون بالمدّة والزمان **قول خياليّ باطل**.

وذلك هو قول أصحابنا أهل التوحيد والتنـزيه الذين عزلوا حكم الوهم والخيال عن ذات الله تعالى وصفاته وذلك هو المنهج القويم والصراط المستقيم.

ثم قال: المقدّمة الثانية: في أنه ليس كل موجود يجب أن يكون له شبيه ونظير:

إنه ليس كل موجود يجب أن يكون له نظير وشبيه، وإنه ليس يلزم من نفي النظير والشبيه نفي ذلك الشيء، ويدل عليه وجوه:

الحجة الأولى: أن بديهية العقل لا تستبعد وجود موصوف بصفات مخصوصة بحيث يكون كل ما سواه مخالفًا له في تلك الخصوصية، وإذا لم يكن هذا مدفوعًا في بداية العقول علمنا أنه لا يلزم من عدم نظير الشيء عدم ذلك الشيء.

الحجة الثانية: هي أن وجود الشيء إما أن يتوقّف على وجود ما شابهه أو لا يتوقف، والأول باطل، لأن الشيئين لو كانا متشابهين وجب استواؤهما في جميع اللوازم فيلزم من توقف وجود هذا على وجود الثاني توقف وجود الثاني على وجود الأول، بل توقف كل واحد منهما على نفسه، وذلك محال في بداية العقول، فثبت أنه لا يتوقف وجود الشيء على وجود نظير له فلا يلزم من نفي النظير نفيه.

...فظهر فساد قول من يقول إنه لا يمكننا أن نعقل وجود موجود لا يكون متصلًا بالعالم ولا منفصلًا عنه إلا إذا وجدنا

له نظيرًا، فإن عندنا الموصوف بهذه الصفة ليس إلا الله تعالى، وبيّنا أنه لا يلزم من عدم النظير والشبيه عدم الشيء، فثبت أن هذا الكلام ساقط بالكلية وبالله التوفيق.

تعريف الكيف

قال اللغوي الراغب الأصبهاني في «المفردات في غريب القرءان» (ص٤٤٤): «كيف لفظ يسأل به عما يصح أي يقال فيه شبيه وغير شبيه كالأبيض والأسود والصحيح والسقيم، ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجلّ كيف» اهـ.

قال الفقيه اللغوي الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ ما نصه: «مادة: هـ ال - ص/١٣٨٦) ما نصه: «يصف أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية» من كتابه القاموس المحيط.

وقال محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ في كتابه التوقيف على مهمات التعاريف طبعة دار الفكر المعاصر بيروت ص٦١٤ ما نصه: «كيف: كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تدرك بالحواس».

واليك الآن هذه النصوص والنقول بدءا بقول مصباح التوحيد وصباح التفريد إمام الهدى باب مدينة العلم سيدنا ولي الله أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه

١ - قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «إن الذي كيّف الكيف لا كيف له وإن الذي أيّن الأين لا أين له». ذكره أبو اسحاق الإسفراييني في كتابه التبصير في الدين.

٢ - قال الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه ما نصه: «بل جلّ أن يُكَيَّف المُكَيِّفُ للأشياء»، وقال: «بل هو

بلا كيفية»، وقال: «سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات». رواه الإمام أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء ص ٧٢ الجزء الأول في ترجمة الإمام علي.

٣ - نقل الحافظ البيهقي عن أئمة السلف، مالك والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من أئمة السلف أنهم قالوا في آيات وأحاديث الصفات أمرّوها كما جاءت بلا كيف، وذلك في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، وحتى الذهبي وابن كثير نقلا ذلك عنهم، وهذا دليل على تذبذب الوهابية وتناقضها في مسائل العقيدة لأنهم في كتبهم يقولون ما فيه إثبات الكيفية وما هو من صفات المخلوقين في حق الله تعالى والله منزه عن ذلك.

٤ - روى البيهقي عن الإمام مالك رضي الله عنه وهو إمام دار الهجرة وكما قال فيه الإمام أحمد: «إذا ذكر الحديث فمالك النجم»، أنه قال: «ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع». وفي رواية: «والكيف غير معقول». رواه البيهقي في الأسماء والصفات

وهذا فيه تنزيه لله عن القعود والجلوس وعن الحركة والسكون وعن كل ما كان من صفات المخلوقين.

وأما الذي تلهث به الوهابية (وهو لم يثبت عن مالك قولهم) «والكيف مجهول» وهذه العبارة لم تثبت من حيث الإسناد عن الإمام مالك، بل قال البيهقي عن الرواية التي ذكرناها أولا «والكيف غير معقول» إسنادها جيد.

ففي رواية عبد الله بن وهب: قال مالك لرجل صاحب بدعة: «الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج».

في هذه الرواية: «أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران» له ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي «وفيات ٣٣١هـ فما بعدها» ص١٨٧، والأنساب للسمعاني «١/ ١٥٥».

وهذه هي أصح الروايات: قال الذهبي في العلو: «وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب...».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وأخرج البيهقي بسند جيد عن ابن وهب...».

أما رواية محمد بن النعمان بن عبد السلام التيمي عند أبي الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان: ونص الإجابة «الإستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا أخرجوه من داري».

فيها محمد بن النعمان هذا وله ترجمة في طبقات المحدثين للأصبهاني «٢/ ٢١١» وتاريخ الإسلام للذهبي وفيات «٢٤١/ ٢٥٠هـ» ص٣٧٥ .

ولم يذكره أحد بجرح أو تعديل.

وأما رواية عبد الله بن نافع عند ابن عبد البر: ونص الإجابة: «استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء».

فيها: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن: وهو صدوق لم يكن ضبطه بالجيد كما قال ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس ونقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ٣٩٠هـ وابن حجر في اللسان (٣/ ٣٥٣).

وفيها أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك: وهو ثقة يهم قليلا.

وفيها عبد الله بن نافع: قال أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفا فيه.

وأما رواية جعفر بن ميمون عند الصابوني: ونص الإجابة: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا وأمر به أن يخرج من مجلسه».

وأما رواية أيوب بن صالح المخزومي عند ابن عبد البر: ونص الإجابة: «سألتَ عن غير مجهول وتكلمت في غير معقول إنك امرؤ سوء أخرجوه».

فيها: محمد بن عبد الملك بن ضيفون القرطبي: قال فيه ابن الفرضي: » كان رجلا صالحا أحد العدول وكتب الناس عنه وعلت سنّه فاضطرب في أشياء قرئت عليه وليست مما سمع ولا كان من أهل الضبط» توفي سنة **٤٩٢**هـ انظر تاريخ العلماء لابن الفرضي (٢/ ١١٠)، والسير للذهبي (١٧/ ٥٦) ولسان الميزان لابن حجر (٥/ ٢٦٧).

وفيها عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله المرادي أبو محمد يعرف بالقبري: وهو كثير الرواية عن بقي بن مخلد، انظر ترجمته في تاريخ العلماء لابن الفرضي (١/ ٢٦٥)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٧/ ١٧٨).

وفيها أيوب بن صالح بن سلمة المخزومي: ضعّفه ابن معين وقال فيه ابن عدي: «روى عن مالك ما لم يتابعه عليه أحد»، لسان الميزان (١/ ٤٨٣)، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١٣١)، المغني في الضعفاء للذهبي (١/ ١٥٥).

وأما رواية بشار الخفاف الشيباني أو غيره!! عند ابن ماجه

في التفسير، وفيها ما ذكر بالإضافة الى بشار بن موسى الخفاف تكلم فيه البخاري ويحيى بن معين وأبو داود والنسائي وعلي بن المديني وغيرهم.

وأما رواية يحيى بن يحيى التميمي عند البيهقي: ونص الإجابة: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج».

وفيها: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الأصفهاني: له ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٤٣٠هـ ص٢٨١ .

وأما جعفر بن عبد الله عدّه الذهبي في المشتبه في الرواة عن مالك، وتعقبه بن ناصر الدين في توضيح المشتبه (٤/ ٩٨ - ٩٩) بقوله: «فيه نظر لأن هذا الإطلاق يوهم أن شيخ جعفر مالك بن أنس الإمام، وكأنه _والله أعلم_عند المصنِف الإمام مالك، فلهذا أطلقه وليس بالإمام، إنما هو مالك بن خالد الأسدي البصري كما سماه الأمير وغيره»، وذكر نحوا من هذا ابن حجر في تبصير المنتبه (٢/ ٦٢١): وقد اضطرب فيها مهدي بن جعفر (وهو صدوق له أوهام): فمرة رواها عن مالك مباشرة عند ابن عبد البر وفيها محمد بن عبد الملك وعبد الله ابن يونس وقد تقدما، ونص روايته: «استواؤه مجهول! والفعل منه غير معقول والمسألة عن هذا بدعة».

ومرة رواها عن جعفر عن رجل عن مالك عند الدارمي، ومرة رواها عن جعفر بن عبد الله عن مالك: عند أبي نعيم في الحلية ونص الرواية: «الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وأمر به فأخرج.

٥ - قال الإمام أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ للهجرة ما نصه: «فإن قال قائل وكيف هو قيل له إن أردت الكيفية التركيب والصورة والجنسية فلا صورة له ولا جنس فنخبرك عنه». وذلك في كتابه التمهيد.

٦ - وقال في الكتاب نفسه ما نصه: «قال تعالى (الرحمٰن على العرش استوى) بغير مماسة وكيفية ولا مجاورة».

٧ - قال الشيخ أبو عمر الداني المتوفى سنة ٤٤٤ للهجرة ما نصه: «واستواؤه جلّ جلاله علوّه بغير كيفية ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة». وذلك في الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الإعتقادات.

٨ - قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤ للهجرة ما نصه: «ولا يصح تقدير كيفية قول الله لأن كلام الله لا يكيف». نقله الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري.

وقال القاضي: «وياليت شعري ما الذي جمع آراء كافة أهل السنة والحق على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكر في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك، وسلّموا وأطبقوا على تحريم التكييف والتخييل والتشكيل». من كتابه «إكمال المعلم بفوائد مسلم» عند شرح حديث الجارية.

٩ - قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المفسر المالكي الأشعري المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة ما نصه: «فإن الكيفية محال على الله تعالى وعلى صفاته من جميع الوجوه». وذلك في كتابه الإعلام بما في دين النصارى.

وقال الإمام أبو العباس ضياء الدين أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم القرطبي المتوفى سنة ٦٦٢ للهجرة ما نصه: «هو الله لا أين ولا كيف عنده ولا حدَّ يحويه ولا حصر ذي حدٍّ». من رسالة له سماها زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري.

١٠ - قال الإمام محمد الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢ للهجرة ما نصه: «فالراسخون في العلم يقولون ءامنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه». وذلك في كتاب شرح موطأ مالك.

١١ - قال أبو طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦ للهجرة ما نصه: «وينفي التشبيه والتكييف عنها إذ لا كفؤ للموصوف فيشبه». وذلك في كتابه قوت القلوب.

١٢ - قال ابن عطية المالكي المتوفى سنة ٥٤١ للهجرة ما نصه: «وهو تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره». وذلك في كتابه المحرر الوجيز.

١٣ - قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤ للهجرة مانصه: «واتفقوا على تحريم التكييف والتشبيه». وذلك في اكمال المعلم بفوائد مسلم.

١٤ - وقال في الكتاب نفسه مانصه: «وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق».

١٥ - قال الإمام القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤ للهجرة ما نصه: «وقول مالك والكيف غير معقول معناه أن ذات الله تعالى لا يوصف بما وضعت العرب له كيف وهو الأحوال المتنقلة

والهيآت الجسمية من التربع وغيره فلا يعقل ذلك في حقه تعالى لاستحالته في جهة الربوبية». وذلك في كتابه الذخيرة.

قال قاسم بن عيسى ابن ناجي التنوخي الروي في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني صفحة ٢٨ من الجزء الأول عند ﷺلقول المنسوب اليه في رسالته_ «وهو فوق عرشه المجيد بذاته» ما نصه: «قال الفاكهاني وسمعت شيخنا أبا علي البجائي يقول إن هذه لفظة دست على المؤلف رضي الله عنه».

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المالكي في شرحه على الرسالة السالفة الذكر عن ﷺلقول المنسوب إلى القيرواني في رسالته - ما نصه: «أخذ عليه في قوله «بذاته» لأن هذه اللفظة لم يرد بها السمع».

ولفظة «بذاته فوق العرش» لم تثبت عن أحد ممن يعتد بقوله لأن الله موجود أزلا وأبدًا بلا مكان والعرش والأماكن حادثة وجدت بعد عدم، وهذا تكذيب للوهابية التي تلهث بهذه العبارة من غير تحقيق ولا سند.

١٦ - قال ابن الحاج المالكي المتوفى سنة ٧٣٧ للهجرة ما نصه: «جلّ جلاله عن الصورة والكيفية». وذلك في كتابه المدخل.

وقال أيضا عن الله تعالى «فلا يقال أين ولا كيف ولا متى؛ لأنه خالق الزمان والمكان إلى غير ذلك من صفاته الجليلة». وذلك في كتابه المدخل.

١٧ - وقال عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي المتوفى سنة ٨٧٦ للهجرة ما نصه: «والعقيدةُ أنه تعالى منزهٌ عن الحواسِّ والتشبيهِ والتكييفِ لا ربَّ غيره». وذلك في كتابه الجواهر الحسان في تفسير القرءان.

١٨ - قال محمد بن أحمد المشهور بميّارة المالكي المتوفى سنة ١٠٧٢ للهجرة ما نصه: «بغير اتصال بالأجسام ولا تكييف بالذات والآلام وقيل ترجع في حقه تعالى إلى العلم وقيل بالوقف وهوأحسنها». وذلك في كتابه الدر الثمين.

قال إسماعيل حقي الحنفي (ت ١١٣٧هـ) في تفسيره المسمى [روح البيان في تفسير القرآن] ما نصه:

«فإنه تعالى منزه عن الكيف والأين» اهـ

وقال في الكتاب نفسه:

«وحيث ترى في مرءاة القلب صورة أو خطر بالخاطر مثال وركنت النفي إلى كيفيته فليجزم بأن الله بخلافه إذ كل ذلك من سمات الحدوث لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوقين المنزه عنهما الخالق» اهـ.

قال المفسر أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المتوفى سنة ٩٨٢ للهجرة ما نصه: «وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف والمعنى أنه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن». وذلك في تفسيره المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم».

قال الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي (٧٣٠ هـ) في كتابه «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام(١/ ١٥٦)» في (باب المتشابه) يقول: «يجوز أن يراه المؤمنون بلا كيف أو جهة، كما يرى هو نفسه بلا كيف ولا جهة» اهـ.

قال الشيخ سعد الدين سعود التفتازاني الحنفي المتوفى سنة

٧٩١هـ ما نصه: «ولا بالكيفية أي من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وغير ذلك مما هو من صفات الأجسام أو توابع المزاج والتركيب». من كتابه شرح العقيدة النسفية ص٧١ .

١٩ - قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه المجتهد المطلق الصديق ولي الله الذي فيه فسر بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما ونورا**» أخرجه الترمذي، المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة قال ما نصه: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد». رواه البيهقي في الأسماء والصفات.

وذلك لأن الذي يُتخيل في الذهن ويُتصور في البال يكون ذا كيفية من الكيفيات والله تعالى قال عن نفسه «الخالق البارئ المصور»، ومعنى المصوِر في حق الله تعالى أنه خالق الأشكال والصور لأنها كيفيات ولو كان ذا كيفية وشكل وصورة لقال: «المصوَر»، وهذا رد قرءاني على الوهابية لانهم اعتقدوا في الله تعالى أنه ذا هيئة وكيفيات كالجلوس والقعود والحركة والسكون والجسم والجثة والصورة، وهذه الآية تكذبهم. ولذلك قال الإمام الشافعي عنهم وعن امثالهم: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه».

قال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة ما نصه: «روي عن مالك وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها

بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة مع اعتقاد أن الظاهر المتبادر غير مراد». وذلك في كتاب الزكاة من سننه.

٢٠ - قال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري أمام أهل السنة والجماعة رضي الله عنه وأرضاه المتوفى سنة ٣٢٤ للهجرة ما نصه: «وكذلك قالت الحشوية المشبهة أن الله سبحانه وتعالى يُرى مكيفا محدودا كسائر المرئيات وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية إنه سبحانه لا يرى بحال من الأحوال فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال يرى ـ أي في الآخرة ـ من غير حلول ولا حدود ولا تكييف كما يرانا هو سبحانه وتعالى وهو غير محدود ولا مكيف فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيف». وذلك فيما رواه الإمام الحافظ ابن عساكر الشافعي الدمشقي رضي الله عنه في كتابه تبيين كذب المفتري.

٢١ - قال الإمام الحافظ الشهيد محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان أبو حاتم البستي الشافعي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٣٥٤ للهجرة ما نصه: «ومن زعم أن السنن إذا صحت يجب أن تروى ويؤمن بها من غير أن تفسر ويعقل معناها فقد قدح في الرسالة، اللهم إلا أن تكون السنن من الأخبار التي فيها صفات الله جل وعلا التي لا يقع فيها التكييف بل على الناس الإيمان بها». وذلك في كتابه صحيح بن حبان.

وقال في شرح حديث النزول ما نصه: «صفات الله عز وجل لا تكيف ولا تقاس إلى صفات المخلوقين». وذلك في الصحيح.

٢٢ - قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١

للهجرة ما نصه: «والله بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف». وذلك في كتابه اعتقاد أئمة الحديث.

٢٣ - قال الإمام أبو سليمان الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ للهجرة ما نصه: «إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية». وذلك فيما رواه الإمام أبو بكر البيهقي رضي الله في الأسماء والصفات.

وقال في شرحه على صحيح البخاري: «وليس معنى قول المسلمين إن الله استوى على العرش هو مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته لكنه بائن من جميع خلقه_أي غير مشابه لهم بوجه من الوجوه - إنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». من كتاب أعلام الحديث ونقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري مقرا له.

قال الأستاذ المتكلم أبو بكر بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ ما نصه: «موجود بلا حد موصوف بلا كيف». وذلك في كتابه مشكل الحديث ص٢٤ .

٢٤ - قال الإمام الأصولي الأستاذ أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادي الشافعي الأشعري رضي الله عنه المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة عن محمد بن كرام ما نصه: «ولا يدري العاقل من ماذا يتعجب أمن جسارته على اطلاق لفظ الكيفية فى صفات الله تعالى أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية». وذلك في كتابه الفرق بين الفرق.

٢٥ - قال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أحمد الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ للهجرة ما نصه: «ونشهد أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءَ غلبة كما بينه في كتابه في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ وفي آيات أُخر والرسول ﷺ تسليمًا ذكر فيما نقل عنه ومن غير أن يكيف استواءه عليه، أو يجعل لفعله وفهمه أو وهمه سبيلًا إلى إثبات كيفية، إذ الكيفية عن صفات ربنا منفية». وذلك فيما رواه ابن عديم في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب.

وقال الإمام الكبير فخر الدين ابن عساكر أبو منصور عبد الرحمٰن بن محمد ابن الحسن بن هبة الله الشافعي الأشعري المتوفى سنة ٦٢٠ للهجرة ما نصه: «الله موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا كلّ ولا بعض ولا يقال: متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كوّن الأكوان ودبّر الزمان لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان ولا يشغله شأن عن شان ولا يلحقه وهم ولا يكتنفه عقل ولا يتخصص بالذهن ولا يتمثل في النفس ولا يتصور في الوهم ولا يتكيّف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». وذلك في «العقيدة المرشدة» التي قال أنها عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال الإمام المحدث الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المشهور ببدر الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٣ للهجرة ما نصه: «ومن انتحل قول السلف، وقال بتشبيه أو تكييف أو حمل اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من

صفات المحدثين فهو كاذب في انتحاله بريء من قول السلف واعتداله». وذلك في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص٩٣ .

٢٦ - قال الحافظ الإمام الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة ما نصه: «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا -يعني المتشابه- ولم يتكلم فيه أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات». وذلك في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد.

٢٧ - وقال أيضا ما نصه: «الباطن هو الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية». وذلك في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد.

٢٨ - قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة ما نصه: «أخبرنا أبو علي بن الخلال، أنا جعفر، أنا السلفي، أنا محمد بن مرزوق الزعفراني، ثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله تعالى، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، تعالى الله عن ذلك». وذلك فيما رواه عنه الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام.

٢٩ - وقال أيضا المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة ما نصه: «فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف». وذلك فيما رواه عنه أيضا الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام.

قال الإمام العلامة تاج الدين محمد بن هبة الله بن مكي الحموي المصري الشافعي المتوفى سنة ٥٩٩ للهجرة ما نصه: «قد استوى الله على العرش كما شاء ومن كيّف ذاك جسما». من قصيدته «حدائق الفصول وجواهر الأصول» التي صنّفها للسلطان المجاهد الناصر صلاح الدين الأيوبي الأشعري رحمه الله تعالى.

٣٠ - قال طاهر بن محمد، ويقال شهفور بن طاهر أبو إسحاق الأسفراييني أبو المظفر المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة ما نصه: «وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية و الأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له ممَّ كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان». وذلك في كتابه التبصير في الدين.

٣١ - وقال أيضا ما نصه: «فقال -أي ابن كرام- باب كيفوفية الله فلا يدري العاقل مم يتعجب من لفظه الذي أطلقه أو من حسن معرفته بمواضع العربية وليت شعري كيف أطلق الكيفية عليه ولعله أراد أن يخترع من نفسه عبارة لم يسبق إليها تليق بعقله». وذلك في كتابه التبصير في الدين.

قال المفسر النحوي أبو حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى ٧٤٥ للهجرة ما نصه: «معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس

بجسم ولا جارحة ولا يشبه بشيء من خلقه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث وكل هذا مقرر في علم أصول الدين». وذلك في تفسيره البحر المحيط.

٣٢ - قال الإمام الفقية الذي كان من أصحاب الوجوه أبو سعد عبد الرحمٰن بن محمد المأمون جمال الدين المتولي الشافعي ما نصه: «والباري تعالى يتقدس عن التحديد والكيفية». وذلك في كتابه الغنية في أصول الدين.

٣٣ - قال الفقيه محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ للهجرة ما نصه: «وأنه تعالى منزّه عن الكيف والكم». وذلك في كتابه التبر المسبوك.

٣٤ - وقال أيضا في الكتاب نفسه ما نصه: «لو قال القائل كيف يرى رب الأرباب في الآخرة، كان جوابه محالا لا محالة لأنه يسأل عن كيفية ما لا كيفية له، إذ معنى قول القائل كيف هو أي مثل أي شيء هو مما عرفناه، فإن كان ما يسأل عنه غير مماثل لشيء مما عرفه، كان الجواب محالًا ولم يدل ذلك على عدم ذات الله تعالى».

٣٥ - قال الإمام عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفى سنة ٥١٤ للهجرة ما نصه: «وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مُقلةٍ من جهةٍ، كما هم يَرَوْنه بلا كيفية». انتهى

٣٦ - قال الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الشافعي المتوفى سنة ٥٤٨ للهجرة ما نصه: «فإنه كما يسلب عنه المادة يسلب عنه الصورة أعني الصورة الجسمية ويسلب عنه الكيفية والكمية والوضع والحيز والمكان والزمان». وذلك في كتابه الملل والنحل.

٣٧ – قال امام الهدى أبو العلمين شيخ العريجاء سلطان الأولياء أحمد بن علي الرفاعي الكبير رضي الله عنه وارضاه الولي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٧٨ للهجرة ما نصه: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان». وذلك في كتابه البرهان المؤيد.

٣٨ – وقال أيضا نفسه في الكتاب ما نصه: «مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث وعلى ذلك درج الأئمة».

٣٩ – قال الإمام شهاب الدين ابن جهبل الشافعي المتوفى سنة ٧٣٣ للهجرة ما نصه: «وقال سهل رضي الله عنه لا تطلعوا الأحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الإلٰه واحد فرد صمد منزه عن الكيفية والأينية». وذلك في رسالته في نفي الجهة عن الله تعالى.

٤٠ – قال أبو الفتح الاسكندراني الوفائي الشافعي المتوفى سنة ٧٦٠ للهجرة ما نصه: «الحمد لله الذي جل عن الكيف والأين». وذلك في كتابه ترجمان الأشواق وروضة العشاق.

٤١ – قال الإمام بدر الدين الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ للهجرة ما نصه: «لأن الإحاطة المقتضية للتكييف مستحيلة في حقه سبحانه فلا بد من هذا العلم الضروري لتصح الرؤية». وذلك في كتابه البحر المحيط.

٤٢ – قال الإمام الفقيه تقي الدين الحصني الشافعي المتوفى سنة ٨٢٩ للهجرة مانصه: «والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية». وذلك في كتابه دفع شبه من شبّه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام المبجل أحمد.

٤٣ - وقال أيضا فيه ما نصه: «الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة».

٤٤ - قال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة ما نصه: «ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم». وذلك في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

٤٥ - وقال أيضا في الكتاب نفسه ما نصه: «وقيل: سلبت - أي نفيت عنه وهو منزه عنها - عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له».

وقال أيضا «فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجّه على حكمه لم؟ ولا كيف؟ كما لا توجه عليه في وجوده أين؟ وحيث؟».

٤٦ - قال الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد السلام الصفوري الشافعي المتوفى سنة ٨٩٤ للهجرة ما نصه: «وقال يهودي لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه أين ربنا؟ قال الذي أوجد الأين لا يسأل عنه بأين، قال كيف ربنا؟ قال رضي الله عنه إن الذي كيَّف الكيف لا يسئل عنه بكيف، قال متى كان ربنا؟ قال ويحك ومتى لم يكن». وذلك في كتاب نزهة المجالس.

٤٧ - قال الإمام عبد الرحمٰن جلال الدين بن أبي بكر السيوطي الفقيه المفسر الحافظ المتوفى سنة ٩١١ للهجرة ما نصه: «صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف». وذلك في كتابه الإتقان.

وقال في كتابه الكنز المدفون والفلك المشحون ص١٠١ ما نصه: « فوائد نفيسة: لا يقال للمعبود كيف هو؟ لأنه يستخبر بكيف عن الهيئة والحال، والله سبحانه لا هيئة له ولا حال. ولا يقال ما لونه؟ لأن الألوان متضادة، فهي مستحيلة في حقه سبحانه» اهـ.

٤٨ - قال الإمام الحافظ يحيى بن شرف أبو زكريا النووي المتوفى سنة ٦٧٦ للهجرة ما نصه: «قال القاضي عياض المالكي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى «أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الأرض»، ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عن جميعهم»، ثم قال: «واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شك في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد»، ثم قال: «وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق». وذلك في شرحه على صحيح مسلم، الجزء الخامس في المجلد الثالث دار الكتاب العربي ص٢٤ - ٢٥ .

٤٩ - قال الإمام عبد الوهاب الشعراني الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ للهجرة ما نصه: «فإنه تعالى موصوف معروف من غير تكييف». وذلك في كتابه لطائف المنن والأخلاق.

٥٠ - قال الإمام عبد الرؤوف المناوي الشافعي المتوفى سنة ١٠٣١ للهجرة ما نصه: «إنكم ايها المؤمنون لن تروا ربكم بأعينكم يقظة حتى تموتوا رؤية منزهة عن الكيفية». وذلك في كتابه فيض القدير.

قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) [في شرحه على صحيح البخاري]

ما نصه: «فقوله: كيف غير معقول أي كيف من الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى» اهـ.

وقال أيضا: «قوله تعالى «إلى ربها ناظرة» بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة». من كتابه إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري

قال الفقيه أبو يحي زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي الأزهري المتوفى سنة ٩٢٦ للهجرة ما نصه: ««قوله تعالى «إلى ربها ناظرة» بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة». من كتابه تحفة الباري بشرح صحيح البخاري.

قال الفقيه محمد بن أحمد الشّربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧ للهجرة ما نصه: «وقال أهل السنة: الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف - أي بلا جلوس ولا استقرار ولا تمكن ولا مماسة ولا حلول في جهة ولا مكان -». من كتابه تفسير القرءان.

قال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي المصري (١٣٥٢هـ) في فصل عَقَدَهُ لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في كتابه «إتحاف الكائنات» (ص/ ١٩١) ما نصه: «أن خالق العالم لا يشبه خلقه، فإنّ الصانع لا يشبه الصنعة، وأنّ التكييف والتحديد لا يكون إلا في المخلوق لأنّهما صفتان للمحدث» اهـ.

قال الشيخ عبد الفتاح الزعبي نقيب السادة الأشراف في طرابلس الشام (١٣٥٤هـ) بعد كلام في تنزيه الباري سبحانه وتعالى في «المواعظ الحميدية في الخطب الجمعية (ص/ ٨٦)» ما نصه: كل ذلك يدل على وجود صانع منزه عن الكيفية والمثلية، ومقدس عن خطرات الأوهام ومزاعم الحلولية» اهـ.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي الأزهري (١٣٦٢هـ) في «تفسير القرءان الكريم» (١/١٠١) ما نصه: «ظنوا أنه سبحانه وتعالى مما يشبه الأجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها - أي الأجسام - على طريق المقابلة في الجهات والأحياز، ولا ريب في استحالته، وإنما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة. ١٢٢ اهـ.

٥١ - قال الإمام المجتهد المطلق النعمان بن ثابت أبو حنيفة رضي الله عنه وأرضاه وهو من أئمة السلف واحد التابعين الأجلاء فإنه قد اجتمع بسبعة من الصحابة وأخذ العلم عن ما يقارب المائة تابعي وهو الذي قال فيه الشافعي: «إني لأتبرك بأبي حنيفة»، المتوفى سنة ١٥٠ للهجرة ما نصه: «فهو - أي الله - له صفات بلا كيف». وذلك في كتابه الفقه الأكبر.

٥٢ - وقال أيضا المتوفى سنة ١٥٠ للهجرة عن حديث النزول ما نصه: «ينزل بلا كيف». روى ذلك عنه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات والإمام ملا علي القاري في كتابه شرح الفقه الأكبر.

٥٣ - وقال أيضا المتوفى سنة ١٥٠ للهجرة ما نصه: «واللهُ تعالى يُرَى في الآخرَةِ، ويَراهُ المؤمنونَ وهُم في الجنةِ بأعينِ رؤوسِهِم بلا تشبيهٍ ولا كَيْفِيَّةٍ ولا جهة ولا يكونُ بينَهُ وبينَ خَلقِهِ مسافَةٌ». وذلك في كتابه الفقه الأكبر.

٥٤ - قال الإمام أبو جعفر الوراق أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن جناب

الأزدي الحجري المصري الطحاوي السلفي رضي الله عنه المتوفى سنة ٣٢١ للهجرة ما نصه: «والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية». وذلك في العقيدة الطحاوية التي قال فيها إنها بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥٥ - قال الإمام أبو منصور الماتريدي رضي الله عنه المتوفى سنة ٣٣٣ للهجرة ما نصه: «إن رؤية الله في الآخرة واجبة سمعًا بلا كيف، فإن قيل كيف يُرى؟ قيل بلا كيف إذ الكيفية تكون لذي صورة بل يُرى بلا وصفِ قيامٍ وقعودٍ واتكاءٍ وتعلقٍ واتصالٍ وانفصالٍ ومقابلةٍ ومدابرةٍ وقصيرٍ وطويلٍ ونورٍ وظلمة وساكنٍ متحركٍ ومُماسٍ». وذلك في كتابه التوحيد.

٥٦ - قال الشيخ أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٤ للهجرة ما نصه: «كذلك قبض النبي ﷺ أصابعه وبسطها عبارة عن قبض السماوات وجمعها فهو إشارة إلى المقبوض والمجموع لا حكاية عن يد الله التي هي صفة أزلية لله ليست بجارحة، ولا عضو، ولا جزء، ولا كيفية لها فيوصف بالقبض والبسط المفهوم عندنا كأيدي المحدثين تعالى الله عن أوصاف الحدث علوا كبيرا». وذلك في كتابه بحر الفوائد.

ونقل الإجماع في تنزيه عن الله عن الكيفية الإمام ابو بكر محمد الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٤هـ فقال: «اجتمعت الصوفية على ان الله واحد أحد فرد صمد ليس بجسم لا اجتماع له ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزداد ليس بذي أبعاض ولا أجزاء ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات ولا تداوله

الأوقات ولا تعينه الإشارات لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان لا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن لا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار ولا يدرك بالأبصار، لم يسبقه قبل ولا يقطعه بعد ولا يصادره من ولا يوافقه عن، ولا يلاصقة إلى، ولا يحله في، ولا يوقفه إذ، ولا يؤامره إن، ولا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حذاء، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل، ولا ينفيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجده كان، ولا يفقده ليس، ولا يستره خفاء، تقدم الحدث قدمه، والعدم وجوده_أي لم يسبق وجوده العدم، والغاية وجوده». إلى أن قال: «إن قلت كيف: فقد احتجبت عن الوصف بالكيفية ذاته، وان قلت أين: فقد تقدم المكان وجوده، ليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف». اهـ (من كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف).

وقال الإمام عبد الكريم القشيري المتوفى ٤٦٥هـ في الرسالة القشيرية ما نصه: «إن الحق سبحانه وتعالى موجود ليس بجسم ولا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت ولا زمان ولا يخصه هيئة». إلى أن قال: «لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف»، وذكر أن هذه العقيدة هي عقيدة الأئمة الكبار والصوفية الصادقين وذكر عددا كبيرا بأسمائهم في كتابه الرسالة.

٥٧ - قال القاضي الصدر العلامة شيخ الحنفية بعد أخيه الكبير أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن المحدث عبد الكريم بن موسى النسفي البزدوي المتوفى سنة ٤٩٣ للهجرة ما نصه: «قال أهل السنة إن الله تعالى جائز الرؤية، وأنه يُرى في الآخرة بلا محاذاة ولا كيف ولا حد». وذلك في كتابه أصول الدين.

٥٨ - وقال أيضا في الكتاب نفسه ما نصه: «فأهل الجنة يرون الله تعالى بأعينهم كما يعلمون الله تعالى بقلوبهم في الدارين جميعًا بلا كيفية ولا محاذاة ولا تحديد».

٥٩ - وقال أيضا في الكتاب نفسه ما نصه: «وأما رؤية الإنسان اللهَ تعالى في المنام: فقال عامة أهل السنة والجماعة قد تكون لكن بشرط أن لا يراه مكيّفًا محدودًا، أما إذا رآه مكيفًا محدودًا فذاك: ليس برؤية الله تعالى».

٦٠ - قال الإمام ميمون بن محمد بن معتمد النسفي المكحولي أبو المعين النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ للهجرة ما نصه: «ليس بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصوّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعض، ولا متحيز، ولا متركب، ولا متناه، ولا يوصف بالماهية، ولا بالكيفية ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء».

قال العلامة كمال الدين البياضي الحنفي (كان حيا في القرن الحادي عشر الهجري) في «إشارات المرام» (ص/ ١١٠) ما نصه: «أنه تعالى لا يتصف بشيء من الكيفيات المحسوسات بالحس الظاهر أو الباطن والطعوم والروائح والشهوة والنضرة والحزن والتأسف والغضب والإشفاق والتمني والفرح، ولا بالآلام واللذات الحسية لأنه لا يعقل منها إلا ما يخص الأجسام وإن كان البعض منها مختصا بذوات الأنفس، ولأن البعض منها تغيرات وانفعالات وهي على الله تعالى محال، ولإجماع الأمة» اهـ.

وقال الفقيه ملا علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ للهجرة ما نصه: «مجمل الكلام وزبدة المرام أن الواجب لا

يشبه الممكن ولا الممكن يشبه الواجب فليس بمحدود ولا معدود ولا متصور ولا متبعض ولا متحيز ولا مركب ولا متناه ولا يوصف بالمائية والماهية ولا بالكيفية من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة واليبوسة وغير ذلك مما هو من صفات الأجسام». من شرحه على الفقه الأكبر.

٦١ - قال الإمام الحافظ الكبير امام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه المتوفى سنة ٢٤٦ للهجرة ما نصه: «أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على الذي له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كله ولم يجئ ذلك في الشريعة فبطل». وذلك فيما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها المتوفى ٤١٠ للهجرة في كتابه اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

فلنتأمل إخوة الإيمان هذا النص المنقول اليكم كلمة كلمة.

أولا من الناقل؟ هو رئيس الحنابلة أي ليس شخصا من عوام الناس إنما هو رئيس الحنابلة وابن رئيسها واسمه عبد العزيز بن الحارث التميمي.

وأين؟ في بغداد أي في مكان اجتماع الحنابلة في تلك الأيام.

وينقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إمام المذهب الحنبلي يقول: «أنكر أحمد على من قال بالجسم»، أي أنكر أحمد على من وصف الله بالجسم، فهذا تصريح من الإمام

أحمد رضي الله عنه في تنزيه الله عن هذه الأشياء الستة، فقد نزّه الله عن الطول والعرض والسمك والتركيب والصورة والتأليف وهذا ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة والجماعة الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد.

لذلك فليعلم أن نفي الجسم وهو ما له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف عن الله تعالى قد جاء به السلف، فظهر أنّ ما يدّعيه بعض الناس من أن السلف لم يتكلموا في نفي الجسم عن الله فغير صحيح.

ولذلك، نحن نذكر ما نقله أبو الفضل التميمي البغدادي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه لأن استحضار كلام الإمام أحمد ينفع لدفع تمويه بعض الناس الذين يقولون السلف ما تكلموا في نفي الجسم عن الله وكلامهم هذا باطل لأن الإمام أحمد من الأئمة الأعلام وهو من السلف الصالح. ثم تأملوا جيدا في قوله رضي الله عنه: «إن الأسماء مأخوذة من الشريعة ومن اللغة». لأن أسماء الأشياء تعرف إما من اللغة وإما من الشرع فهناك أشياء عرفت أسماؤها من اللغة وأشياء عرفت أسماؤها من الشرع مثل الصلاة الشرعية ومثل الصيام ومثل الزكاة الشرعية.

وأما قوله: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم».

فما معنى وضعوا؟ أي عرف هذا بالنقل أي عرف أن إطلاق هذا الاسم أي الجسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف هذا عرف بالنقل لأن اللغة العربية ليست شيئا بالمواضعة إنما هي بالوحي فقد قال تعالى «وعلم ءادم الأسماء

كلها»، فمعنى أطلقوا أو وضعوا نقلوا إلينا ليس معناه اجتمعوا وقرروا أن يطلقوا هذا الاسم أي الجسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، فالله المنزه كلامه عن اللغات أوحى باللغة إلى الأنبياء، ثم من الأنبياء استفاد البشر من اللغات.

ثم قول الإمام رضي الله عنه: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وتأليف والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كله».

أي كل هذا يستحيل على الله لأن الله لا يشبه شيئا من خلقه «ليس كمثله شىء وهو السميع البصير». ثم لو كان الله جسما كبيرا أو صغيرا كثيفا أو لطيفا، كثيفا كالبشر والحجر أو لطيفا كالنور والهواء لاحتاج لمن خصصه بهذه الصورة والكيفية والمحتاج لا يصح في العقل أن يكون الها.

وقوله رضي الله عنه: «والله خارج عن ذلك كله ولم يجئ ذلك في الشريعة فبطل».

أي ما جاء في الشريعة إطلاق الجسم على الله بل الذي جاء في الشريعة تنزيه الله عن الجسم وعن صفات الجسم.

و من أطلق ذلك على الله كلامه باطل مخالف لعقيدة المسلمين. فيلزمه الرجوع إلى الإسلام بالشهادتين.

٦٢ - قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما نصه: «جملة اعتقاد أحمد رضي الله عنه في الذي كان يذهب إليه أن الله عز وجل واحد لا من عدد لا يجوز عليه التجزّؤ ولا القسمة»، وقال: «ومذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن لله عزّ وجل وجها لا كالصور المصورة والأعيان

المخططة وليس بمعنى الجسم»، وقال: «لله يدان وهما صفة ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ولا جنس من الأجسام ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ولا يقاس على ذلك ولا مرفق ولا عضد - معناه لا يوصف بذلك رب العالمين وكل ما كان من معاني الجسمية فهو على الله تعالى محال - ولا فيما يقتضي ذلك»، وقال: «وهذا يدل على انه عالم بعلم وأن علمه بخلاف العلوم المحدثة التي يشوبها الجهل ويدخلها التغير ويلحقها النسيان ومسكنها القلوب وتحفظها الضمائر ويقومها الفكر وتقويها المذاكرة وعلم الله بخلاف ذلك كله وليس بقلب ولا ضمير واعتقاد ومسكن ولا علمه متغاير ولا هو غير عالم بل هو - أي العلم - صفة من صفاته»، وقال: «إن لله كلاما هو به متكلم وذلك صفة له خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها»، وقال: «ولا يجوز أن يقال استوى بمماسة ولا بملاقاة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش»، وقال: «وذهب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إلى أن عدل الله عز وجل لا يدرك في العقول وشرح بعض أصحابه ذلك فقال: «لما كان الله سبحانه وتعالى لا يتصور في العقول ولا يتمثله التمييز وفات العقول دركه ومع ذلك فهو شيء ثابت ما تصور بالعقل فالله بخلافه». وذلك فيما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها المتوفى ٤١٠ للهجرة في كتابه اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

٦٣ - قال الحافظ أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة ما نصه: «إنما يقع الاشكال في وصف من له أشكال وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال، عظمته عظمت عن نيل كف الخيال، كيف يقال له كيف؟ والكيف في حقه محال! أنى تتخيله الأوهام! وهي صنعه؟! كيف تحده العقول! وهي فعله؟! كيف تحويه الأماكن! وهي وضعه_أي خلقه_؟!»، ثم قال: «ما عرفه من كيّفه ولا وحده من مثّله ولا عبده من شبّهه، المشبه أعشى والمعطل اعمى». وذلك في كتابه المدهش.

٦٤ - قال محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٣ للهجرة ما نصه: «فصل ويجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر فيجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه - أي غير مشابه بوجه من الوجوه - فالله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان ولا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فهو الغني عن كل شيء ولا يستغني عنه شيء ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء فمن شبهه بشيء من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسما أو قال إنه جسم لا كالأجسام فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تضرب له الأمثال ولا يعرف بالقيل والقال وبكل حال مهما خطر بالبال وتوهمه الخيال فهو بخلاف ذي الإكرام والجلال». وذلك في كتابه مختصر الإفادات.

قال الإمام أحمد بن حنبل امام السنة رضي الله عنه ما نصه: «استوى كما اخبر لا كما يخطر بالبشر». وذلك فيما رواه عنه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات.

٦٥ - قال الإمام الحافظ العلامة المحدث الفقيه المجدد المجتهد حامي حمى الملة والدين اشعريِ زمانه وشافعي أوانه شيخ الإسلام ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الحبشي العبدري رضي الله عنه المتوفى في ٢ رمضان ١٤٢٩ للهجرة ما نصه: «وكذا نقول إنه تعالى لا يتصف باللون والطعم والرائحة لأنها من أمارات الحدث، وكذا لا يتصف بالكيفية بمعنى الهيئة لذلك قال علماء أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى منزه عن الكمية والكيفية، وقال صاحب القاموس في تفسير الهَيولى، والكمية معناه الحجم. أما الكيفية فهي الصفات التي تقوم بالجرم، فهو منزه عن كل ذلك، فإذا ذكرت كلمة الكيفية بهذا المعنى مضافة إلى الله تعالى كان ذلك تشبيها له بخلقه، وأما من ذكر لفظ الكيفية في بعض العبارات بمعنى الحقيقة فليس في ذلك تشبيه لله بخلقه كهذا البيت الذي يذكره بعض المؤلفين من أهل السنة كابن الجوزي والزركشي:

حقيقة العبد ليس العبد يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم

وفي رواية: حقيقة النفس ليس العبد يدركها.

فقوله: «فكيف كيفية الجبار في القدم» معناه فكيف حقيقة الجبار.

قلت: - أي الشيخ الحبشي - ولو غيّروا هذا البيت فقالوا:

حقيقة المرء ليس العبد يدركها فكيف يدرك كنهَ الخالق الأزلي

لكان ذلك سالما.

وقال بعض الكرامية إن لله تعالى كيفية لا يعرفها إلا هو وهو قول فاسد لأنها عبارة عن الهيئات وذلك مستحيل عليه. ولا يوصف ايضا بالماهية لأنها عبارة عن المجانسة وذلك لأن كل ذي جنس شبيه بذي جنسه فكان القول بالماهية قولا بالتشبيه ومن روى عن ابي حنيفة أنه قال: «ان لله تعالى ماهية لا يعرفها الا هو» فقد افترى عليه. ولا يوصف تعالى بالتبعض خلافا لليهود لعنهم الله ولا بالتناهي خلافا لبعض الكرامية فإنهم يقولون: إنه غير متناه من خمس جهات متناه ومن جهة واحدة وهي الجهة السفلى التي تلاقي العرش». وذلك في كتابه إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.

وقال في شرحه على العقيدة النسفية «المطالب الوفية» (ص٤٥، ٤٦) ما نصه:» (ولا بالكيفية) يعني أن الله تعالى منزه عن الكيفية، ومراده بالكيفية ما كان من نحو اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مما هو من صفات الأجسام وتوابع التركيب. قال القونوي في شرحه على الطحاوية ما نصُّه: قال نُعيم بن حماد: «من شبه الله بشىء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر»، وقال إسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم» اهـ. كلام العلامة الهرري.

٦٦ - قال شيخ شيوخ الأمصار ولي الله الكبير أبو مديّن شعيب بن الحسن الأنصاري المشهور بأبي مدين الغوث المتوفى سنة ٥٩٤ للهجرة ما نصه: «الحمد لله الذي تنزّه عن

الحد والأين والكيف والزمان والمكان المتكلم بكلام قديم ازلي _هو صفة من صفاته قائم بذاته أي ثابت له_لا منفصل عنه ولا عائد إليه ولا يحل في المحدثات ولا يجانس المخلوقات ولا يوصف بالحروف والأصوات تنزهت صفات ربنا عن الأرض والسموات، اللهم إنا نوحدك ولا نحدك ونؤمن بك ولا نكيفك ونعبدك ولا نشبهك ونعتقد أن من شبّهك بخلقك لم يعرف الخالق من المخلوق، «قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»، ثم قال رضي الله عنه: «ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، ولا بجسم فالجسم بالجهة محفوظ، فهو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبؤوس، ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس، هو الله لا إلٰه إلا هو الملك القدوس، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس، لا العرش له من قبله القرار ولا التمكن له من جهة ولا الاستقرار، العرش له حد ومقدار، والرب لا تدركه الأبصار، العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول، وهو مع ذلك محمول - أي العرش - وهو - أي الله - لا يزول، العرش بنفسه هو المكان وله جوانب واركان وكان الإلٰه ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا خلف فيسنده ولا إمام فيحدّه جلّ عن التكييف والتصوير والتشبيه والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». وذلك من كتاب أبي مدين الغوث رضي الله عنه.

ونختم هذا البحث بنقل الإجماع الذي ذكره الإمام القاضي أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي

البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها المتوفى ٤١٠ للهجرة قال: «ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام». وذلك في كتابه اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

بيان
أن الأئمة الأربعة على التنزيه
في مسئلة الاستواء

ثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ما رواه الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»(ص٤٠٨)، بإسناد جيد كما قال الحافظ في «الفتح» (ج١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧) من طريق عبد الله ابن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرجل» اهـ.

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله: « أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه»، وذلك لأن الرجل سأله بقوله كيف استواؤه، ولو كان الذي حصل مجرد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعترض عليه.

وروى الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠٨) من طريق يحيى بن يحيى قال: «» كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به

واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج»، قال البيهقي: وروي في ذلك أيضا عن ربيعة بن عبد الرحمٰن أستاذ مالك بن أنس رضي الله عنهما» اهـ.

قال المحدث الشيخ سلامة العزامي - من علماء الأزهر - (في فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان ص٢٢): «قول مالك عن هذا الرجل «صاحب بدعة» لأن سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي الذي هو من قبيل تمكن جسم على جسم واستقراره عليه وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار. فسأل عنها وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة» اهـ.

قلنا: وهذا فيمن سأل كيف استوى فما بالكم بالذي فسره بالجلوس والقعود والاستقرار؟ ثم إن الإمام مالكا عالم المدينة وإمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث رضي الله عنه ينفي عن الله الجهة كسائر أئمة الهدى، فقد ذكر الإمام العلامة قاضي قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير المالكي من أهل القرن السابع الفقيه المفسر النحوي الأصولي الخطيب الأديب البارع في علوم كثيرة في كتابه «المقتفى في شرف المصطفى» لما تكلم عن الجهة وقرر نفيها، قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله في قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى» (رواه البخاري)، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنـزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط على قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكانا ولما

نهى عن ذلك» اهـ، ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبين أن الفضل بالمكانة لا بالمكان» اهـ.

ونقل ذلك عنه أيضا الإمام الحافظ تقي الدين السبكي الشافعي في كتابه «السيف الصقيل» (ص١٣٧) والإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي في «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (ج٢/ ١٠٥) وغيرهما.

وأما ما يرويه سريج بن النعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»، فغير ثابت. قال الإمام أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفا فيه ذكره ابن كثير في البداية والنهاية. قال ابن عدي: يروي غرائب عن مالك، وقال ابن فرحون: كان أصم أميا لا يكتب. وراجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء، وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا.

فبان مما ذكرناه أن ما تنسبه المشبهة للإمام مالك تقوُّلٌ عليه بما لم يقُل.

* وسئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر» (الفقه الأبسط ص٤٩)، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه. وهذا القول ثابت عن الإمام أبي حنيفة نقله من لا يحصى كالإمام ابن عبد السلام في حل الرموز والإمام تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» (ص١٨) والإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» (ص٢٤) وغيرهم.

وأما ما قاله المجسم ابن قيم في نونيته:

كذلك قال النعمان وبعده يعقوب والألفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العرش لا يخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره لله درك من إمام زمان
هو الذي في الفقه الأكبر عندهم وله شروح عدة لبيان

نقول: إن هذا المجسم يريد أن يروج بدعته هذه بالكذب على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. وهذا الفقه الأكبر بين أيدينا فليراجعه من شاء، وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنه مبتدع داعية إلى بدعته غالى فيها كل الغلو وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته، فهذا «الفقه الأكبر» (ص٣٠ - ٣١) فيه: «والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه» وفيه أيضا (ص١٣٦ - ١٣٧): «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة»، وفي «الوصية» للإمام (انظر شرح الفقه الأكبر ص١٣٨): «لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة»، وفي «الوصية» (انظر شرح الفقه الأكبر ص٧٠): «نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا» اهـ.

وفي «الفقه الأبسط»(ص٥٧): «كان الله ولا مكان كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شىء وهو خالق كل شىء» اهـ

وقال أيضا: «فمن قال لا أعرف ربي أفي السماء هو أم في الأرض فهو كافر، كذلك من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض» اهـ.

وإنما كفر الإمام قائل هاتين العبارتين لأنه جعل الله مختصا بجهة وحيز وكل ما هو مختص بالجهة والتحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى، بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله - وقد نقلنا ذلك-، ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان!». ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله كما قال العلامة البياضي الحنفي في «إشارات المرام» (ص٢٠٠) والشيخ الكوثري في «تكملته» (ص١٨٠) وغيرهما.

و في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٩٧-١٩٨) لملا علي القاري في الرد على المجسمة المحرفين لكلام أبي حنيفة ما نصه: «وما روي عن أبي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمن قال لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض، فقال: قد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، وعرشه فوق سبع سمواته، قلت: فإن قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض!، قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء فمن أنكر كونه في السماء

فقد كفر لأن الله تعالى في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل، والجواب أنه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتابه «حل الرموز» أن الإمام أبا حنيفة قال: «من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه» اهـ ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوي، مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد» انتهى كلام ملا علي القاري.

قال الشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي في كتابه «غوث العباد ببيان الرشاد» (ص٣٤١ - ٣٤٢): «ومن هذا الكلام يعلم أمور منها:

الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في «الفقه الأكبر»، وإنما نقلها عن أبي حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبا يراد به ترويج البدعة.

الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعي فضلاً عن أصلي فالاعتماد عليه وحاله ماذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا الناقل صرح به إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبي حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام الأعظم رضي الله عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم

الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبتت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» انتهى كلام الحمامي.

وأما ما نسبه المجسم ابن القيم إلى يعقوب وهو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، قال الشيخ مصطفى الحمامي - من علماء الأزهر - (ص٣٤٢): «لا شك أنه كذب يروج به هذا الرجل بدعته» اهـ

وكذا قال الكوثري في «تكملته»(ص١٠٨).

فبهذا يتنسف ما قاله المجسم ابن القيم وكذلك ما تنسبه الوهابية إلى أبي حنيفة أنه قال: «الله في السماء» فغير ثابت ففي سنده أبو محمد بن حيان ونعيم بن حماد (انظر «تهذيب التهذيب» ج١٠/ ٤٠٩) ونوح بن أبي مريم أبو عصمة (انظر «تهذيب التهذيب» ج١٠/ ٤٣٣)، فالأول ضعفه بلديُّه الحافظ العسال. ونعيم بن حماد مجسم. وكذا زوج أمه نوح ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة. فنوح أفسده زوج أمه، ونعيم أفسده زوج أمه، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة، فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟!، قال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه» (الباز الأشهب ص٦٩ - ٧٠) عن نعيم بن حماد: «قال ابن عدي (الكامل في الضعفاء ج٧/ ١٦): كان يضع الأحاديث وسئل عنه الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديث منكر مجهول» اهـ.

فإن قالت الوهابية: ذكره الذهبي نقلا عن البيهقي في «الأسماء والصفات».

قلنا: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٩) وقال: «إن صحت الحكاية»، فهذا يدل على عدم أمانة الذهبي في النقل حيث أغفل هذا القيد ليوهم القارئ أن القول بأن الله في السماء كلام إمام مثل أبي حنيفة.

قال الشيخ الكوثري في تكملته (ص١٨٠): «وقد أشار البيهقي بقوله: «إن صحت الحكاية» إلى ما في الرواية من وجوه الخلل» اهـ.

على أن الإمام البيهقي ذكر في «الأسماء والصفات» في كثير من المواضع أن الله منزه عن المكان والحد ومن ذلك قوله (ص٤٠٠):

«واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه - تعالى - بقول النبي ﷺ: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» (رواه مسلم) وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» ا هـ.

وقوله (ص٤١٥): «وما تفرد به الكلبي وأمثاله يوجب الحد والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حاد خصه به والبارئ قديم لم يزل» اهـ.

وقوله (ص٤٤٨ - ٤٤٩): «وانّ الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء» اهـ.

فوضح بعد هذا البيان الشافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

* وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن

الاستواء: «ءامنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك» اهـ

ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» (ص٢٤) والإمام تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» (ص١٨) وغيرهما كثير، وقال أيضا: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». ذكره الإمام المحدث عبد الله الهرري في كتابه «الصراط المستقيم» (٥٠) والإمام الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» (ص٥٦) والشيخ سلامة العزامي وغيرهم، ومعناه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية والجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

ولما سئل عن صفات الله تعالى قال: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه - أي الله - على لسان نبيه ﷺ». اهـ

ذكره الشيخ ابن جهبل في رسالته(انظر طبقات الشافعية الكبرى ج٩/ ٤٠) في نفي الجهة عن الله التي رد فيها على المجسم ابن تيمية.

وقال الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكانَ لا يجوز عليه التغييرُ في ذاته ولا التبديل في صفاته» اهـ. كما نقله عنه الزبيدي في كتابه (إتحاف السادة المتقين ج٢/ ٢٤)

وقال الشافعي رضي الله عنه أيضا جامعا جميع ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد» (انظر شرح الفقه الأكبر ص١٥٢).

قلنا: ما أدقها من عبارة وما أوسع معناها شفى فيها صدور قوم مؤمنين فرضي الله عنه وجزاه عنا وعن الإسلام خيرا وقد أخذها من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى]، ومن قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل]. ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم]، ومن قوله تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم]. وكل هذا يدل على أن الإمام الشافعي رضي الله عنه على تنزيه الله عما يخطر في الأذهان من معاني الجسمية وصفاتها كالجلوس والتحيز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك، نعم فقد روى السيوطي (الأشباه والنظائر ص٥٩٨) وغيره أن الإمام الشافعي قال: «المجسم كافر».

قال الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي» (ق/ ٢٨٧ مخطوط) ما نصه: «نقلا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين في كتابه المسمى «كفاية النبيه في شرح التنبيه» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به». قال: «وهذا يفهم من كفره مجمع عليه ومن كفرنا من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد

أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي رضي الله عنه» اهـ

وأما ما ترويه المشبهة عن الشافعي مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشارى وابن كادش. أما ابن كادش فهو أبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله المتوفى سنة ٥٢٦هـ من أصحاب العشارى اعترف بالوضع، راجع الميزان (ج١/ ١١٨) وحكم مثله عند أهل النقد معروف. وأما العشارى فهو أبو طالب محمد بن علي العشارى المتوفى سنة ٤٥٢ هـ مغفل وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبا وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان (ج٣/ ٦٥٦) وغيره، وكذا ما ينسب للشافعي «وصية الشافعي» فهو رواية أبي الحسن الهكاري المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل (انظر ميزان الاعتدال ج٣/ ١١٢ و ذيل تاريخ بغداد ج١٨/ ١٧٣ لابن النجار)، فليحذر تمويهات المجسمة فإن هذا دأبهم ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبا وباطلا.

* وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» (ص٢٤) والإمام الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك على السيد الجليل أحمد» (ص١٧)، وغيرهما.

فانظر رحمك الله بتوفيقه إلى هذه العبارة ما أرشقها فهي اعتقاد قويم ومنهاج سليم إذ فيها تنزيه استواء الله على العرش عما يخطر للبشر من جلوس واستقرار ومحاذاة ونحو ذلك، أما المشبهة ففسروا الاستواء بما يخطر في أذهانهم في جلوس

وقعود ونحو ذلك، وهذا فيه دليل على تبرئة الإمام أحمد رضي الله عنه من المنتسبين إليه زورا الذين يحرفون كلمة «استوى» فيقولون جلس، قعد، استقر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا كالمجسم ابن تيمية حيث صرح في «مجموع الفتاوى» (ج٤/ ٣٧٤) فقال: «إن محمدا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه» اهـ. وقال فيما رءاه الإمام أبو حيان الأندلسي بخطه: «إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى مكانا يقعد فيه رسول الله» اهـ كما في «النهر الماد» (ج١/ ٢٥٤) إلى غير ذلك من تخريفاته وتحريفاته.

والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من أبعد الناس عن نسبة الجسم والجهة والحد والحركة والسكون إلى الله تعالى، فقد نقل أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد» (ص٤٥) عن الإمام أحمد أنه قال: «وأنكر - يعني أحمد - على من يقول بالجسم وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل» اهـ ونقله الحافظ البيهقي عنه في «مناقب أحمد» (ص٤٢). ونقل أبو الفضل التميمي في كتاب «اعتقاد الإمام أحمد» (ص٣٨ - ٣٩) عن الإمام أنه قال: «والله تعالى لا يلحقه تغير ولا تبدل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان ينكر- الإمام أحمد - على من يقول إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة» اهـ

وبين الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» (ص٥٦) براءة أهل السنة عامة والإمام أحمد خاصة من مذهب المشبهة وقال: «وكان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ» انتهى بحروفه.

وقال القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص١٠٨) إن الإمام أحمد كان لا يقول بالجهة للبارئ تعالى» اهـ.

وعبارته المشهورة التي رواها عنه أبو الفضل التميمي الحنبلي «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك «دليل على نصاعة عقيدته وأنه على عقيدة التنزيه.

وقال المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع» (ج٤/ ٦٤٨): «ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال عن من قال جسم لا كالأجسام كفر» اهـ.

وروى الحافظ البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل عن أحمد بن حنبل تأول قول الله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد لا غبار عليه». نقل ذلك ابن كثير في تاريخه (ج١٠/ ٦٤٨).

وقال الحافظ البيهقي أيضا في «مناقب أحمد»: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل ابن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله - يعني أحمد - يقول: «احتجوا علي يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة

الفجر] إنما يأتي قدرته وإنما القرءان أمثال ومواعظ. قال الحافظ البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلامَ الله وصفةً من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياه بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذاق من أهل العلم المنزهون عن التشبيه» اهـ.

وقال الإمام المحدث الشيخ عبد الله الهرري (المقالات السنية ص١٩٤): «وهذا دليل على أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل ءايات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أن الله متحيز في مكان أو أن له حركة وسكونا وانتقالا من علو إلى سفل على ظواهرها كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبتون اعتقادا التحيز لله في المكان والجسمية ويقولون لفظا ما يموهون به على الناس ليظن بهم أنهم منزهون لله عن مشابهة المخلوق فتارة يقولون «بلا كيف» كما قالت الأئمة وتارة يقولون «على ما يليق بالله»، نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على المجيء بمعنى التنقل من علو وسفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل». انتهى بحروفه.

وورد في صحيفة ٢/١٩٦ من الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية للعالم المفسّر محمد بن علّان الصدّيقي الشافعي

الأشعري المكّي المتوفّى سنة ١٠٥٧ هجرية رحمه الله تعالى في باب الحثّ على الدعاء والاستغفار في النصف الثاني من كلّ ليلة ما نصّه: وأنّه تعالى منـزّه عن الجهة والمكان والجسم وسائر أوصاف الحدوث، وهذا معتقد أهل الحقّ ومنهم الإمام أحمد وما نسبه إليه بعضهم من القول بالجهة أو نحوها كذب صراح عليه وعلى أصحابه المتقدمين كما أفاده ابن الجوزي من أكابر الحنابلة. انتهى بحروفه.

وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري صحيفة ١٦٤: ذكر ابن شاهين قال: رجلان صالحان بُليا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد، وأحمد بن حنبل. اهـ

وذكر في صحيفة ١٤٤ من الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي المُتوفّى سنة ٩٧٣ هجرية: عقيدة إمام السُنّة أحمد بن حنبل: هي عقيدة أهل السُنّة والجماعة من المبالغة التامّة في تنـزيه الله تعالى عمّا يقول الظالمون والجاحدون عُلُوّا كبيرا مِن الجهة والجسمية وغيرهما مِن سائر سمات النقص بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مُطْلق، وما اشتُهِرَبين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد مِنْ أنّه قائل بشيء مِن الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه فلَعن اللهُ مَنْ نسبَ ذلك إليه أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برّأه الله منها» اهـ

ونقل الإمام الحافظ العراقي والإمام القرافي والشيخ ابن حجر الهيتمي وملا علي القاري ومحمد زاهد الكوثري وغيرهم عن الأئمة الأربعة هداة الأمة الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم».

بيان
معنى استولى في لغة العرب

تأتي استولى في اللغة بمعنى:

١ - بلوغ الغاية:

قال ابن منظور في «لسان العرب» (ج١٥/ ٤١٣): «استولى على الأمَد أي بلغ الغاية، ويقال استبق الفارسان على فرسيهما إلى غاية تسابقا إليها فاستولى أحدهما على الغاية إذا سبق الآخر، ومنه قول الذبياني: سَبْق الجوادِ إذا استولى على الأمد. واستيلاؤه على الأمد أن يغلب عليه بسبقه إليه، ومن هذا يقال: استولى فلان على مالي أي غلبني عليه» اهـ.

٢ - القهر:

قال الفيومي في «المصباح المنير» (ص٢٥٨): «واستولى عليه: غلب عليه وتمكن منه» اهـ، أي قهره وصار تحت تصرفه.

٣ - التملك:

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس» (ج١٠ / ٤٠١): «واستولى على الشىء إذا صار في يده» اهـ وهذا فيه أيضا معنى القهر.

بيان
من تأول من علماء أهل السنة
الاستواء على العرش بالاستيلاء والقهر

١ - اللغوي السلفي الأديب أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يحيى بن المبارك (ت٢٣٧هـ)، كان عارفا باللغة والنحو، قال في كتابه «غريب القرءان وتفسيره» ما نصه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: استوى: استولى» اهـ.

٢ - الإمام اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجاج (ت٣١١هـ) قال فيه الذهبي (سير أعلام النبلاء ج١٤/ ٣٦٠): «نحوي زمانه» اهـ، قال في كتابه «معاني القرءان» ما نصه: «وقالوا: معنى استوى: استولى» اهـ.

٣ - الإمام أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي (ت٣٣٣هـ) إمام أهل السنة والجماعة، قال في كتابه المسمى «تأويلات أهل السنة» في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] ما نصه (٤): «أو الاستيلاء [عليه] وأن لا سلطان لغيره ولا تدبير لأحد فيه» اهـ.

٤ - اللغوي أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ) قال فيه الذهبي (السير ج ١٥/ ٤٧٥) ما نصه: «شيخ العربية وتلميذ العلامة أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وهو منسوب إليه» اهـ، قال في كتابه «اشتقاق أسماء الله» ما نصه: «والعلي والعالي أيضا: القاهر الغالب للأشياء، فقول العرب: علا فلان فلانا أي غلبه وقهره كما قال الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر
يعني غلبناهم وقهرناهم واستولينا عليهم» اهـ.

٥ - الشيخ أبو بكر أحمد الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ) في كتابه «أحكام القرءان».

٦ - المفسر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) قال في تفسيره «النكت والعيون» ما نصه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف]: فيه قولان: ... والثاني: استولى على العرش كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق» اهـ

٧ - قال الحافظ البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه «الأسماء والصفات» ما نصه: «وفيما كتب إلي الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة» اهـ.

٨ - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٧٨هـ) في تفسيره «الوجيز».

٩ - الشيخ الحسين بن محمد الدامغاني الحنفي (ت ٤٧٨هـ) في كتابه «إصلاح الوجوه».

١٠ - إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي (ت ٥٧٨هـ) قال في كتابه «الإرشاد» ما نصه:

«الاستواء القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة إذ تقول: استوى فلان على الملك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب» اهـ.

١١ - الإمام عبد الرحمٰن بن محمد الشافعي المعروف

بالمتولي (ت ٤٧٨هـ) قال في كتابه «الغنية» في دفع شبهة من منع تفسير الاستواء بالقهر ما نصه: فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقضي منازعة سابقة وذلك محال في وصفه. وقلنا: والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والاعوجاج، وذلك محال في وصفه» اهـ.

١٢ - اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) قال في كتابه «المفردات» ما نصه: «ومتى عُدّي - أي الاستواء - بـ «على» اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]» اهـ.

١٣ - الشيخ الفقيه أبو حامد الغزالي الشافعي (ت ٥٠٥هـ) قال في كتابه «إحياء علوم الدين» عندما تكلم عن الاستواء ما نصه: «وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء» اهـ.

١٤ - المتكلم أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي (ت ٥٠٨هـ) قال في كتابه «تبصرة الأدلة» بعد أن ذكر معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء ما نصه: «فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد منه: استولى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات» اهـ.

١٥ - الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٥١٤هـ) الذي وصفه الحافظ عبد الرزاق الطبسي بإمام الأئمة، قال في كتابه «التذكرة الشرقية» ما نصه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: قهر وحفظ وأبقى» اهـ.

١٦ - القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد المالكي قاضي الجماعة بقرطبة المعروف بابن رشد الجد (ت٥٢٠هـ): قال ما نصه: «والاستواء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[سورة الأعراف] معناه استولى» اهـ، ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل» موافقا له ومقرا لكلامه.

١٧ - العلامة الفقيه الأصولي أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي (توفي في أوائل القرن السادس الهجري) قال ما نصه: «ووجه ذلك أن الاستواء قد يذكر ويراد به الاستقرار، وقد يذكر ويراد به الاستيلاء فيحمل على الاستيلاء دفعا للتناقض، وإنما خص العرش بالذكر تعظيما له كما خصه بالذكر في قوله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة] وإن كان هو رب كل شىء» اهـ.

١٨ - الحافظ الكبير محدث الشام المؤرخ أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ): قال ما نصه:

خلق السماء كما يشا ء بلا دعائم مستقلة
لا للتحيز كي تكو ن لذاته جهة مقلة
رب على العرش استوى قهرا وينزل لا بنقلة

١٩ - الإمام الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي ت ٥٩٧هـ في كتابه دفع شبه التشبيه.

٢٠ - المفسر فخر الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ): قال في تفسيره ما نصه: «فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ» اهـ، وقال في موضع ءاخر ما نصه: «قال بعض العلماء: المراد من الاستواء الاستيلاء» اهـ، وقال في كتابه «أساس التقديس: «وإذا ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار، فوجب أن يكون المراد هو الاستيلاء والقهر وهذا مستقيم على قانون اللغة، قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق» اهـ.

٢١ - الشيخ المتكلم سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي (ت ٦٣١هـ) ذكر في كتابه «أبكار الأفكار» أن تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر هو من أحسن التأويلات وأقربها.

٢٢ - الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ) في كتابه «الإشارة إلى الإيجاز».

٢٣ - الشيخ الفقيه القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

٢٤ - المفسر القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥هـ وقيل ٦٩١هـ) قال في تفسيره «أنوار التنزيل» ما نصه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف]: استوى أمره أو استولى» اهـ.

٢٥ - المفسر أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ وقيل ٧٠١هـ) قال في تفسيره «مدارك التنزيل» ما نصه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: استولى، عن الزجاج» اهـ.

٢٦ - اللغوي محمد بن مكرم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ) قال في كتابه «لسان العرب» من غير أن يتعرض لتفسير ءاية الاستواء ما نصه: «استوى: استولى، وظهر» اهـ

٢٧ - المحدث الفقيه ابن المعلم القرشي (ت ٧٢٥هـ): ذكر في كتابه «نجم المهتدي» معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء المجرد عن معنى المغالبة، ولم يعترض على هذا التفسير، نقله الكوثري في تعليقه على «الأسماء والصفات».

٢٨ - الشيخ أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جهبل الحلبي الشافعي (ت ٧٣٣هـ) قال في رسالته التي ألفها في نفي الجهة

عن الله ردا على ابن تيمية ما نصه: «والاستواء بمعنى الاستيلاء» اهـ، نقله التاج السبكي في «طبقاته».

٢٩ - القاضي محمد بن إبراهيم الشافعي الشهير ببدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) قال في كتابه «إيضاح الدليل» ما نصه: «فقوله تعالى ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ يتعين فيه معنى الاستيلاء والقهر لا القعود والاستقرار» اهـ.

٣٠ - الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المغربي المالكي المعروف بابن الحاج (ت ٧٣٧هـ) كان من أصحاب العلامة الولي العارف بالله الزاهد المقرئ ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى ونفعنا به، ذكر في كتابه «المدخل» كلام ابن رشد الجد الذي ذكرناه ءانفا مؤيدا وموافقا له.

٣١ - الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الشافعي المعروف بابن اللبان (ت ٧٤٩هـ) في كتابه «إزالة الشبهات».

٣٢ - القاضي عبد الرحمٰن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ) في كتابه «المواقف».

٣٣ - الإمام الفقيه تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت٧٥٦هـ) قال في كتابه «السيف الصقيل» ما نصه:

«فالمقدم على هذا التأويل - أي تأويل الاستواء بالاستيلاء - لم يرتكب محذورا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه» اهـ.

٣٤ - اللغوي المفسر أحمد بن يوسف الشافعي المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) قال في كتابه «عمدة الحفاظ» ما نصه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: أي استولى» اهـ.

٣٥ - القاضي محمود بن أحمد القونوي الحنفي المعروف بابن السراج (ت ٧٧٠هـ ويقال ٧٧١هـ) كما في كتابه «القلائد».

٣٦ - اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ) قال في كتابه «بصائر ذوي التمييز» عند ذكر معاني الاستواء ما نصه: «بمعنى القهر والقدر: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]» اهـ.

٣٧ - الشيخ الفقيه تقي الدين الحصني الشافعي (ت ٨٢٩هـ) قال في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد» في معرض بيان معنى الاستواء في اللغة ما نصه: «ومنها الاستيلاء على الشيء» اهـ.

٣٨ - الفقيه الأصولي كمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي المعروف بابن الهمام (ت ٨٦١هـ)قال في كتابه «المسايرة» ما نصه: «أما كون المراد أنه - أي الاستواء - استيلاؤه على العرش فأمر جائز» اهـ.

٣٩ - الشيخ محمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩هـ) أحد مشايخ السيوطي قال في كتابه «التيسير» ما نصه: «أما التأويل في العرف فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه ليكون ذلك موافقا للأصول كما إذا قال القائل: الظاهر أن المراد من الاستواء في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] هو الاستيلاء بما لاح لي من الدليل فذلك تأويل برأي الشرع» اهـ.

٤٠ - المحدث الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٩هـ) قال في حاشيته على «المسايرة» ما نصه: «قال أهل الحق بأن الاستواء مشترك بين معان، والمعنى الأليق الاستيلاء» اهـ.

٤١ - الشيخ كمال الدين محمد بن محمد الشافعي المعروف

بابن أبي شريف (ت ٩٠٦هـ) شارح كتاب «المسايرة» لابن الهمام الذي مر ذكره ووافقه على التأويل باستولى.

٤٢ - قال الحافظ السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) في كتابه «الكنز المدفون» ما نصه: «خص - أي الله - الاستواء عليه - أي العرش - وهو استواء استيلاء، فمن استولى على أعظم المخلوقات استولى على ما دونه» اهـ

٤٣ - الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي (ت ٩٢٣هـ) كما في شرحه على البخاري.

٤٤ - القاضي الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري المصري الشافعي (ت ٩٢٦هـ) كما في كتابه «غاية الوصول شرح لب الأصول».

٤٥ - الشيخ أبو الحسن علي بن محمد المنوفي المالكي المصري (ت ٩٣٩هـ) قال في كتابه «كفاية الطالب» ما نصه: «معنى استوائه على عرشه أن الله تعالى استولى عليه استيلاء ملك قادر قاهر، ومن استولى على أعظم الأشياء كان ما دونه منطويا تحته، وقيل الاستواء بمعنى العلو أي علو مرتبه ومكانة لا علو المكان» اهـ.

٤٦ - المفسر محمد بن مصطفى الحنفي المعروف بشيخ زاده (ت ٩٥١هـ) كما في حاشيته على تفسير البيضاوي فقد قال: «ولا يتوهم من استوائه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ونزل لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى لاتفاق المسلمين على أنه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ [له] وأنه لا يحتاج إلى شيء مما سواه بل المراد من الاستواء على العرش والله أعلم الاستيلاء عليه

ونفاذ التصرف، وخص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق» اهـ

٤٧ - الشيخ يوسف بن عبد الله الأرميوني الشافعي (ت ٩٥٨ هـ) في كتابه «القول المعتمد».

٤٨ - المفسر القاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ) في تفسيره «إرشاد العقل السليم».

٤٩ - الشيخ أحمد بن غنيم النفراوي المالكي الأزهري (ت ١١٢٦هـ) في كتابه «الفواكه الدواني»، قال ما نصه:

«استوى أي استولى بالقهر والغلبة استيلاء ملك قاهر وإلٰه قادر، ويلزم من استيلائه تعالى على أعظم الأشياء وأعلاها استيلاؤه على ما دونه» اهـ.

٥٠ - الشيخ المفسر سليمان بن عمر الشهير بالجمل الشافعي (ت ١٢٠٤هـ) نقل في حاشيته على تفسير الجلالين عن شيخه ما نصه: «طريقة الخلف التأويل بتعيين محمل اللفظ فيؤولون الاستواء بالاستيلاء» اهـ.

٥١ - الحافظ اللغوي الفقيه محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) قال في شرح الإحياء ما نصه: «وإذا خيف على العامة لقصور فهمهم عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا الاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء صيانة لهم من المحذور، فإنه قد ثبت إطلاقه وإرادته لغة» اهـ.

٥٢ - الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد المدعو ابن كيران المالكي (ت ١٢٢٧هـ) في شرحه على «المرشد المعين على

الضروري من علم الدين (١/٤٤٨) مفسرا الاستواء على العرش بالقهر والغلبة لقوله:

فلما علونا واستوينا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق»

وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات، ومن استولى على أعظمها كان استيلاؤه على غيره أحرى» اهـ.

٥٣ - الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي (ت١٢٤١هـ) كما في شرحه على جوهرة التوحيد» اهـ.

٥٤ - الشيخ إدريس بن أحمد الوزاني الفاسي المولود سنة ١٢٧٥هـ في «نشر الطيب» قال: «الاستواء يطلق لغة على الاستقرار على الشيء ولكن لا يحمل على ظاهره كما تقول المشبهة بل المراد لازمه الذي هو الاستيلاء بالقهر والغلبة» اهـ.

٥٥ - المحدث أبو عبد الله محمد بن درويش الحوت البيروتي الشافعي (ت١٢٧٦هـ) قال في رسالته «الدرة البهية في توحيد رب البرية»ما نصه: «وقد أول الخلف الاستواء بالقهر والاستيلاء على العرش» اهـ.

٥٦ - الشيخ إبراهيم محمد البيجوري الشافعي (ت ١٢٧٧هـ) كما في شرح «جوهرة التوحيد»

٥٧ - الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٣٠٦هـ) في كتابه «الهدية العلائية» قال ما نصه: «وقالوا: «استوى» بمعنى استولى» اهـ.

٥٨ - الشيخ محمد بن محفوظ الترمسي الأندنوسي (كان

حيا سنة ١٣٢٩هـ) قال في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: «فالظاهر من ذلك ليس مرادا اتفاقا، ثم السلف يفوضون علم حقيقته على التفصيل إلى الله، والخلف يؤولونه إلى أن المراد من الاستواء الاستيلاء والملك على حد قول الشاعر: قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق» اهـ.

٥٩ - الشيخ الفقيه المفسر المتكلم محمد نووي الشافعي الجاوي (ت١٣١٦هـ) في تفسيره.

٦٠ - شيخ الأزهر في مصر الأستاذ سليم البشري (ت ١٣٣٥هـ): قال في فتوى له نقلها الشيخ سلامة العزامي (ت١٣٧٦هـ) في رسالته «فرقان القرءان»: «إن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما هو رأي الخلف» اهـ.

٦١ - الشيخ طاهر بن محمد الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨هـ) كما في كتابه «الجواهر الكلامية».

٦٢ - الشيخ عبد المجيد الشرنوبي المصري الأزهري المالكي (ت ١٣٤٨هـ) كما في شرحه على «تائية السلوك» وفي «تقريب المعاني».

٦٣ - الشيخ محمد بن محمد الخطاب السبكي الأزهري (ت ١٣٥٢هـ) كما في كتابه «إتحاف الكائنات».

٦٤ - الشيخ عثمان بن حسنين بري الجعلي المالكي (انتهى المؤلف من شرحه سنة ١٣٦٤هـ) قال في كتابه «سراج الملوك شرح أسهل المسالك» ما نصه: «وتؤول الاستواء على العرش بالقهر والغلبة بمعنى أن الله تعالى مالك للعرش وما حواه» اهـ.

٦٥ - الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) هو مدرس علوم القرءان والحديث في كلية أصول الدين في جامعة

الأزهر بمصر، قال في كتابه «مناهل العرفان» طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في دراسة تخصص الكليات الأزهرية ما نصه: «وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون: إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف لأن اللغة تتسع لهذا المعنى» اهـ

٦٦ - الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) كان وكيل مشيخة الإسلام بالاستانة، ووافق في «تكملة الرد على نونية ابن القيم» الحافظ الفقيه السبكي على تأويل الاستواء بالاستيلاء.

٦٧ - الشيخ سلامة القضاعي العزامي (ت ١٣٦٧هـ) كما في كتابه «البراهين الساطعة»، ورسالته «فرقان القرءان».

٦٨ - كتاب العقيدة الإسلامية: التوحيد من الكتاب والسنة.

٦٩ - الشيخ إبراهيم الدسوقي وزير الأوقاف سابقا (مصر).

٧٠ - الشيخ حسين بن عبد الرحيم مكي في كتابه «مذكرات التوحيد».

٧١ - وكذا في كتاب «مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم» بدولة الإمارات العربية المتحدة.

٧٢ - قال الشيخ محمد حامد (مدرس وخطيب جامع السلطان بحماه) في كتابه «ردود على أباطيل»: «وإن استواء الله على عرشه يجري فيه مذهبان للسلف والخلف، فالسلف يفوضون معناه إلى الله تعالى مع التنزيه، والخلف يؤولونه بالاستيلاء على العرش وهو أعظم المكونات، فهو إذن مستول على غيره بالأولى من غير استعصاء سابق لا من العرش ولا من غيره» اهـ.

٧٣ - الشيخ عبد الكريم المدرس (إمام وخطيب جامع

الأحمدي والمدرس في الحضرة الكيلانية ببغداد) في كتابه «الوسيلة».

٧٤ - الشيخ العلامة المحدث عبد الله الهرري الشافعي قال في شرح العقيدة الطحاوية ما نصه: «يفهم من الاستواء القهر والاستيلاء إذ هو أشرف معاني الاستواء، وهو مما يليق بالله تعالى، لأنه وصف نفسه بأنه قهار، فلا يجوز أن يترك ما هو لائق بالله تعالى إلى ما هو غير لائق بالله تعالى وهو الجلوس والاتصال والاستقرار» اهـ.

بيان
مسلك العلماء في تأويل ءاية الاستواء

اعلم أن لعلماء أهل الحق مسلكين كل منهما صحيح:

الأول: مسلك السلف وهم من كان من أهل القرون الثلاثة الأولى قرن أتباع التابعين وقرن التابعين وقرن الصحابة وهو قرن الرسول ﷺ، هؤلاء يسمون السلف، والغالب عليهم أن يؤولوا الآيات المتشابهة تأويلا إجماليا بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعيين معنى خاص كآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] وغيرها من المتشابه بأن يقولوا بلا كيف أو على ما يليق بالله، وهذا يقال له تأويل إجمالي، أي قالوا استوى استواء يليق به مع تنزيهه عن صفات الحوادث، ونفوا الكيفية عن الله تعالى أي من غير أن يكون بهيئة ومن غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وغيرها مما هو صفة حادثة. هذا مسلك غالب السلف ردّوها من حيث الاعتقاد إلى الآيات المحكمة كقول تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة طه] وتركوا تعيين معنًى معيّن لها مع نفي تشبيه الله بخلقه.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله» يعني رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية الجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

قال الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه

(ص٤٠٧): «فأما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في أمثال ذلك» اهـ، وقال في موضع ءاخر (ص٤٢٦): «وحكينا عن المتقدمين من أصحابنا ترك الكلام في أمثال ذلك، هذا مع اعتقادهم نفي الحد والتشبيه والتمثيل عن الله سبحانه وتعالى» اهـ، ثم أسند (ص٤٢٦) إلى أبي داود قوله: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر، قال أبو داود: وهو قولنا. قلت: وعلى هذا مضى أكابرنا» اهـ، وقال في موضع ءاخر (ص٤٥٣): «عن الأوزاعي عن الزهري ومكحول قال: أمضوا الأحاديث على ما جاءت» اهـ، ثم قال: «سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه - أي ظاهرها يوهم ذلك - فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية» اهـ، وقال في موضع ءاخر (ص٣٣٠): «عن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه» اهـ، وقال الإمام مالك: «الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع»، وفي رواية: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» اهـ، رواهما البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٨)، وقال الإمام أحمد عندما سئل عن الاستواء: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» (دفع شبه من شبه وتمرد ص١٧) اهـ.

والثاني: مسلك الخلف وهم الذين جاءوا بعد السلف، وهم يؤولونها تفصيلا بتعيين معان لها مما تقتضيه لغة العرب ولا

يحملونها على ظواهرها أيضا كالسلف، فيقولون استوى أي قهر، ومن قال استولى فالمعنى واحد أي قهر، ولا بأس بسلوكه ولا سيما عند الخوف من تزلزل العقيدة حفظا من التشبيه.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الاعتقاد» ما نصه (ص٧٢): «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا - يعني المتشابه - ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب «الأسماء والصفات» التي تكلموا فيها من هذا الباب» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه «الإنصاف» ما نصه (ص٦٤ - ٦٥): «إنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال ولا القيام ولا القعود لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك. فإن قيل أليس قد قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه]، قلنا: بلى قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار ولا مكان - أي لا نقول إن العرش مكان له - لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان» اهـ.

وقال البيضاوي في تفسيره (م٢ /ج٣ /ص١٢): ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف] استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفه لله بلا كيف، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن» اهـ.

فالحاصل أن الذي لا يحمل الآيات المتشابهة على ظاهرها بل يقول لها معان لا أعلمها تليق بالله تعالى غير هذه الظواهر مثلا استواء الله على العرش له معنى غير الجلوس وغير الاستقرار غير استواء المخلوقين لكن لا أعلمه فهذا سَلِمَ، وهذا هو الغالب على السلف حيث لا يخوضون بتأويلها وتعيين معان لها وتأويلها مع اعتقاد تنزيه الله عن الجلوس والاستقرار. وكذلك الذي يقول استواء الله على العرش هو قهره للعرش سَلِمَ من التشبيه. فالأول هو التأويل الإجمالي أي يقول استوى استواء يليق به من غير أن يفسره بالقهر، والثاني هو التأويل التفصيلي أي يقول استوى معناه قهر، فمن شاء أخذ بذاك ومن شاء أخذ بهذا.

أما الوهابية فليسوا على ما كان عليه السف ولا الخلف، بل هم على مسلك المجسمة المشبهة، لأن الوهابية حملوا الاستواء على الاستقرار ومنهم من حمله على الجلوس فوقعوا في تشبيه الله بخلقه، فلا يقال عنهم «السلفيون» أو «السلفية» وإن سموا أنفسهم بذلك ليخدعوا الناس أنهم على مذهب السلف، وقد علمت أن مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل:

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

حديث الجارية

وأما الحديث المعروف بحديث الجارية فقد قال فيه الإمام النووي في شرح صحيح مسلم الجزء الخامس كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة باب تحريم الكلام في الصَّلاة ونسخ ما كان من إباحته: «هذا الحديث من أحاديث الصّفات، وفيها مذهبان تقدَّم ذكرهما مرَّات في كتاب الإيمان: أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد أنَّ الله ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات المخلوقات. والثَّاني: تأويله بما يليق به. فمن قال بهذا قال: أو هي من عبدة الأوثان تقرُّ بأنَّ الخالق المدبِّر الفعَّال هو الله وحده، وهو الَّذي إذا دعاه الدَّاعي استقبل السَّماء، كما إذا صلَّى المصلِّي استقبل الكعبة، وليس ذلك لأنَّه منحصر في السَّماء، كما أنَّه ليس منحصرًا في جهة الكعبة، بل ذلك لأنَّ السَّماء قبلة الدَّاعين، كما أنَّ الكعبة قبلة المصلِّين، كان المراد امتحانها هل هي موحِّدة العابدين للأوثان الَّتي بين أيديهم، فلمَّا قالت: في السَّماء علم أنَّها موحِّدة وليست عابدة للأوثان. قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدِّثهم ومتكلِّمهم ونظَّارهم ومقلِّدهم أنَّ الظَّواهر الواردة بذكر الله في السَّماء كقوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ١٦﴾ [سورة الملك] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأوّلة عند جميعهم» انتهى.

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ما نصه: «وقيل في تأويل هذا الحديث: إن النبي ﷺ سألها بأين عن

الرتبة المعنوية التي هي راجعة إلى جلاله تعالى وعظمته التي بها باين كلَّ مَن نُسبت إليه الإلهية وهذا كما يقال: أين الثريا من الثرى؟! والبصر من العمى؟! أي بعُدَ ما بينهما واختصت الثريا والبصر بالشرف والرفعة على هذا يكون قولها في السماء أي في غاية العلو والرفعة وهذا كما يقال: فلان في السماء ومناط الثريا» اهـ.

وقال الرازي أيضا في كتابه أساس التقديس: » إن لفظ أين كما يجعل سؤالا عن المكان فقد يجعل سؤالا عن المنزلة والدرجة يقال أين فلان من فلان فلعل السؤال كان عن المنزلة وأشار بها إلى السماء أي هو رفيع القدر جدا». اهـ

وفي كتاب إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للإمام محمد بن خليفة الأبي ما نصه: وقيل إنما سألها بأين عما تعتقده من عظمة الله تعالى، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلاله في نفسها، فقد قال القاضي عياض لم يختلف المسلمون في تأويل ما يوهم أنه تعالى في السماء كقوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴿١٦﴾﴾. اهـ ومثله في كتاب مكمل إكمال الإكمال شرح صحيح مسلم للإمام محمد السنوسي الحسني.

وقال الإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ في كتابه المبسوط، المجلد الرابع (الجزء ٧) [تابع كتاب الطلاق] باب العتق في الظهار:

فأما الحديث فقد ذكر في بعض الروايات: أن الرجل قال عليّ عتق رقبة مؤمنة، أو عرف رسول الله ﷺ بطريق الوحي أن عليه رقبة مؤمنة، فلهذا امتحنها بالإيمان، مع أن في صحة ذلك الحديث كلامًا فقد روي أن النبي ﷺ قال: (أين الله

فأشارت إلى السماء) ولا نظن برسول الله ﷺ أنه يطلب من أحد أن يثبت لله تعالى جهة ولا مكانًا، ولا حجة لهم في الآية، لأن الكفر خبث من حيث الاعتقاد، والمصروف إلى الكفارة ليس هو الاعتقاد إنما المصروف إلى الكفارة المالية، ومن حيث المالية هو عيب يسير على شرف الزوال» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح سنن الترمذي: «أين الله؟ والمراد بالسؤال بها عنه تعالى المكانة فإن المكان يستحيل عليه. اهـ

وقال الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه بعد رواية حديث معاوية بن الحكم: قلت «قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء والأرض ولا تضمه الأقطار وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق عندها. اهـ

وقال الباجي: لعلها تريد وصفه بالعلو وبذلك يوصف كل من شأنه العلو فيقال فلان في السماء بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه. اهـ

وقال البيضاوي: لم يرد به السؤال عن مكانه فإنه منزه عنه والرسول أعلى من أن يسأل ذلك. اهـ

وقال الإمام الحجة تقي الدين السبكي في رده على نونية ابن قيم الجوزية المسمى بالسيف الصقيل: أما القول فقوله ﷺ للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل لأنه مشَّاء على بدعة لا يقبل غيرها. اهـ

قال الفخر الرازي: وأما عدم صحة الاحتجاج بحديث الجارية في إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة في تنزه

الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنعام] وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى، وقال تعالى ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأنعام] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنـزيه الله سبحانه عن المكان والزمان. اهـ

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر في كتاب التذكار في أفضل الأذكار: لأن كل من في السموات والأرض وما فيهما خلق الله تعالى وملك له وإذا كان كذلك يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصورا أو محدودا ولو كان كذلك لكان محدثا وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق وعلى هذه القاعدة قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله عليه السلام للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، ولم يُنكر عليها وما كان مثله ليس على ظاهره بل هو مؤول تأويلات صحيحة قد أبداها كثير من أهل العلم في كتبهم. اهـ

وقال بعض العلماء إن الرواية الموافقة للأصول هي رواية مالك وفيها أن الرسول قال لها: «**أتشهدين أن لا إله إلا الله**» قالت: «نعم» قال: «**أتشهدين أني رسول الله**» قالت: «نعم». أخرجها الإمامان إماما أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ومالك بن أنس رضي الله عنهما.

أما أحمد فأخرج عن رجل من الأنصار أنه جاء بأَمَةٍ سوداء فقال: «يا رسول الله إن عليَّ رقبه مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها» فقال لها الرسول ﷺ: «**أتشهدين أن لا إله الا الله**» قالت: «نعم»، قال: «**أتشهدين أني رسول الله**» قالت: «نعم»، قال: «**أتؤمنين بالبعث بعد الموت**» قالت: «نعم»، قال: «**أعتقها**»، ورجاله رجال الصحيح.

وفي رواية لابن الجارود بلفظ: **أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أني رسول الله؟** قالت: نعم، قال: **أتوقنين بالبعث بعد الموت؟** قالت نعم، قال: **اعتقها فإنها مؤمنة**. وهي رواية صحيحة.

ومنها ما رواه الإمام ابن حبان في صحيحه عن الشريد بن سويد الثقفي قال قلت: يا رسول الله إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة وعندي جارية سوداء قال: **ادع بها**، فجاءت فقال: **من ربك؟** قالت: الله، قال: **من أنا؟** قالت: أنت رسول الله، قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**. ورواه أيضا بهذا اللفظ النسائي في الصغرى وفي الكبرى والإمام أحمد في مسنده والطبراني والبيهقي ورواه أيضا بهذا اللفظ ابن خزيمة في كتابه الذي سماه كتاب التوحيد من طريق زياد بن الربيع عن بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن الشريد.

قال بعض العلماء: ظاهر هذا الحديث (الذي فيه حكم على الجارية بالإسلام لأنها قالت: في السماء) يخالف الحديث المتواتر الذي رواه خمسة عشر صحابيا. وهذا الحديث المتواتر الذي يعارض حديث الجارية قوله عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**

وأني رسول الله». هذا الحديث فيه أنّ الرسول لا يحكم بإسلام الشخص الذي يريد الدخول بالإسلام إلا بالشهادتين. لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يحكم له بقول «الله في السماء «بالإسلام لأن هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» اهـ ولفظ رواية مالك: **أتشهدين**، موافق للأصول. لذا حكم الحافظ أبو بكر البيهقي وغيره باضطراب حديث الجارية هذا.

- الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى قال في «الأسماء والصفات»: «وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعا من حديث الاوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية؟ وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه، وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث» (انظر السنن الكبرى ٧/ ٣٨٨).

- الحافظ البزار قال بعد أن روى الحديث من طريق من طرقه (كما في كشف الاستار ١/ ١٤): «وهذا قد روي نحوه بألفاظ مختلفة».

- قال الإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٣هـ في كتابه المبسوط، المجلد الرابع (الجزء ٧) [تابع كتاب الطلاق] باب العتق في الظهار:

فأما الحديث فقد ذكر في بعض الروايات: أن الرجل قال عليّ عتق رقبة مؤمنة، أو عرف رسول الله ﷺ بطريق الوحي أن عليه رقبة مؤمنة، فلهذا امتحنها بالإيمان، مع أن في صحة ذلك الحديث كلامًا» اهـ

- قال الامام الحافظ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» ص(٩٤): «أقول: أما القول: فقوله للجارية «أين الله؟ قالت: في السماء «وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل» اهـ

- الحافظ ابن حجر العسقلاني قال في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢٢٣) ما نصه: «وفي اللفظ مخالفة كثيرة» اهـ.

قال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٢٢١): «فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف؟ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث..» اهـ.

- المحدث الكوثري حكم بالاضطراب في تعليقه على «الأسماء والصفات» ص(٤٢٢) فقال: «وقصة الجارية مذكورة فيما بأيدينا من نسخ مسلم لعلها زيدت فيما بعد إتماما للحديث، أو كانت نسخة المصنف ناقصة؟ وقد أشار المصنف - أي البيهقي - إلى اضطراب الحديث بقوله (وقد ذكرت في كتاب الظهار - من السنن - مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث)...» اهـ

وفي تعليقه رحمه الله تعالى على كتاب الحافظ السبكي «السيف الصقيل في البرد على ابن زفيل» ص(٩٤) توسع في مبحث اضطرابه.

- المحدث عبد الله ابن الصديق ذكر في تعليقه على كتاب «التمهيد» (٧/ ١٣٥) للحافظ ابن عبد البر عن لفظ «أين الله» ما نصه: » رواه مسلم وأبو داود والنسائي. وقد تصرف الرواة في ألفاظه، فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ «من ربك؟ «قالت:

الله ربي. وبلفظ «أتشهدين أن لا إلٰه إلا الله؟ «قالت: نعم. وقد أستوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروي بالمعنى حسب فهم الراوي...»

فإن قيل: كيف تكون رواية مسلم: أين الله، فقالت: في السماء، الى ءاخره مردودة مع إخراج مسلم له في كتابه وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة، فالجواب: أن عددا من أحاديث مسلم ردها علماء الحديث وذكرها المحدثون في كتبهم كحديث أن الرسول قال لرجل: إن أبي وأباك في النار، وحديث إنه يعطي كل مسلم يوم القيامة فداء له من اليهود والنصارى، وكذلك حديث أنس: صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا لا يذكرون بسم الله الرحمٰن الرحيم. فأمّا الأول ضعفّه الحافظ السيوطي، والثاني رده البخاري، والثالث ضعّفه الشافعي.

فائدة: تضعيف السيوطي في كتابه مسلك الحنفا في نجاة أبوَي المصطفى ﷺ، وتضعيف الإمام الشافعي مذكور في كتب الحديث المطولة كشرح ألفية العراقي في علم الحديث (فتح المغيث) للعراقي نفسه، أما تضعيف البخاري ففي فتح الباري قال الحافظ ابن حجر ما نصه: وقد أخرج أصل الحديث مسلم من وجه آخر عن أبي بردة بلفظ إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار: قال البيهقي ومع ذلك فضعفه البخاري وقال الحديث في الشفاعة أصح. انتهى.

ولو صح حديث الجارية لم يكن معناه أن الله ساكن السماء

كما توهم بعض الجهلة بل لكان معناه أن الله عالي القدر جدا، وعلى هذا المعنى أقر بعضهم صحة رواية مسلم هذه.

ونقول للمشبهة: لو كان الأمر كما تدعون من حمل ءاية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] على ظاهرها وحمل حديث الجارية على ظاهره لتناقض القرءان بعضه مع بعض والحديث بعضه مع بعض، فما تقولون في قوله تعالى ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ۝١١٥﴾ [سورة البقرة] فإمّا أن تجعلوا القرءان مناقضا بعضه لبعض والحديث مناقضا بعضه لبعض فهذا اعتراف بكفركم لأن القرءان ينـزه عن المناقضة وحديث الرسول كذلك، وإن أولتم ءاية ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ۝١١٥﴾ [سورة البقرة] ولم تأولوا ءاية الاستواء فهذا تحكّم أي قول بلا دليل.

وقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم في صلاته فإنه يناجي ربه فلا يبصقن في قبلته ولا عن يمينه فإن ربه بينه وبين قبلته**»، وهذا الحديث أقوى إسنادا من حديث الجارية.

وأخرج البخاري أيضا عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**».

وفي مسند الامام أحمد: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا ان الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». اهـ

فيقال للمعترض: إذا أخذت حديث الجارية على ظاهره وهذين الحديثين على ظاهرهما لَبَطَلَ زعمك أن الله في السماء وإن أوَّلْت هذين الحديثين ولم تؤوّل حديث الجارية فهذا تحكم

- أي قول بلا دليل - ويصدق عليك قول الله في اليهود ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة البقرة] وكذلك ماذا تقول في قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة] فإن أوّلته فلِمَ لا تؤول حديث الجارية. وقد جاء في تفسير هذه الآية عن مجاهد تلميذ ابن عباس: «قِبلَةُ الله»، ففسر الوجه بالقبلة، أي لصلاة النفل في السفر على الراحلة.

وفي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فأكثروا الدعاء**». اهـ

ونختم هذا الجواب بما في كتاب «رد المحتار على الدر المختار» كتاب الصلاة باب شروط الصلاة (استقبال القبلة) حقيقة أو حكما كعاجز، والشرط حصوله لا طلبه، وهو شرط زائد للابتلاء قوله (للابتلاء) علة لمحذوف أي شرطه الله تعالى لاختبار المكلفين لأن فطرة المكلف المعتقد استحالة الجهة عليه تعالى تقتضي عدم التوجه في الصلاة إلى جهة مخصوصة فأمرهم على خلاف ما تقتضيه فطرتهم اختبارا لهم هل يطيعون أو لا كما في البحر (ح). قلت: وهذا كما ابتلى الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم حيث جعله قبلة لسجودهم. اهـ

تأويل أهل الحق لقوله عليه الصلاة والسلام ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

معنى هذا الحديث الذي رواه الترمذي: «**الراحِمونَ يرحمهم الرحمنُ ارْحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء**»، مفسَّر بالرواية الأخرى لهذا الحديث «**ارحموا أهل الأرض يرحمْكم أهلُ السّماءِ**» رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم (بشواهده).

فهذه الروايةُ تُفسّرُ الروايةَ الأولى لأنَّ خير ما يُفسر به الحديث الواردُ بالواردِ كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:
وخيرُ ما فسرته بالوارد.

ثم المرادُ بأهل السماء الملائكة، ذكر ذلك الحافظ العراقي في أماليهِ عقيبَ هذا الحديث، ونص عبارته: واستدلَّ بقوله: «أهل السماء» على أنَّ المرادَ بقوله تعالى في الآيةِ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ الملائكة» اهـ، لأنه لا يقال لله «أهل السماء».

و«مَنْ» تصلحُ للمُفردِ وللجمعِ فلا حجةَ للمجسمة في الآية، ويقال مثلُ ذلك في الآيةِ التي تليها وهي: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ فـ «من» في هذه الآية أيضًا أهل السماء، فإن الله يسلطُ الملائكة على الكفار إذا أرادَ أن يُحِلَّ عليهم عقوبتَه في الدنيا كما أنهم في الآخرة هم الموكلون بتسليطِ العقوبة على الكفار لأنهم خزنةُ جهنم وهم يجرُّونَ عنقًا من جهنم إلى الموقفِ ليرتاعَ الكفارُ برؤيته.

وتلك الروايةُ التي أوردها الحافظ العراقي في أماليهِ هكذا لفظها: «**الراحمون يرحمهم الرحيمُ ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء**». وإسنادها حسن، ولا يجوز أن يقال عن الله أهل السماء فتُحمَلُ روايةُ «**من في السماء**» على أن المراد بها أهلُ السماء أي الملائكة، وكذلك يُحملُ قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] على الملائكة، ومعروفٌ في النحوِ إفرادُ ضميرِ الجمع، قال الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنعام] وقال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة يونس] وقال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة يونس].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**ارحموا من في الأرض**» معناه بإرشادهم إلى الخير بتعليمهم أمور الدين الضرورية التي هي سببٌ لإنقاذهم من النار وبإطعامِ جائِعِهم وكِسوةِ عاريهم ونحو ذلك. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**يرحمكم أهل السماء**»، فأهلُ السماء هم الملائكة وهم يرحمون من في الأرض أي أن الله يأمُرُهم بأن يستغفروا للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الشورى]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [سورة غافر]، ويُنـزلون لهم المطر وينفحونهم بنفحاتِ خيرٍ ويُمِدونهم بمدد خيرٍ وبركة، ويحفظونهم على حسبِ ما يأمرهم الله تعالى.

قال العلامة السندي (ت ١١٣٨هـ) في حاشيته على مسند أحمد (ج٤/ ٢٩٧): (يَرْحَمْكُمْ) بالجزم على جواب الأمر، ويمكن الرفع على الاستئناف بمنـزلة التعليل على معنى: يرحمكم إن رحمتم، (أَهْلُ السَّمَاءِ) أي: سكان السماء من الملائكة الكرام، ورحمتهم بالاستغفار لهم وللدعاء، وتفسيره بالله بعيد» اهـ

قلنا: كما في قوله تعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة مريم].

وقال الإمام النووي (ت ٦٧٦): قال القاضي عياض المالكي (ت٥٤٤): لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم

ومحدِّثهم ومتكلّمهم ونظّارهم ومقلّدهم أنَّ الظّواهر الواردة بذكر الله في السّماء كقوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأوّلة عند جميعهم اهـ ذكره في كتابه شرح صحيح مسلم، الجزء الخامس في الصحيفة ٢٢ .

قال الإمام القرطبي (ت ٦٧١): في تفسيره في قول الله تعالى «أأمنتم من في السماء»: وقيل: هو إشارة إلى الملائكة. وقيل: إلى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب. قلت: ويحتمل أن يكون المعنى: أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون. اهـ ثم قال: والمراد بها توقير الله وتنزيهه عن السفل والتحت. ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام. وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، ومحل القدس، ومعدن المطهرين من الملائكة، وإليها ترفع أعمال العباد، وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان. ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان» اهـ. انظر كتاب تفسير القرطبي المجلد ٩ الجزء ١٨ صحيفة ١٤١ .

قال الإمام الرّازيُّ (ت ٦٠٤): واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطًا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من

السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئًا حقيرًا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنعام] فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكًا لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل». انظر كتاب التفسير الكبير(ج١٥ جزء٣٠ ص٦١).

وقال أيضا في كتابه التفسير الكبير المجلد ١٣ الجزء ٢٥ الصحيفة رقم ١٩٤: «ولو تدبر الإنسان القرءان لوجده مملوءا من عدم جواز كونه في مكان» اهـ.

ويردُّ على المجسمة بإيراد الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزمر] فيقال لهم: هل تزعمون أن الله يُصعق، وكذا يُردُّ عليهم بإيراد الآية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء].

ثمَّ لو كانَ الله ساكنَ السماءِ كما يزعمُ المجسمة لكانَ الله يزاحِمُ الملائكةَ وهذا مُحال، فقد ثبتَ في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث أبي ذر مرفوعا «**أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك**» الحديث، وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا «**ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد**» وللطبراني نحوه من حديث عائشة. وفيه دليلٌ على أنه يستحيل على الله أن يكونَ ساكنَ السماءِ وإلا لكانَ مساويًا للملائكةِ مزاحِمًا لهم.

فائدة: كِلَا اللَّفْظَيْنِ (أَهْلُ السَّمَاءِ، مَنْ فِي السَّمَاءِ) مَحْفُوظَانِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، مَرْفُوعًا.

رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَاب سُفْيَانَ عنه بِلَفْظِ (أَهْلُ السَّمَاءِ)، وَهُمْ:

١ - أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

٢ - عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ.

٣ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ.

٤ - مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ.

٥ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ.

٦ - إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّالْقَانِيُّ.

٧ - مَحْمُودُ بْنُ آدَمَ.

وَرَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ أَيْضًا بِلَفْظِ (مَنْ فِي السَّمَاءِ)، وَ هُمْ:

١ - أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

٢ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ.

٣ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ.

٤ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرِ بْنِ الْحَكَمِ.

٥ - مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْقُرَشِيُّ.

٦ - خَالِدُ بْنُ نِزَارٍ.

وهذَا الحدِيثُ يُسمَّى «المُسلسَلُ بِالأَوَّلِيَّةِ»، وهُو حديثٌ درجَ المُحدِّثون علَى الافتِتاحِ بِهِ فِي سَمَاعِهِم وإِسْمَاعِهِم لِمَا فِيهِ مِنْ تَسَلْسُلِ الأَوَّلِيَّة. وقد لَهجَتْ به أَلسِنةُ المُحدِّثينَ (بِشَرْطِهِ) فافتتَحُوا به مَجالِسَ التَّحدِيثِ والأَمالِي، وضمَّنُوه مَسمُوعَاتِهم

وإجَازاتِهِم، بل صنَّفوا فيه المُصنفَات الكثِيرة، ونظمُوا فيه الأشعَار الطَّريفة، واستخرجُوا منه الكثير من الفَوائد الإسناديَّة والمتنيَّة.

ومعنى مسلسل بالأولية أن يقول الراوى حدثنا فلان وهو أول حديث سمعته منه قال حدثنا فلان وهو أول حديث سمعته منه . . إلى ءاخره.

وقد قال الحافِظُ ابن ناصرالدِّين الدِّمشقِيُّ في كتابِهِ «مجالِسٌ في تفسِير قول اللَّه تعالى لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِم»: «هذا الحديثُ له ألقابٌ بحسَبِ الوجُوه الَّتي روينَاهُ منْهَا، فهُو حديثٌ صحيحٌ، حسنٌ، فردٌ، مُسلسلٌ من وجهين، مُعلٌّ من وجوهٍ، مُختلَفٌ في إسنادِهِ من وجُوهٍ، مرفُوعٌ، موقُوفٌ من وجْهٍ، مُنقطِعٌ على قولٍ مرجُوحٍ، مُعنعنٌ».

وقال في موضعٍ آخر: «هذا الحديث له ألقابٌ بحسَبِ طُرقِهِ الَّتي رويناها منه، فهو حديثٌ صحيحٌ، وحسنٌ، وضعيفُ الإسناد من وجه، وفردٌ، ومُعلٌّ من وجوهٍ، ومرفُوعٌ، وموقُوفٌ من وجْهٍ، ومُسلسلٌ بالأوَّليةِ: مقطُوعُ التسلسُلِ، وموصُول التسلسُلِ من غير انقطاعٍ، كما رويناهُ، ومُعنعنٌ، لقولِ سُفيانَ فيه: عن عمرِو بن دينارٍ، عن أبي قابوسَ، عن عبداللَّه بن عَمرٍو».

تأويل حديث النزول والرد على الوهابية المجسمة

إن قال المجسم الوهابي أو غيره من الذين يعتقدون أن الله ذات يسكن ويتحرك دليلنا على ذلك حديث ينـزل ربُّنا تبارك وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدُّنيا حينَ يبقى ثُلُثُ الليلِ الآخرُ فيقولُ مَن يدعوني فاستجيبَ ومن يسألُني فأعطيَهُ ومن يستغفرُني فأغفِرَ لـه

قلنا:

الحديث صحيح، لكن لا يجوز تفسيره بالنزول الحسي من ذات الله تعالى لأنه يلزم على ذلك بشاعة ومحال وذلك لأن الليل والنهار وأجزاءهما كالنصف والثلث يختلف باختلاف البلدان، فإن قلتم أن الله ينـزل بالنسبة لبلد واحدة كمكة فقط فمن أين هذا التخصيص ليس عندكم دليل، وإن قلتم إنه بالنسبة لكل الدنيا فليل بلد نهار بلد ءاخر ونصف الليل في بلد يكون نصف النهار في بلد ءاخر فيلزم على معتقدكم أن يكون الله نازلا وطالعا كل ساعة من ساعات الليل والنهار وهذا ينافي قولكم إنه مختص بالعرش فبطل عليكم ذلك المعتقد، ثم إن العرش أكبر العوالم بحيث أن الكرسي بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة وأن السموات بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وعلى هذا تكون سماء الدنيا بالنسبة للعرش أقل من خردلة ملقاة في فلاة فكيف تسع الله الذي هو في معتقدكم بقدر العرش أو أوسع من العرش، إن قلتم هو ينزل إلى السماء الدنيا وهي على حالها وهو على حاله فهذا محال وإن قلتم أن الله يصير أقل من قدر خردلة حتى تسعه السماء

الدنيا فهذا أيضا محال، وإن قلتم أن الكرسي والسموات تكون بقدر العرش أو أوسع منه، فمن أين الدليل على ذلك من القرءان أو الحديث؟

قال الإمام الحافظ الحجة أبو بكر بن فورك شيخ البيهقي رحمهما الله في كتابه مشكل الحديث وبيانه ما نصه: وقد روى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بما يؤيد هذا الباب وهو بضم الياء من «ينزل» وذكر أنه ضبطه عمن سمعه من الثقات الضابطين وإذا كان ذلك محفوظا مضبوطا كما قال فوجهه ظاهر. اهـ

فهذه الرواية الصحيحة تفسر رواية «ينزل ربنا..»

لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله ليبلغوا عنه عبَّرَ الرسول عن ذلك بوحي من الله بعبارة «ينزل ربنا..»

ولذلك نظير في القرءان قال الله تعالى في حق ءادم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف] فيه دليل على صحة رواية النسائي: إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول فيأمر مناديا... فكما أن الله تعالى نسب نداء المَلَك لآدم وحواء إلى نفسه لكونه بأمره فكذلك صح إسنادُ نزول المَلَك إلى السماء الدنيا ليبلغ عن الله: هل من داع فيستجيبَ الله له وهل من سائل فيعطى وهل من مستغفر فيغفر له الله وفي الآية أيضا دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ رد اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول

قول الملك: هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما: «ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقُل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين». كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر الملك بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأعطيه إلى ءاخر ما ورد فيه وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه.

ونظير هذا ما جاء في القرءان من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة] معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرءان على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ فبهذا ينحل الإشكال الذي يخطر لبعض الناس والذي يورده ابن تيمية ومن نهج منهجه في التشبيه من وهابية وغيرهم. وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين ابن جماعة في إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل:

اعلم أن النزول الذي هو بانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام مُنتَقِلٍ ومُنتَقَلٍ عنه ومنتَقَلٍ إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول بذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم

وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئا فشيئا فيلزم انتقاله إلى السماء الدنيا ليلا ونهارا من قوم إلى قوم وعَوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله بها إلى السماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه السماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين إما اتساع في السماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو أن الله جسم بقدر العرش عن ذلك حتى تسعه ونحن نقطع بانتفاء الأمرين. إذا ثبت ذلك فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بذلك النزول مع قطعهم بأن ما لا يليق بجلاله تعالى غير مراد وتنزيهه عن الحركة والانتقال، وقسم من العلماء قالوا المراد بالنزول نزول الملك بأمر الله لأنك تقول قطع الأمير يد اللص ولا يكون الأمير بنفسه قد أمسك السكين وجز المكان إنما المعنى أن يد اللص قطعت بأمر الأمير فتقول قطع الأمير يد اللص وبنى الأمير بيتا وقد لا يكون حمل حجرا واحدا فيه إنما معناه بُني بأمره، كذلك ينزل ربنا أي ينزل الملك بأمر ربنا. اهـ

قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ وخص السحَر بالذّكر لأنه مظان القبول ووقت إجابة الدعاء - إلى أن قال - قلت أصح من هذا ما روى الأئمة عن النبي ﷺ قال: ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا

الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر وفي رواية: حتى ينفجر الفجر لفظ مسلم. وقد اختلف في تأويله وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال وأن الأول من باب حذف المضاف أي ينزل مَلك ربنا فيقول. وقد روي: يُنْزِل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا، وبالله توفيقنا وقد أتينا على ذكره في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى. اهـ

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرءان من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلا وإما عنادا، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم، ومنهم من أوله على

وجه يليق مستعمل في كلام العرب، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من أنواع التحريف، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدًا مهجورا فأول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد، قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يَرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم. اهـ

وقال البيهقي في السنن الكبرى ما نصه: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا.

قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلٍّ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه

على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. اهـ

وقال أبو سليمان الخطابي: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. اهـ وقال أيضا في شرحه على سنن أبي داود ردا على من وصف الله بالحركة: والله سبحانه لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين والله عز وجل مُتعالٍ عنهما ليس كمثله شيء. اهـ

قال البيهقي أيضا في الأسماء والصفات: وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يُحْدِثُ اللهُ تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا لا بأن يتحركَ أو ينتقل فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء، وهذا كقوله عز وجل «فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون» ولم يُرد به إتيانا من حيث النقلة وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخرَّ عليهم السقف من فوقهم فسمى ذلك الفعل إتيانا وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يُحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة تعالى الله عن صفات المخلوقين. اهـ

وقال الكرماني في شرح البخاري: ينزل في بعضها يتنزل فإن قلت هو سبحانه وتعالى منزه عن الحركة والجهة والمكان قلت هو من المتشابهات فإما التفويض وإما التأويل بنزول ملك الرحمة. اهـ

وهذا التأويل أخذه أهل السنة من رواية النسائي إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى.

قال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتاب لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ما نصه: قال أهل التأويل إن العرب تنسب الفعل إلى من أمر به كما تنسبه إلى من فعله وباشره بنفسه قالوا والمعنى هنا إن الله تعالى يأمر ملكا بالنـزول إلى السماء الدنيا فينادي بأمره، وقال بعضهم إن قوله: ينـزل راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته المقدس فإن النـزول كما يكون في الأجساد يكون في المعاني أو راجع إلى المَلَك الذي ينـزل بأمره ونهيه تعالى، فإن حمل النـزول في الأحاديث على الجسم فتلك صفة المـلَك المبعوث بذلك وإن حمل على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل سمى ذلـك نـزولا من مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة والحاصل أن تأويله على وجهين إما بأن المراد ينـزل أمره أو المَلَك بأمره وإما أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم، ونحو ذلك كما يقال نزل البائع في سلعته إذا قارب المشتري بعدما باعده وأمكنه منها بعد منعه، والمعنى هنا أن القرب في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله منه في غيره من الأوقات وأنه تعالى يُقبِلُ عليهم بالتحنن والعطف في هذا الوقت بما يُلقيه في قلوبهم من التنبيه والتذكير الباعِثَين لهم على الطاعة.

وقد حكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبط رواية البخاري بضم أوله على حذف المفعول أي يُنـزل ملكا قالوا ويقويه ما روى النسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما

قالا قال رسول الله ﷺ: **إن الله عز وجل يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى** قال القرطبي صححه عبد الحق، قالوا: وهذا يرفع الإشكال ويُزيل كل احتمال والسنة يُفسر بعضها بعضا وكذا الآيات، قالوا: ولا سبيل إلى حمله على صفات الذات المقدس فإن الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الأوقات والساعات وصفات الرب جل شأنه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهها عن التجدد والحدوث، قالوا: وكل ما لم يكن فكان أو لم يثبت فثبت من أوصافه تعالى فهو من قبيل صفة الأفعال، قالوا: فالنزول والاستواء من صفات الأفعال. اهـ

قال الحافظ النووي في شرحه على مسلم عند قوله **ينزل ربنا**... الحديث، هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن **أحدهما** وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين **أحدهما** تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله بأمره.

والثاني أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. اهـ

وقال البيهقي في الأسماء والصفات: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيفية. اهـ

وقال القاضي ابن العربي في العارضة في شرحه على الترمذي: واختلف الناس في هذا الحديث وأمثاله على ثلاثة أقوال فمنهم من رده لأنه خبر واحد ورد بما لا يجوز ظاهره على الله وهم المبتدعة ومنهم من قبله وأمرَّه كما جاء ولم يتأوّله ولا تكلم فيه مع اعتقاده أن الله ليس كمثله شىء ومنهم من تأوله وفسره وبه أقول لأنه معنى قريب عربي فصيح، أما إنه قد تعدى إليه قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير فتعدوا عليه بالقول بالتكثير قالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات قلنا هذا جهل عظيم وإنما قال ينزل إلى السماء ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل ولا كيف ينزل فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة المَلَك المبعوث بذلك وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة. اهـ

الدليل على تنـزيه الله عن المكان والجهة من القرءان

١ - قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، أي أن الله تعالى لا يشبه شيئًا من خلقه بوجه من الوجوه، ففي هذه الآية نفي المشابهة والمماثلة، فلا يحتاج إلى مكان يحُل فيه ولا إلى جهة يتحيز فيها، بل الأمر كما قال سيدنا عليّ رضي الله عنه: «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» رواه أبو منصور البغدادي. وفي هذه الآية دليلٌ لأهل السنة على مخالفة الله للحوادث، ومعْنى مُخالفةِ الله للحوادِثِ أنّه لا يُشْبِهُ المخْلُوقاتِ، وهذِه الصّفةُ من الصّفاتِ السّلْبيّةِ الخمْسةِ أي التي تدُلُّ على نفْي ما لا يليْقُ بالله.

والدّلِيْلُ العقْلِيُّ على ذلِك أنّهُ لو كان يُشْبِهُ شيْئًا مِنْ خلْقِه لجاز عليْهِ ما يجُوزُ على الخلْق مِن التّغيُّرِ والتّطوُّرِ، ولو جاز عليْهِ ذلِك لاحْتاج إلى منْ يُغيّرُهُ والمُحْتاجُ إلى غيْرِه لا يكُونُ إلهًا، فثبت لهُ أنّهُ لا يُشْبِهُ شيئًا.

والبُرْهانُ النّقْلِيُّ لِوُجُوْبِ مُخالفتِهِ تعالى لِلْحوادِثِ قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ وهُو أوْضحُ دلِيْلٍ نقْلِيّ في ذلِك جاء في القُرءانِ، لأنّ هذِهِ الآية تُفْهِمُ التّنْزِيْه الكُلّيّ لأنّ الله تبارك وتعالى ذكر فِيْها لفْظ شيء في سِياقِ النّفْي، والنّكِرةُ إذا أُوْرِدت في سِياقِ النّفْي فهِي للشُّمُوْلِ، فالله تبارك وتعالى نفى بِهذِهِ الجُمْلةِ عنْ نفْسِهِ مُشابهة الأجْرام والأجْسام والأعراضِ، فهُو تبارك وتعالى كما لا يُشْبِهُ ذوِي الأرواحِ مِنْ إنسٍ وجِنّ وملائِكةٍ وغيْرِهِم، لا يُشْبِهُ الجماداتِ من الأجْرامِ العُلْوِيّةِ والسُّفْلِيّةِ

أيضًا، فالله تبارك وتعالى لم يُقيّد نفْيَ الشَّبهِ عنْهُ بنوْعٍ منْ أنْواعِ الحوادِثِ، بل شمل نفْيُ مُشابهتِهِ لِكُلِّ أفْرادِ الحادِثاتِ، ويشْملُ نفْيُ مُشابهةِ الله لخلْقِه تنْزِيْهه تعالى عن المكان والجهة والكميّة والكيْفِيّةِ، فالكمّيّةُ هِي مِقْدارُ الجِرمِ، فهُو تبارك وتعالى ليْس كالجِرمِ الذي يدْخُلُهُ المِقْدارُ والمِساحةُ والحدُّ، فهُو ليْس بِمحْدُودٍ ذِي مِقْدارٍ ومسافةٍ.

فلو كان الله فوق العرشِ بذاتِهِ كما يقولُ المشبّهةُ لكان محاذيًا للعرشِ، ومِنْ ضرورةِ المُحاذِي أنْ يكون أكبر مِن المحاذى أو أصغر أو مثله، وأنّ هذا ومثله إنما يكونُ في الأجسامِ التي تقبلُ المِقدار والمساحة والحدّ، وهذا مُحالٌ على الله تعالى، وما أدّى إلى المُحالِ فهو محالٌ، وبطل قولُهُم إن الله متحيّزٌ فوق العرشِ بذاتهِ. ومنْ قال في الله تعالى إنّ لهُ حدًّا فقدْ شبّههُ بخلْقِهِ لأنّ ذلِك يُنافي الألُوهِيّة، والله تبارك وتعالى لو كان ذا حدّ ومِقْدارٍ لاحتاج إلى منْ جعلهُ بذلِك الحدّ والمِقْدارِ كما تحتاجُ الأجْرامُ إلى منْ جعلها بحدُوْدِها ومقادِيْرِها لأنّ الشيء لا يخْلُقُ نفْسه بمِقْدارِه، فالله تبارك وتعالى لو كان ذا حدّ ومِقْدارٍ كالأجْرامِ لاحْتاج إلى منْ جعلهُ بذلك الحدّ لأنّه لا يصِحُّ فِي العقْلِ أنْ يكُون هُو جعل نفْسه بذلِك الحدّ، والمُحْتاجُ إلى غيْرِهِ لا يكُونُ إلهًا، لأنّ مِنْ شرْطِ الإلهِ الاسْتِغْناء عنْ كُلّ شيء.

٢ - قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ [سورة النحل] أي الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربنا عزَّ وجلَّ بصفات المخلوقين من التغيّر والتطور والحلول في الأماكن والسُّكنى فوق العرش، تعالى اللهُ عن ذلك علوًّا

كبيرًا. قال المفسّر اللغوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ أي الصفة العليا من تنزيهه تعالى عن الولد والصاحبة وجميع ما تنسب الكفرةُ إليه مما لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى في صورة» اهـ.

٣ - ومما يدل على ما قدمنا قول الله تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل]، أي لا تجعلوا لله الشبيهَ والمِثْل فإن اللهَ تعالى لا شبيه له ولا مثيل له، فلا ذاتُه يشبه الذواتِ ولا صفاتُه تشبه الصفاتِ.

٤ - وقال الله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم] أي مِثلًا، فالله تعالى لا مِثْلَ له ولا شبيه ولا نظير، فمن وصفه بصفة من صفات البشر كالقعود والقيام والجلوس والاستقرار يكون شَبَّهَهُ بهم، ومن قال بأن الله يسكن العرش أو أنه ملأه يكون شبّه اللهَ بالملائكة سُكّان السّموات. وهذا الاعتقاد كفر والعياذ بالله تعالى لتكذيبه قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى]، وقول الله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم].

٥ - وكذلك مما يدل على تنزيهه تعالى عن المكان قول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحديد] قال الطبري في تفسيره: «فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة ق]» اهـ. أي أنه نفى القُرْبَ الحِسّي الذي تقول به المجسمةُ، أما القرب المعنوي فلا يَنفيه، وهذا دليل على تنزيه الله عن المكان والجهة.

فالله تعالى هو الأول أي الأزلي الذي لا ابتداء لوجوده،

كان ولم يكن مكانٌ ولا زمان ثم خلق الأماكنَ والأزمنة ولا يزال موجودًا بلا مكان، ولا يطرأ عليه تغيّر لا في ذاته ولا في صفاته.

٦ - وقال الله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص] أي لا نظير له بوجه من الوجوه، وهذه الآية قد فسَّرتها ءاية الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٧ - وقال الله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة] قال المفسّر اللغوي الشيخ أبو حيان الأندلسي ما نصه: «وفي قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة] ردٌّ على من يقول إنه في حيّز وجهة، لأنه لمّا خيَّر في استقبال جميع الجهات دلَّ على أنه ليس في جهة ولا حيّز، ولو كان في حيّزٍ لكان استقباله والتوجه إليه أحق من جميع الأماكن، فحيث لم يُخصّص مكانًا علِمْنا أنه لا في جهة ولا حيِّز، بل جميع الجهات في ملكه وتحت ملكه، فأي جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظمين له ممتثلين لأمره» اهـ.

الدليل على تنـزيه الله عن المكان والجهة من الحديث

اعلم أنه جاء عن رسول الله ﷺ أحاديث تتضمن تنـزيه الله عن المكان والجهة، وقد استدل بها العلماء لتقرير هذه العقيدة السُّنيّة، نذكر منها:

١ - قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**» رواه البخاري والبيهقي.

ومعناه أن الله لم يزل موجودًا في الأزل ليس معه غيرُه لا ماءٌ ولا هواءٌ ولا أرضٌ ولا سماءٌ ولا كرسيٌّ ولا عرشٌ ولا إنسٌ ولا جنٌّ ولا ملائكةٌ ولا زمانٌ ولا مكانٌ، فهو تعالى موجودٌ قبل المكان بلا مكان، وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه.

والله تعالى لا يوصف بالتغيّر من حالة إلى أخرى لأن التغيّر من صفات المخلوقين، فلا يقال كما تقول المشبّهة إن الله كان في الأزل ولا مكان ثم بعد أن خلق المكان صار هو في مكان وجهة فوق والعياذ بالله تعالى. وما أحسن قول المسلمين المنزهين في لبنان: «سبحان الذي يُغيِّر ولا يتغيَّر»، وهذه عبارة سليمة عند أهل السنة، غير أن المشبهة المجسمة أدعياء السلفية تشمئز نفوسهم منها لأنها تهدم عليهم عقيدة التشبيه.

٢ - وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم أنت الأوّلُ فليس قبلَك شىء، وأنت الآخِر فليس بعدَك شىء، وأنت الظاهرُ فليس فوقَك شىء، وأنت الباطن فليس دونَك شىء**» رواه مسلم.

قال الحافظ البيهقي الشافعي الأشعري ما نصه: «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه - أي عن الله - بقول النبي ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء**»، وإذا لم يكن فوقه شىء ولا دونه شىء لم يكن في مكان» اهـ كلام البيهقي.

أما ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أنكم دَلَّيْتُم رجُلًا بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله» رواه الترمذي، هو حديث ضعيف، لكن تأوَّله علماء الحديث على أن علم الله شامل لجميع الأقطار وأنه منزه عن المكان، فالشاهد هو في استدلال العلماء به على نفي المكان عن الله، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، فالتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى تنزه عن الحلول في الأماكن، فالله سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن» اهـ، نقله عنه تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة»، وذكره أيضًا الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد بن طولون الحنفي وأقرَّه عليه.

وقال الحافظ المحدّث أبو بكر البيهقي الشافعي الأشعري بعد أن ذكر هذه الروايةَ ما نصه: «والذي رُوِيَ في ءاخر هذا الحديث إشارةٌ إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء، وأنه «الظاهر» فيصح إدراكه بالأدلة، «الباطن» فلا يصح إدراكه بالكون في مكان» اهـ.

وكذلك استدل به أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على سنن الترمذي على أن الله موجود بلا مكان، فقال ما نصه:

«والمقصود من الخبر أن نسبة البارئ من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت، إذ لا ينسب إلى الكون في واحدة منهما بذاته» اهـ. أي أن الله منزه عن الجهة فلا يسكن فوق العرش كما تقول المجسمة، ولا هو بجهة أسفل، لأن الله تعالى كان قبل الجهات الست، ومن استحال عليه الجهةُ استحال عليه المكانُ، فالله تعالى لا يحل في شيء ولا يشبه شيئًا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

٣ - ومن الأحاديث الدالة على تنزيه الله عن الجهة، ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن ربّه وهو ساجد، فأكثروا الدُّعاء**».

قال الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي: «قال البدر بن الصاحب في تذكرته: في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى».

٤ - ويدل أيضًا على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متَّى**» اهـ. واللفظ للبخاري.

قال الحافظ المحدِّث الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي ما نصه: «ذَكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المُنَيِّر الإسكندري المالكي في كتابه «المنتقى في شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرر نفيَها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحقّ جل جلاله نسبة واحدة، ولو

كان الفضل بالمكان لكان نبينا عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل وَلَمّا نهى عن ذلك. ثم أخذ الإمام ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لا بالمكان، هكذا نقله السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل» اهـ. وابن زفيل هو ابن قيم الجوزية المبتدع تلميذ الفيلسوف المجسم ابن تيمية الذي قال مؤيدًا لعقيدة متأخري الفلاسفة: إن الله لم يخلق نوع العالم، وهذا كفرٌ بإجماع المسلمين كما ذكر العلّامة الشيخ بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع.

وقال المفسّر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره ما نصه: «قال أبو المعالي: قوله ﷺ: «لا تفضّلوني على يونس بن متى» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس في جهة» اهـ.

٥ - قال العلامة المحدّث الفقيه عبد الله الهرري ما نصه: «ومما استدل به أهل السنة على أن العروج بالنبي إلى ذلك المستوى لم يكن لأن الله تعالى متحيزٌ في تلك الجهة (استدلوا): أن موسى لم يسمع كلامه وهو عارجٌ في السموات إلى محل كالمحل الذي وصل إليه الرسول محمد، بل سمع وهو في الطور، والطور من هذه الأرض؛ فيُعلَمُ من هذا أن الله موجودٌ بلا مكان، وأن سماع كلامه ليس مشروطًا بالمكان، وأن صفاته ليست متحيزة بالمكان، جعل سماع محمد لكلامه الأزلي الأبدي في وقت كان فيه محمد في مستوى فوق السموات السبع حيث يعلمُ الله، وموسى كان سماعُه في الطور، وأن نبينا ﷺ صار مشرفًا بجميع أقسام

التكليم الإلهيّ المذكور في تلك الآية، ولم يجتمع هذا لنبي سواه» اهـ.

٦ - ومما يدل أيضًا على تنزيهه تعالى عن الجهة ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء» اهـ. أي أن النبي جعل بطون كفَّيه إلى جهة الأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيّزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السُّفل.

الدليل على تنـزيه الله عن المكان والجهة من الإجماع

اعلم أن المسلمين اتفقوا على أن الله تعالى لا يحلُّ في مكان، ولا يحويه مكان ولا يسكن السماء ولا يسكن العرش، لأن الله تعالى موجود قبل العرش وقبل السماء وقبل المكان، ويستحيل على الله التغيّر من حال إلى حال ومن صفة إلى صفة أخرى، فهو تبارك وتعالى كان موجودًا في الأزل بلا مكان، وبعد أن خلق المكان لا يزال موجودًا بلا مكان. وما سنذكره في هذا البحث بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه من أقوالٍ في تنـزيه الله عن المكان لأعلام ظهروا على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمن منذ الصدر الأول أي منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا يُعْتَبَرُ من أقوى الأدلة على رسوخ هذه العقيدة وثبوتها في نفوس المسلمين سلفًا وخلفًا.

ليُعلم أن أهل الحديث والفقه والتفسير واللغة والنحو وعلماء الأصول، وعلماء المذاهب الأربعة من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة - إلا من لحق منهم بأهل التجسيم - والصوفية الصادقين كلهم على عقيدة تنـزيه الله عن المكان، إلا أن المشبهة ومنهم نفاة التوسل شذّوا عن هذه العقيدة الحقة فقالوا إن الله يسكن فوق العرش والعياذ بالله تعالى.

١ - ممن نقل إجماع أهل الحق على تنـزيه الله عن المكان الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (٤٢٩هـ)، فقد قال ما نصه: «وأجمعوا - أي أهل السنة والجماعة - على أنه - أي الله - لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» اهـ.

٢ - وقال الشيخ إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُويني الشافعي (٤٧٨هـ) ما نصه: «ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيّز والتخصص بالجهات» اهـ.

٣ - وقال المفسّر الشيخ فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ما نصه: «انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيّز» اهـ.

٤ - وقال الشيخ إسماعيل الشيباني الحنفي (٦٢٩هـ) ما نصه: «قال أهل الحق: إن الله تعالى متعالٍ عن المكان، غيرُ متمكّنٍ في مكان، ولا متحيز إلى جهة خلافًا للكرّامية والمجسمة» اهـ.

٥ - وقال سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ) ما نصه: «وما يُروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها والإيمان بتنزيلها وتلاوة كل ءاية على ما ذكرنا عنهم، وبيَّن السلف الاختلاف في الألفاظ التي يطلقون فيها، كل ذلك اختلاف منهم في العبارة، مع اتفاقهم جميعًا في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيّز بجهة» اهـ.

وللشيخ ابن جَهْبَل الحلبي الشافعي (٧٣٣هـ) رسالة ألَّفَها في نفي الجهة ردَّ بها على المجسم الفيلسوف ابن تيمية الحرَّاني الذي سَفَّه عقيدة أهل السنة، وطعن بأكابر صحابة رسول الله ﷺ كعمر وعليّ رضي الله عنهما.

٦ - قال ابن جَهْبَل ما نصه: «وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة، فنقول: عقيدتنا أن الله قديم أزليٌّ، لا يُشبِهُ شيئًا ولا يشبهه شيء، ليس له جهة ولا مكان» اهـ.

٧ - نقل الشيخ تاج الدين السبكي الشافعي الأشعري (٧٧١هـ) عن الشيخ فخر الدين بن عساكر أنه كان يقرأ العقيدة المرشدة التي فيها: «إن الله تعالى موجود قبل الخلق ليس له قَبْلٌ ولا بَعْدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خَلْفٌ». ثم قال ابن السبكي بعد أن ذكر هذه العقيدة ما نصه: «هذا ءاخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سُنّي» اهـ.

٨ - ووافقه على ذلك الحافظ المحدّث صلاح الدين العلائي (٧٦١هـ) أحد أكابر علماء الحديث فقال ما نصه: «وهذه «العقيدة المرشدة» جرى قائلها على المنهاج القويم، والعَقْد المستقيم، وأصاب فيما نزَّه به العليَّ العظيم» اهـ.

٩ - قال الشيخ محمد مَيَّارة المالكي (١٠٧٢هـ) ما نصه: «أجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له، فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف» اهـ.

١٠ - وقال شيخ الجامع الأزهر سليم البِشْري (١٣٣٥هـ) ما نصه: «مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السُّنّيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث مخالف لها في جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان» اهـ، ذكره القضاعي في «فرقان القرءان».

١١ - وقال الشيخ يوسف الدجوي المصري (١٣٦٥هـ) عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في مصر ما نصه: «واعلم أن السلف قائلون باستحالة العلو المكاني عليه تعالى، خلافًا لبعض الجهلة الذين يخبطون خبط عشواء في هذا المقام، فإن السلف والخلف متفقان على التنزيه» اهـ.

١٢ - وقال أيضًا: «هذا إجماع من السلف والخلف» اهـ.

١٣ - وقال الشيخ سلامة القضاعي العزامي الشافعي (١٣٧٦هـ) ما نصه: «أجمع أهل الحق من علماء السلف والخلف على تنزه الحق - سبحانه - عن الجهة، وتقدسه عن المكان» اهـ.

١٤ - وقال المحدث الشيخ محمد عربي التبان المالكي المدرس بمدرسة الفلاح وبالمسجد المكي (١٣٩٠هـ) ما نصه: «اتفق العقلاء من أهل السنة الشافعية والحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة وغيرهم على أن الله تبارك وتعالى منزه عن الجهة والجسمية والحد والمكان ومشابهة مخلوقاته» اهـ.

١٥ - وممن نقل الإجماع على ذلك في مواضع كثيرة من مؤلفاته ودروسه المتكلم على لسان السلف الصالح العلامة الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله وله عناية شديدة بتعليم عقيدة أهل السنة والجماعة للناس فقال ما نصه: «قال أهل الحق نصرهم الله: إن الله سبحانه وتعالى ليس في جهة» اهـ،

فالحمد لله على ذلك.

وقد حذر رسول الله ﷺ من أهل الأهواء بقوله: «وإنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلا دخله» رواه أبو داود.

فالحمد لله الذي جعل لنا من يبيِّن عقيدة أهل السنة ويدافع عنها.

تمسك أخي المسلم بهذه العقيدة التي عليها مئات الملايين من المسلمين، والحمد لله على توفيقه. اهـ.

تكفير السلف والخلف للمجسمة والمشبّهة

ننقل لك أخي الكريم الآن نصوص الأئمة والعلماء على تكفير المجسمة المشبهة الوهابية وأمثالهم.

قال الخليفة الراشد أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه «والبحث عن ذاته كفر وإشراك» فهذا الَّذي يحاول بزعمه أن يتصور الله تعالى يكفر بذلك ولا يستطيع أن يتصوره لأن الله ليس شيئًا يُتصور بل هو ليس كمثله شيء فكيف بالوهابية التي قالت عن الله قاعد وجالس وجسم ويصعد وينزل بالحركة والسكون والأعضاء والانتقال وهو تكذيب لقول الله عزَّ وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى]، فقولهم هذا كفر عند كل المسلمين.

وقال الخليفة الراشد الإمام علي رضي الله عنه: «من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود» رواه أبو نعيم في الحلية[1]. أي من اعتقد أو قال بأن الله تعالى قاعد أو جالس أو له كمية صغيرة أو كبيرة فهو جاهل بالله أي كافر به.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «من قال إن الله على شيء فقد أشرك» والوهابية تقول الله بذاته على العرش فهم كفار بذلك.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «المجسم كافر» ذكره الحافظ السيوطي في «الأشباه والنظائر» (ص/٤٨٨) والوهابية مجسمة فالشافعي كفّرهم.

---

(١) الحلية (١/ ٧٣).

ونقل ابن المعلم القرشي (٧٢٥هـ) في «نجم المهتدي» (ق/ ٥٥١) عن «كفاية النبيه في شرح التنبيه» قوله: «وهذا ينظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لا يؤمن بالقدر. وكذا من يعتقد إن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي رضي الله عنه» اهـ.

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في كتاب الوصية: «من قال بحدوث صفة من صفات الله أو شك أو توقف كفر» والوهابية تقول إن الله حادث مخلوق لأنهم اعتقدوه كخلقه بنسبتهم إليه الجلوس والقعود وهما صفة الإنس والجن والملائكة والبهائم.

وقال الإمام مالك رضي الله عنه فيما رواه عنه الحافظ المجتهد أبو بكر بن المنذر: «أرى في أهل الأهواء أن يعرضوا على السيف فإن ردعوا وإلا ضربت أعناقهم» اهـ وأهل الأهواء كالمجسمة المشبهة والمعتزلة والجمهية.

وقال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رضي الله عنه: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر» رواه عن أحمد أبو محمد البغدادي صاحب الخصال من الحنابلة كما رواه عن أبي محمد الحافظ الفقيه بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) في كتابه «تشنيف المسامع» المجلد ٤ (ص/ ٦٨٤).

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه (٣٢٤هـ): «من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به».

وقال الإمام ابو جعفر الوراق الطحاوي رضي الله عنه (٣٢١هـ): «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

وفي كتاب الفتاوى الهندية للشيخ الفقيه رئيس الحنفية في بلده نِظام برهان الدين علي بن الحسن البلخي الحنفي (٥٤٨هـ) وجماعة من علماء الهند وهو من مشاهير كتب الحنفية قال: «ويكفر بإثبات المكان لله» اهـ.

وقال الإمام محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي في كتابه «مختصر الإفادات» المتوفى سنة ١٠٨٣هـ (ص/ ٤٨٩): «فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر».

ونقل الحافظ النووي (٦٧٦هـ) عن الإمام جمال الدين المتولي الشافعي الَّذي هو من أصحاب الوجوه أن من وصف الله بالاتصال والانفصال كان كافرًا، انظر كتاب «روضة الطالبين» المجلد العاشر صحيفة ٦٤ .

ونقل الفقيه الحنفي ملَّا علي القاري الحنفي (١٠١٤هـ) في كتابه «شرح المشكاة» (٣/ ٣٠٠) قال جمع من السلف والخلف إن معتقد الجهة (أي في حق الله) كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني» اهـ.

وقال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي (١٣٥٢هـ) في كتابه «إتحاف الكائنات» (ص/ ٣ - ٤): وقد قال جمع من السلف والخلف إن من اعتقد أن الله في جهة فهو كافر.

وقال المفسر الرازي: إن اعتقاد أن الله جالس على العرش أو كائن في السماء فيه تشبيه الله بخلقه وهو كفر.

وقال أبو نعيم بن حمَّاد شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه كفر، وإجماع الأمة المحمدية على ذلك انتهى كلام السبكي.

وقال الإمام تقي الدين الحصني الشافعي الدمشقي (٨٢٩هـ) في كتابه «دفع شُبَهِ من شَبَّه وتمرَّد» بعد أن نزَّه الله تعالى عن المكان والكيف: لأن الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله منزه عنه وإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة.

وقال الشيخ الكمال بن الهمام الحنفي (٦٨١هـ): «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر»، ذكر ذلك في «شرح فتح القدير» باب صفة الأئمة.

وقال شيخ الأزهر الشيخ الأستاذ سليم البشري (١٣٣٥هـ): «من اعتقد أن الله جسم أو أنه مماس للسطح الأعلى من العرش وبه قال الكرَّامية واليهود وهؤلاء لا نزاع في كفرهم»، نقله عنه الشيخ سلامة القضاعي العزامي في كتابه «فرقان القرءان» (ص/ ١٠٠).

فلا تخش يا طالب الحق من تكفيرك للوهابية المجسمة المشبهة وقد نقلنا لك إجماع الأمة على كفرهم وخروجهم عن الملة بل تكفيرهم حق واجب فيه أجر وثواب ومن لم يكفرهم مع علمه بكفرهم فكأنه يقول يجوز للكافر أن يتزوج من المسلمة أو أن يرث قريبه المسلم إذا مات وأن صلاته أو الصلاة عليه أو الصلاة وراءه صحيحة وهذا تكذيب للإسلام وهدم لهذه الأحكام وتضييع للحقوق وفيه إفساد صلوات المسلمين عليهم.

فالحق الَّذي لا شك فيه أن تكفير الوهابية الذين حالهم ما وصفنا فيه تمييزُ الكافر عن المسلم ولو انتسبوا للإسلام باللفظ ولا ينفعهم النطق بالشهادتين وهم على هذه العقيدة الكفرية لأنهم كذبوا معنى الشهادتين.

فالقول الحق تكفير المجسّمة وقد ثبت عن الأئمة الأربعة ذلك أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والإمام أبي الحسَن الأشعري والإمام أبي منصور الماتريدي وأشدهم في ذلك مالك فقد روى عنه الإمام المجتهد ابن المنذر أنه قال أرى أن يستتاب أهل الأهواء فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم، أهل الأهواء هم الذين ابتدعوا في الاعتقاد كالمعتزلة والمشبهة المجسّمة والجبرية إلى ءاخر فرقهم، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل من قال الله جسم لا كالأجسام كفر، نقل ذلك بدر الدين الزركشي وصاحب الخصال الحنبليّ، وقال الشافعي: لا يكفّر أهل القِبلة واستثنى المجسّمة قاله السيوطيّ في كتابه «الأشباه والنظائر». وقال أبو حنيفة في كتابه «الوصية»: من اعتقد حدوث صفةٍ من صفات الله أو شك أو توقف كفر. وقد تساهل الناس اليوم في أمر المشبهة مع أنهم يصرحون بتكفير غيرهم كائنًا من كان، أعني مشبهة العصر الوهابية، كثير منهم لأجل المال يمدحونهم فهؤلاء باعوا الآخرة بالمال وأما ما يُعْزَى لعز الدين بن عبد السلام في كتاب «القواعد» من عدم تكفير المجسّمة الذين يثبتون وجود الله في جهة فوق فلا اعتداد به لأنه يخالف ما قاله الشافعي وعزّ الدين بن عبد السلام من متأخري الشافعية كيف لا يُكفّرون وهم يكفرون جميع الأمة أي من ليس منهم بل يكفرون الأشاعرة والماتريدية وهم الأمة المحمدية، وهم يجسّمون الله تجسيمًا صريحًا وإن قالوا في بعض الحالات: لله استواء على العرش بلا كيف وله وجه ويد وعين بلا كيف لكن هم يعتقدون الكيف لكن يقولون ذلك ليوهموا الناس أنهم مع السلف الذين قالوا هذا القول. وبترك تحذير المشايخ منهم اتسعوا وانتشروا. ثم إنه ثبت عن السلف

قول يا محمد في حال الشّجّة وقد ثبت بالإسناد الصحيح أن الصحابة كان شعارهم في حرب المرتدين الذين قاتلوا مع مسيلمة الكذاب: «يا محمداه»، وكان أمير أولئك خالد بن الوليد رضي الله عنه فهم كفّروا السلف والخلف الصحابة ومن جاء بعدهم فكيف لا يُكفّرون وجسّموا الله تجسيمًا صريحًا. قال بعضهم في الحجاز: إن الله يضع قدمه في جهنم وذلك عندما تقول هل من مزيد فلا تحترق. فكيف يسكت عن تكفير هؤلاء وهم قد كفّروا السلف والخلف وقد قال مدرّس الوهابية في المسجد النبوي قبل تسع سنوات ثلاثة أرباع الأمة كفار لأنهم يقولون يا محمد يا عبد القادر فهم كفار وهم لا يشعرون. وقال أحد الوهابية يا مسلمون لا تفسدوا حجكم بزيارة قبر النبيّ محمد.

وقد ثبت حديثًا أن الرسول قال: ينزل عيس ابن مريم حكمًا مقسطًا وليأتين قبري حتى يسلم عليّ ولأردن عليه السَّلام. فما أعظم فتنة المال! لأجل المال سكت خلق كثير عن التحذير منهم. الرَّسول عليه السَّلام قال: إن فتنة أمّتي المال. وقد قال بعض أئمة التابعين إذا رأيت العالم يحب المال فاتهمه على دينك.

هؤلاء ينطبق عليهم قوله عليه السلام: تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم. رواه البخاري.

أقوال العلماء في المنع من الصلاة خلف المبتدع الكافر ببدعته كالمجسم

نقل الحافظ اللغوي الفقيه الحنفي محمَّد مرتضى الزبيدي في «شرح إحياء علوم الدين»[١] عن سفيان الثوري (١٦١هـ) أن الصلاة تصح خلف المبتدع وقال المرادُ البِدعةُ التي لا تكفّر صاحبَها وإلا لم تصِح إمامته. قال ما نصه: «القدوة بأهل الأهواء صحيحة إلا الجهمية والقدرية والروافض الغالية والخطابية ومن يقول بخلق القرءان والمشبهة ونحوهم ممن تكفّره بدعته» انتهى كلامه. ويعني بقوله ونحوهم المرجئة فإنهم كفار وهم الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وقال الحافظ المجتهد ابن المنذر في «الأوسط»: «قيل للثوريّ: رجل يكذب بالقدر أصلي وراءه؟ قال: لا تقدموه» اهـ.

وقال النوويُّ في المجموع، باب صفة الأئمة، فصل إمامة الكافر في الصلاة: «ولا تصح الصلاة خلف أحد من الكفار على اختلاف أنواعهم، وكذا المبتدع الذي يكفر ببدعته».

وقال في باب صفة الأئمة، فصل الصلاة خلف الفاسق: «قال ابن المنذر: إن كفر ببدعة لم تجز الصلاة وراءه، وإلا فتجوز وغيره أولى». اهـ.

وقال الإمام الحافظ الكبير أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص ٣٥٧ ما نصه: «وأما أهل الأهواء من

(١) إتحاف السادة المتقين (٣/ ١٧٩).

الجارودية والهشامية والنجارية والجهمية والإمامية الذين أكفروا خيار الصحابة والقدرية المعتزلة عن الحق والبكرية المنسوبة الى بكر ابن أخت عبد الواحد والضرارية والمشبهة كلها والخوارج، فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم». اهـ

وقال الشيخ الفقيه الحنفي عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١١٤٣هـ) في كتابه «صدح الحمامة في شروط الإمامة» طبعة الدار المسمى البشائر الإسلامية ص٥٤ - ٥٥ ما نصه: «والجهمي والقدري والمشبه وحاصله ويدخل في المشبهة من يعتقد بأن الله في السماء (أي حقيقة أو بذاته) أو في جهة من الجهات كالجهلة بالعقائد الصحيحة في زماننا، فلا تصح إمامتهم كما كشفت عن أحوالهم في كتابي «الرد المتين». اهـ

وقال الفقيه الحنفي كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي (٦٨١هـ) في كتابه شرح فتح القدير الجزء الأول طبعة دار الكتب العلمية ص٣٦٠ ما نصه: «يريد بالمبتدع من لم يكفر ولا بأس بتفصيله الاقتداء بأهل الأهواء جائز إلا الجهمية والقدرية والروافض الغالية والقائل بخلق القرءان والخطابية والمشبهة». اهـ

ثم قال: «ويكفر بمجرد إطلاق لفظ الجسم على الله». اهـ

وقال الفقيه الشافعي نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة (٧١٠هـ) في كتابه كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي الجزء الرابع دار الكتب العلمية ص٢٤ ما نصه: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به وهذا ينظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين

بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لا يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي الحسين هنا عن نص الشافعي». اهـ

أما المرجئة والقدرية فقد ورد فيهما حديث صريح يحكم بكفرهم وذلك قوله ﷺ «**صنفان من أمتي ليس لهما نصيب في الإسلام: المرجئة والقدرية**». أخرجه الحافظ المجتهد محمد بن جرير الطبري في كتابه «تهذيب الآثار» وصححه[1]. والمرجئة هم الذين يقولون بالإرجاء أي أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنّه لا ينفَع مع الكفر طاعة.

قال أبو حامد أحد كبار أصحاب المذهب الشافعي: المعتزلة كفار، وقال: إن الإمام الشافعي كفَّر القدرية، كما حكاه صاحب البيان العمراني اليمني.

وأما المجسمة فهم الذين يعتقدون أن الله جسم ومنهم الوهابية في هذا العصر. وقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه «النوادر»: «المجسم جاهل بربه فهو كافر به» اهـ.

والمجسمة نوعان مجسمة يعتقدون أن الله جسم كثيف ومجسّمة تعتقد أن الله جسم لطيف فقد كان فيما مضى مجسّمة تعتقد أن الله نورٌ يتلألأ.

ولا بد من ذكر أنه لا يُعتَمد ما في كتاب قواعد عز الدين بن عبد السلام من ترك تكفير الجِهَوِيّ الَّذي يعتقد أن الله مستقر في جهةٍ فوق لأن هذا تجسيم لأن إمامه الشافعي كفّر المجسم فلا معنى لقول ابن عبد السلام فيما يخالف قول إمامه وكذلك

(١) تهذيب الآثار (٢/١٧٨).

كل من ينتسب إلى مذهب الإمام الشافعي ويخالف كلامَ الشافعي في هذه المسئلة.

وقال النسفيُّ (٧١٠هـ) في تفسيره المشهور ج٢ ص٨٧ عند تفسير ءاية «ومن الإلحاد تسمية الله بالجسم والجوهر والعقل والعلة». اهـ.

وفي كتاب نجم المهتدي لابن المعلم القرشي ص٥٨٨ عن الإمام علي بن أبي طالب رسول الله أنه قال: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا، قال رجل: يا أمير المؤمنين كفرهم بماذا أبالإحداث أم بالإنكار، فقال: بل بالإنكار ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء» اهـ.

وقال في الكتاب نفسه ص٥٥١ ما نصه: «نقلًا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين في كتابه «كفاية النبيه في شرح التنبيه» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يُقتدى به» قال: «وهذا ينظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي رضي الله عنه». اهـ.

وقال الكمال ابن الهمام الحنفي في «فتح القدير» ج١ ص٤٠٣: «من قال الله جسمٌ لا كالأجسام كفر». اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصنيُّ في كفاية الأخيار في باب الردّة ما نصه: «إلا أن النووي جزم في صفة الصلاة في شرح المهذب بتكفير المجسمة، قلت: وهو الصواب الذي لا محيد عنه». اهـ.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ) في كتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني ص١٩٠ و١٩١ ما نصه: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها وهي التشبيه والتعطيل والتكذيب وهي أصول ثلاثة من أصول الكفر، لا يدخل الإنسان في مرتبة عوام المسلمين إلا بعد تبرئته منها ظاهرًا وباطنًا ومتى وجدَ عنده شيء منها فليعلم أنه كافر وليس بمؤمن ولا يغره بالله الغرور.

التشبيه: هو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسم فوق العرش أو في جهة من الجهات الست أو أنه في مكان من الأماكن أو في جميع الأماكن، وجميع ذلك كفرٌ صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه». اهـ.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «المجسم كافر» ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ص٤٨٨ .

وقال ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) في كتابه المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية ص٢٢٤: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك». اهـ.

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر» ذكره صاحب الخصال من الحنابلة، انظر تشنيف المسامع للزركشي ج٤ ص٦٤٨، وكذلك الإمام مالك كفَّر المجسم وكذلك الإمام أبو حنيفة.

وقال محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي من أهل القرن الحادي عشر في مختصر الإفادات ص٤٨٩: «ويجب الجزم

بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر».

ثم قال في ص٤٩٠: «ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء فمن شبهه بشيء من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسمًا أو قال إنه جسم لا كالأجسام» اهـ.

ونقل الحافظ العراقي شيخ الحفاظ عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة والأشعري والباقلاني تكفير من نسب إلى الله الجهة (انظر شرح المشكاة لملا علي القاري ج٣ ص٣٠٠) وقال المحدث محمد زاهد الكوثري في مقالاته ص٣٢١: «إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفرٌ عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري». اهـ.

وأما ما رواه الربيع من أنَّ الشافعيَّ روى عن فلان وهو قدري فهو محمول على أنه لم يكن من القدرية الذين يعتقدون كفرياتهم لأن بعض القدرية لا يعتقد مقالاتهم الكفرية إنما يوافقهم في بعض الأمور فتحمل رواية الشافعي عن هذا الرجل على هذا الباب لأنه ثبت عن الربيع أنّ الشافعي كفر القدري فيحمل تكفيره على من يقول بمقالاتهم الكفرية، وروايته عن هذا الراوي الَّذي ذكره الربيع على أنه من الصنف الآخر أي من الذين لا يعلم فيهم الشافعي تلك المقالات الكفرية، وبهذا يتفق كلام الشافعي في التكفير وروايته عن بعضهم لأنه من المعروف بين أهل الأهواء أن بعضهم لا يعتقد جميع مقالات طائفته إنما يعتقد بعضها وينتسب إليهم. وقد ذكر أبو حامد الشافعيّ كفر القدرية كما حكاه صاحب البيان العمراني اليمني.

تنزيه الله عن الصورة وتأويل ما ورد في ذلك

يقول الحافظ أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) في كتابه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) ما نصه: «**باب ذكر الأحاديث التي سمّوها أخبار الصفات**: اعلم أن للأحاديث دقائق وءافات لا يعرفها إلا العلماء الفقهاء، تارة في نظمها وتارة في كشف معناها وسنوضح بعض ذلك إن شاء الله تعالى.

الحديث الأول: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله ءادم على صورته».

قلت: للناس في هذا مذهبان، أحدهما: السكوت عن تفسيره.

الثاني: الكلام في معناه واختلف أرباب هذا المذهب في الهاء على من تعود، على ثلاثة أقوال، أحدها: تعود على بعض بني ءادم، وذلك أن النبي ﷺ مرّ برجل يضرب رجلا وهو يقول (قبّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك) فقال: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه فإن الله تعالى خلق ءادم على صورته»، قالوا: وإنما اقتصر بعض الرواة على بعض الحديث، فيحتمل المقتصر على المفسر، قالوا: فوجه من أشبه وجهك يتضمن سبّ الأنبياء والمؤمنين وإنما خص ءادم بالذكر لأنه هو الذي ابتدأت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتذي عليها من بعده، وكأنه نبه على أنك سببت ءادم وأنت من أولاده وذلك مبالغة في زجره، هذا تكون الهاء كناية عن المضروب، ومن

الخطأ الفاحش ترجع إلى الله عز وجل في قوله وجه من أشبه وجهك، فإنه إذا نسب إليه سبحانه وتعالى كان تشبيها صريحا.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه فإن الله تعالى خلق ءادم على صورته.

القول الثاني: أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين فلا يصح أن يضاف إلى الله عز وجل لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة فعادت إلى ءادم ومعنى الحديث أن الله خلق ءادم على صورته التي خلقه عليها تاما لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه وهذا مذهب أبي سليمان الخطابي وقد ذكره ثعلب في أماليه.

القول الثالث: انها تعود إلى الله تعالى وفي معنى ذلك قولان، أحدهما: أن تكون صورة ملك لأنها فعله وخلقه مِلْكٍ لأنها فعله وخلقه فتكون اضافتها اليه من وجهين، أحدهما التشريف بالإضافة كقوله تعالى (وطهِّر بيتي للطائفين)، والثاني لأنه ابتدعها على غير مثال سابق.

وقد روي هذا الحديث من طريق ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقبّح الوجه فإن ءادم خُلِقَ على صورة الرحمٰن».

قلت: هذا الحديث فيه ثلاث علل، أحدها أن الثوري والأعمش اختلفا فيه، فأرسله الثوري، ورفعه الأعمش، والثاني أن الأعمش كان يدلس فلم يعلم أنه سمعه من حبيب ابن أبي ثابت، والثالثة أن حبيبا كان يدلس فلم يعلم أنه سمعه من عطاء.

قلت: وهذه أدلة توجب وَهنًا في الحديث ثم هو يحول على إضافة الصورة اليه ملكا.

والقول الثاني ان تكون الصورة بمعنى الصفة. تقول هذا صورة هذا الأمر أي صفته، ويكون المعنى خلق ءادم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام فميّزه بذلك على جميع البهائم، ثم ميّزه على الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له: وإن صورة هاهنا معنوية لا صورة تخاطيط، وقد ذهب ابو محمد بن قتيبة في هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال لله صورة لا كالصور فخلق ءادم عليها، وهذا تخليط وتهافت لأن معنى كلامه أن صورة ءادم كصورة الحق.

وقال القاضي أبو يعلى (يعني المجسم): يطلق على الحق تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته.

قلت: وهذا تخليط لأن الذات بمعنى الشيء وأما الصورة فهي هيئة وتخاطيط وتأليف وتفتقر إلى مصوّر ومؤلف وقول القائل لا كالصور نقض لما قاله، وصار بمثابة من يقول جسم لا كالأجسام، فإن الجسم ما كان مؤلفا فإذا قال لا كالأجسام نقض ما قال.

الحديث الثاني: روى عبد الرحمٰن بن عائش رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد، قلت: أنت أعلم يا رب، فوضع كفّه بين كتفي حتى وجدت بردَها بين ثدييّ فعلمت ما في السموات والأرض».

قال أحمد رضي الله عنه: أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة يرويه معاذ عن رسول الله ﷺ وكل أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح، ورواه قتادة عن أنس واختلف على قتادة

فرواة يوسف بن عطية عن قتادة و وهِم فيه، ورواه هشام عن قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس ووهِم في قوله عن ابن عباس وإنما رواه خالد عن عبد الرحمٰن بن عائش وعبد الرحمٰن لم يسمعه من رسول الله ﷺ وإنما رواه عن مالك بن يُخامر عن معاذ.

قلت: قد ذكرنا أنه لا يصح - (قال الذهبي في السير ج١٠ ص١١٣ - ١١٤: وهو بتمامه في تأليف البيهقي وهو خبر منكر نسأل الله السلامة في الدين) - وقال أبو بكر البيهقي: فقد روي من أوجه كلها ضعيفة وأحسن طرقه تدل على أن ذلك كان في النوم.

وقد روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني ءات في أحسن صورة فقال: فبم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: لا أدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه»**.

وروي من حديث ثوبان قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال: «إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى، قلت: لا أدري يا رب فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض».

وروي عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ أنه قال: «لما كنت ليلة أسري بي رأيت ربي في أحسن صورة».

قلت: وهذه أحاديث مختلفة وليس فيها ما يثبت وفي بعضها أتاني ءاتٍ وذلك يرفع الإشكال، وإن قلنا إنه رءاه في اليقظة فالصورة إن قلنا ترجع إلى الله تعالى فالمعنى رأيته على أحسن

صفاته من الإقبال عليّ والرضى عني وإن قلنا ترجع إلى رسول الله ﷺ فالمعنى رأيته وانا على أحسن صورة.

والعجب مع اضطراب هذه الأحاديث وكون مثلها لا يثبت به حكم في الوضوء كيف يحتجون بها في أصل الدين.

وروى ابن حامد (يعني المجسم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أن قال: «ولما أسري بي رأيت الرحمٰن تعالى في صورة شاب أمرد له نور يتلألأ وقد نهيت عن وصفه لكم فسألت ربي أن يكرمني برؤيته وإذا هو كأنه عروس حين كشف عن حجابه مستو على عرشه».

قلت: هذا الحديث كذب قبيح ما روي قط لا في صحيح ولا في كذب فأبعد الله من عمله فقد كنا نقول ذلك في المنام (الرسول عليه الصلاة والسلام يستحيل أن يرى ربه في المنام على شكل هذا، لا يجوز على الأنبياء، يمنع هذا حديث تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا، فالقلوب التي لا تنام يستحيل عليها أن ترى خالقها على شكل) _ فذكر هذا في ليلة الإسراء كافأهم الله وجزاهم النار يشبهون الله سبحانه بعروس، لا يقول هذا مسلم.

وأما ذكر البرد في الحديث الماضي فإن البرد عرض لا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى وقد ذكر القاضي أبو يعلى (يعني المجسم) في كتابه «الكفاية» عن أحمد: «ورأيت ربي في أحسن صور أي في أحسن موضع».

الحديث الثالث: روت أم طفيل امرأة أبيّ بن كعب رضي الله عنهما أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه عز وجل في المنام في أحسن صورة شابا موقرا رجلاه في خضرة عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش ذهب».

قلت: هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد بن معاوية المروزي، قال ابن عدي: كان يضع الأحاديث. وقال يحي بن معين: ليس نعيم بشيء في الحديث. - (قال في اللسان ج٤ ص٢٦٨ و٢٧٠: قال النسائي هو ضعيف قد كثر تفرده عن الأئمة فصار في حد من لا يحتج به. وقال الأزدي: كان نعيم ممن يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات مزورة في ثلت النعمان كلها كذب) - وفي اسناده مروان بن عثمان بن عمارة ابن عامر - (قال في لسان الميزان ج٤ ص٢٧٨: عمارة بن عمير عن أم طفيل بحديث الرؤية لا يعرف ذكره البخاري في الضعفاء. وفي ثقات ابن حبان: عمارة بن عامر عن أم طفيل فذكر حديث الرؤية وقال: منكر) - قال أبو عبد الرحمٰن النسائي: ومَن مروان حتى يصدّق على الله عز وجل. (ذكره في ميزان الاعتدال قال الذهبي: وقاله النسائي في حديث أم الطفيل) - وقال مهنا بن يحي: «سألت أحمد عن هذا الحديث فأعرض بوجهه وقال: هذا حديث منكر مجهول يعني مروان بن عثمان قال ولا يعرف أيضا عمارة».

وقد روى عبيد الله بن أبي سلمة قال: بعث ابن عمر إلى عبد الله بن عباس يسأله هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه: نعم قد رءاه، فرد الرسول إليه: كيف رءاه؟ قال: رءاه على كرسي من ذهب يحمله أربعة من الملائكة في صورة رجل».

قلت: وهذا الحديث تفرد به ابن اسحاق وكذبه جماعة من العلماء. (قال مالك عنه: دجال من الدجاجلة كذاب. ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء ج٤ ص٢٤).

وفي رواية عن ابن عباس: رءاه كأن قدميه على خضرة دونخ ستر من لؤلؤ.

قلت: وهذا يرويه إبراهيم بن الحكم بن أبان وقد ضعفه يحي بن معين وغيره. (قال في الميزان ج١ ص٢٧: قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث).

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي أجعد أمرد عليه حلة خضراء».

قلت: وهذا يُروى من طريق حماد بن سلمة وكان ابن أبي العوجاء الزنديق ربيب حماد يدُس في كتبه هذه الأحاديث. (قال الذهبي في الميزان ج١ ص٥٩٠ في ترجمة حماد بن سلمة: كان ثقة وكان له أوهام، وقال عنه: تحايده البخاري. وقال: كذلك بعد ان ذكر الرواية التي ساقها ابن الجوزي وأمثالهما: فهذا من أنكر ما أتى به حماد بن سلمة).

ومثل هذه الأحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن أن يحتج بمثلها في الوضوء، وقد أثبت بها القاضي أبو يعلى (يعني المجسم) لله تعالى صفات فقال: قوله شاب و امرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج، وقال: ثبت ذلك تسمية لا يعقل معناها وليس في اثباتها أكثر من تقريب المحدث من القديم وذلك جائز كما روي يدني عبده إليه - (في فتح الباري ج١٣ ص٤٧٧ قال الحافظ: «قوله في الحديث يدنو أحدكم من ربه، يقرب من رحمته وهو سائغ في اللغة يقال فلان قريب من فلان ويراد الرتبة ومثله إن رحمة الله قريب من المحسنين».) - يعني يقربه إلى ذاته.

قلت: ومن يثبت بالمنام وبما لا يصح نقله صفات، وقد عرفنا معنى الشاب والأمرد ما هو، ثم يقول ما هو كما نعلم كمن يقول قام فلان وما هو قائم وقعد وليس بقاعد. (قال

الإمام الحافظ مرتضى الزبيدي شارح القاموس في شرح الإحياء ج٢ ص١٠٧ ما نصه: «ومن أطلق على الله القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئا لم تشهد له به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره». فلا ينفعهم بعد التصريح بالتجسيم قول بلا كيف).

قال ابن عقيل: هذا الحديث مقطوع بأنه كذب.

ثم لا تنفع ثقة الرواة إذا كان المتن مستحيلا، وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جمل البزاز دخل في خرم إبرة الخياط فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم.

الحديث الرابع: روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: انتهيت ليلة أسري بي إلى السماء فرأيت ربي فرأيت كل شيء من ربي حتى لقد رأيت تاجا مخوصا من لؤلؤ».

قلت: هذا يرويه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن اليسع عن القاسم بن إبراهيم.

قال الأزهري: كنت أقعد مع ابن اليسع فيقول قد ختمت الختمة منذ قعدت وقاسم ليس بشيء.

قال الدراقطني: كذاب

قلت: كافأ الله من عمل مثل هذا الحديث.

انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي من كتابه

خاتمة مهمة

وبعد كل هذه النقول من علماء الأمة الإسلامية من أهل المذاهب الأربعة المعتبرة ومن أشاعرة وماتريدية ومن السلف والخلف يتبين لكل ذي لبٍّ وعقل أن إجماع الأمة على أن الله تعالى لا شبيه له بوجه من الوجوه وأنه منزه عن الكيفية وما كان من صفاتها وأن ما ورد في القرءان والأحاديث الثابتة من أخبار متشابهة لا يجوز حملها على الظاهر بل يجب أن تصرف عن ظاهرها كما قال ابن بطّال في شرحه على البخاري، وأن الوهابية ليسوا من أهل السنة والجماعة ولم يلتزموا حتى بما قاله الإمام أحمد بل خالفوه في الأصول والفروع، لكنهم يكذبون على الناس ويقولون: «نحن السلفية»، وإذا أحرجوا قالوا: «نحن حنابلة»، لكن في الواقع هم ليسوا على مذهب معتبر ولا طريق سوي، فهذا «القنوجي» الهندي الذي هو منهم يقول في كتابه المسمى «الدين الخالص» ما نصه: «تقليد المذاهب من الشرك»، وقال داعيتهم عبد الكريم الحاج في كتابه المسمى «إحكام الدين الحنيف من التحريف»: «من دعا إلى مذهب معين من المذاهب الأربعة يستتاب وإلا ضربت عنقه»، فانظروا الى هذه الصفاقة والحماقة من هذا الوهابي الذي يدعو الى تكفير وقتل أهل المذاهب الأربعة في الدنيا، وقال الوهابي العنيد المدعو المعصومي الخجندي في كتابه المسمى «هل المسلم ملزم باتباع مهذب معين من المذاهب الأربعة؟» ما نصه: «وليس على المسلم أن يلتزم مذهبا من المذاهب الأربعة بل من التزم واحدا منها بعينه في كل مسئلة

فهو متعصب مخطئ مقلد تقليدا أعمى وهو ممن فرقوا دينهم وصاروا شيعا» ثم استدل على زعمه بقوله تعالى «ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون»، وهكذا رأيت بعينك كيف أن الوهابية تكفر الأمة بأسرها وتجعلهم من المشركين الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا.

وإياك أن تصدق ما يشيعه الجهال من أن ابن تيمية «شيخ الإسلام» بل هو «شيخ المجسمة والمشبهة» فلا تتأثر بما تجده في كتبه أو كتب ابن قيم الجوزية أو كتب الذهبي ولا سيما كتابه المسمى «العرش» أو كتب ابن كثير أو كتب ابن عبد البر ولا سيما كتابه التمهيد أو المشبه المجسم عثمان بن سعيد الدارمي ولا سيما كتابه المسمى الرد على بشر المريسي أو اسماعيل الهروي الذي تسميه المجسمة شيخ الإسلام أو كتب محمد بن عبد الوهاب أو كتب محمد ناصر الدين الألباني أو كتب ابن عثيمين أو ابن باز أو الوهابية الثلاثة من آل فوزان أو محمد جميل زينو الحلبي أو محمد حامد الفقي أو خليل هرّاس أو عبد الرحمٰن دمشقية أو عبد العزيز آل الشيخ أو محمد حسّان أو أبو اسحاق الحويني أو محمد هداية أو عبد الهادي حسن وهبي ولا سيما كتابه المسمى «غاية البيان في أدلة علو الرحمن» وكتب محمد صديق حسن خان القنوجي ولا سيما كتابه المسمى «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» وكل من تفرع أو كان من أفراخهم، من نسبتهم الجلوس أو القعود إلى الله تعالى أو أنه بذاته على العرش أو بذاته في السماء أو أنه حقيقة على العرش أو له يد جارحة أو عين جارحة أو وجه جارحة، فإن ذلك كله معارض لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع أمته ﷺ.

ولا تغرنك كثرة هذه الأسماء فإنهم كلهم على عقيدة مستحدثة خلاف عقيدة الإسلام، وفي المعنى كلهم وكل ما يتفرع عنهم هم كواحد شاذ منحرف خرق الإجماع وترك القرءان.

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «من شذَّ شذ إلى النار»، وفي رواية: «شذَّ في النار».

فالتحذير من هؤلاء ومن أمثالهم واجب شرعا وليس غيبة محرمة فهؤلاء أضروا وأضلوا وأفسدوا كثيرا بانتشار كتبهم المخالفة لعقيدة النبي والسلف والخلف بسبب كثرة أموالهم، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

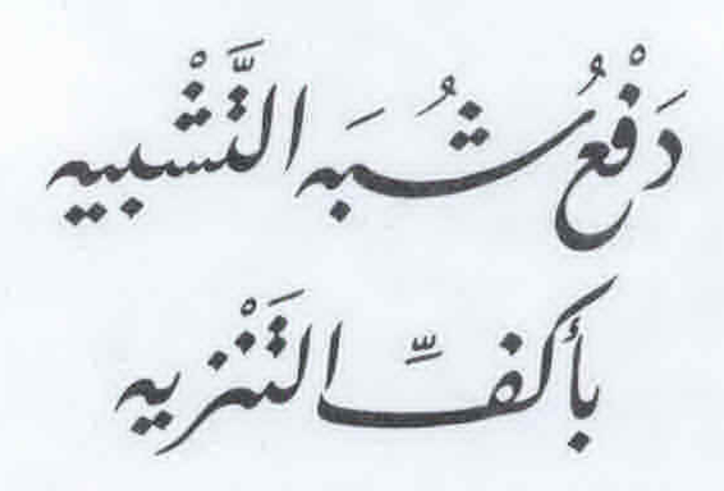
روى الحافظ السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه أنه قال: **«المجسم كافر»**، وروى ابن الرفعة الشافعي في كتابه كفاية النبيه شرح التنبيه وابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي عن القاضي حسين عن نص الإمام الشافعي رضي الله عنه: **«من اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر»**.

فاعرف هذه الحقيقة يا طالب العلم ويا من يسأل مسترشدا ليعرف الحق وأهله ولا يجوز شرعا تسمية الوهابية بالسلفية، لأنهم بهذا الاسم يوهمون الجهال أنهم على عقيدة الصحابة والتابعين ليغطوا ضلالهم وفسادهم وشذوذهم وانحرافهم، فحرام تسميتهم بالسلفية إنما هم وهابية أو تيمية نسبة لابن تيمية وليسوا من السلفية في شيء، لا زمانا ولا معتقدا، هذا هو الحق الذي لا يصح غيره والله الموفق إلى سبيل الرشاد وهو يهدي إلى الصواب وهو سبحانه من وراء القصد وهو حسبنا

ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين.

الشيخ عماد الدين جميل حليم الحسيني
الأشعري الشافعي
رئيس جمعية المشايخ الصوفية

وكان الفراغ من هذه الرسالة التي أرجو الله تعالى أن يجعل فيها النفع العميم والخير العظيم في ٨ المحرم ١٤٣٢ للهجرة المباركة في المكتبة الأشعرية العبدرية بيروت.



تأليف الإمام الحافظ
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ

حققه وقدم له
حسن السقاف

دار الإمام النووي

الحديث الخامس

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال:

«يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتّبعه، فيتبعون ما كانوا يعبدون، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي كانوا يعرفون فيقول: أنا ربكم.

فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا. . ؟»(٨٧).

---

(٨٧) رواه البخاري (فتح ٢/٢٩٣ و ١١/٤٤٥) من حديث أبي هريرة. و(فتح ٨/٢٤٩ - ٢٥٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (١/١٦٤ برقم ٢٩٩) من حديث أبي هريرة و (١/١٩٨ برقم ٣٠٢) من حديث أبي سعيد، وأحمد في المسند (٣/١٧) والترمذي في سننه (٤/٦٩١ برقم ٢٥٥٧ شاكر).

وهذا الحديث شاذ عندنا بمرة. لأنَّ فيه إشكالات تعارض القرآن والسنة الصحيحة المتواترة والمشهورة وغيرها والقواعد الثابتة في الكتاب والسنة، وقد ذكرت له ستة عشر إشكالاً في كتابي: «الأدلة المقومة لاعوجاجات المجسمة» أذكر بعضها:

(١) فيه أنَّ الله يُتَشَكَّل فيأتي أحياناً بصورته الحقيقية المزعومة وأحياناً بغير صورته!!

(٢) فيه إثبات الصورة لله تعالى وذلك محال.

(٣) فيه أن المنافقين يرون الله تعالى، وهذا معارض لقوله سبحانه: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾.

(٤) فيه أنهم يرونه سبحانه في أرض المحشر مع أنَّ الأحاديث الصحيحة تثبت

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي - ﷺ - أنه قال: «فيأتيهم الجبار في غير الصورة التي رأوه فيها أوّل مرة.

فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقال: هل بينكم وبينه آية تعرفونها...؟

فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه(٨٨) فيسجد له كل

أن الرؤيا هي الزيادة الواردة في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وذلك يتم لهم في الجنة. وفي هذا الحديث أنّ الرؤيا قبل الصراط وهذا باطل بلاشك.

(٥) إن لفظ الصورة لم يثبت في جميع روايات الصحيحين، ففي رواية البخاري في الأذان (فتح ٢/٢٩٣): ليس فيها ذكر للصورة البتة.

(٦) أين رأوه سبحانه قبل ذلك حتى يصح ما ورد في هذا الحديث قوله: «فيأتيهم بغير الصورة التي يعرفون»؟!!

وقد أبدع الإمام المحّدث الكوثري وأجاد وأفاد عندما قال ملخصاً الأمر في هذا الحديث في تعليقه على كتاب «الاسماء والصفات» ص (٢٩٢) حيث قال: «اضطربت الروايات في ذكر الصورة والإتيان كما يظهر من استعراض طرق هذا الحديث ومتونه في الصحيحين وجامع الترمذي، وتوحيد ابن خزيمة وسنن الدارمي وغيرها، ولم يسبق أن عرفوه على صورة، فعُلِمَ أنّه قد فعلت الرواية بالمعنى في الحديث ما فعلت، على أنّ المنافقين محجوبون عن ربهم يوم القيامة، فيكون هذا الحديث مخالفاً لنص القرآن، إلا عند مَنْ يؤوّله تأويلاً بعيدا، فالقول الفصل هنا هو الإعراض عن ألفاظٍ انفرد بها هذا الراوي، أو ذاك الراوي، باختلافهم فيها، والأخذ بالقدر المشترك من المعنى الذي اتفقوا عليه، فلعلّك لا تجد في ذلك ما يوقعك في ريبةٍ أو شبهة.. ويقول ابن العربي في عارضة الأحوذي: إن الناس في هذه الحال لا يرونه سبحانه في قول العلماء، وإنما محل الرؤية الجنة.. باجماع العلماء...» اهـ.

(٨٨) وقع في موضع في البخاري (فتح ٨/٦٦٤) بهذا اللفظ [ساقه] وهي رواية شاذة غير محفوظة كما قدّمنا عند قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ وقد ردّ هذه اللفظة الحافظ الاسماعيلي كما نقله عنه الحافظ في الفتح (٨/٦٦٤) وأقرّه، فتنبّه.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي - ﷺ - أنه قال: «فيأتيهم الجبار في غير الصورة التي رأوه فيها أوّل مرة.

فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقال: هل بينكم وبينه آية تعرفونها...؟

فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه(٨٨) فيسجد له كل

أن الرؤيا هي الزيادة الواردة في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وذلك يتم لهم في الجنة. وفي هذا الحديث أنَّ الرؤيا قبل الصراط وهذا باطل بلاشك.

(٥) إن لفظ الصورة لم يثبت في جميع روايات الصحيحين، ففي رواية البخاري في الأذان (فتح ٢/٢٩٣): ليس فيها ذكر للصورة البتة.

(٦) أين رأوه سبحانه قبل ذلك حتى يصح ما ورد في هذا الحديث قوله: «فيأتيهم بغير الصورة التي يعرفون»؟!!

وقد أبدع الإمام المحّدث الكوثري وأجاد وأفاد عندما قال ملخصاً الأمر في هذا الحديث في تعليقه على كتاب «الاسماء والصفات» ص (٢٩٢) حيث قال: «اضطربت الروايات في ذكر الصورة والإتيان كما يظهر من استعراض طرق هذا الحديث ومتونه في الصحيحين وجامع الترمذي، وتوحيد ابن خزيمة وسنن الدارمي وغيرها، ولم يسبق أن عرفوه على صورة، فعُلِمَ أنّه قد فعلت الرواية بالمعنى في الحديث ما فعلت، على أنَّ المنافقين محجوبون عن ربهم يوم القيامة، فيكون هذا الحديث مخالفاً لنص القرآن، إلا عند مَنْ يؤوّله تأويلاً بعيدا، فالقول الفصل هنا هو الإعراض عن ألفاظٍ انفرد بها هذا الراوي، أو ذاك الراوي، باختلافهم فيها، والأخذ بالقدر المشترك من المعنى الذي اتفقوا عليه، فلعلّك لا تجد في ذلك ما يوقعك في ريبةٍ أو شبهة.. ويقول ابن العربي في عارضة الأحوذي: إن الناس في هذه الحال لا يرونه سبحانه في قول العلماء، وإنما محل الرؤية الجنة.. باجماع العلماء...» اهـ.

(٨٨) وقع في موضع في البخاري (فتح ٨/٦٦٤) بهذا اللفظ [ساقه] وهي رواية شاذة غير محفوظة كما قدّمنا عند قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ وقد ردّ هذه اللفظة الحافظ الاسماعيلي كما نقله عنه الحافظ في الفتح (٨/٦٦٤) وأقرّه، فتنّبه.

مؤمن. . .».

قلت: إعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى، لا تجوز عليه الصورة التي هي هيئة وتأليف(٨٩).

قال أبوسليمان الخطّابي: معنى «فيأتيهم الله» أي يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً كما كانوا عرفوه في الدنيا استدلالاً فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه بمنزلة إتيان الآتي ولم يكن شوهد من قبل.

وأما الصورة فتتأول على وجهين أحدهما: أنها بمعنى الصفة، يقال صورة الأمر كذا.

والثاني: أن المذكورات من المعبودات في أول الحديث صور ىخرج الكلام على نوعين من المطابقة، وقوله «في غير الصورةالتي رأوه فيها» دليل على أن المراد بالصورة الصفة لأنهم ما رأوه قبلها فعُلِمَ أن المراد الصفة التي عرفوه فيها.

وقال غيره من العلماء يأتيهم بأهوال القيامة، وصور الملائكة،ممّا لم يعهدوا مثله في الدنيا، فيستعيذون من تلك الحال، ويقولون: إذا جاء ربنا عرفناه، أي أتى بما يعرفونه من لطفه، وهي الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق: أي عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة، فيسجدون شكراً، وقال بعضهم: صورة يمتحن إيمانهم بها، كما يبعث الدجال فيقولون: نعوذ بالله منك.

---

(٨٩) وقال ابن بطّال كما في الفتح (١٣/٤٢٧):
«تمسّك بهذا الحديث المجسمة فأثبتوا لله صورة ولا حجة لهم فيه. . .» اهـ.

وفي حديث أبي موسى عن رسول الله - ﷺ -:

« أن الناس يقولون: إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا فيقال: أَوَتعرفونه إذا رأيتموه . . . ؟

فيقولون: نعم.

فيقال: كيف تعرفونه ولم تروه . . . ؟

فيقولون: إنه لا شبيه له، فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون سجداً»*.

قال ابن عقيل: الصورة على الحقيقة تقع على الأشكال والتخاطيط، وذلك من صفات الأجسام، والذي صرفنا عن كونه جسماً. الأدلة القطعية كقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى: ١١.

ومن الأدلة العقلية: أنه لو كان جسماً لكان صورة وعَرَضاً، ولو كان حاملاً الأعراض، جاز عليه ما يجوز على الأجسام، وافتقر إلى صانع، ولو كان جسماً مع قِدَمِهِ، جاز قِدَمُ أحدنا، فأحوجتنا الأدلة إلى تأويل صورة تليق أضافتها إليه، وما ذاك إلا الحال الذي يوقع عليه أهل اللغة اسم صورة فيقولون كيف صورتك مع فلان؟ وفلان . . . على صورة من الفقر. والحال التي أنكروها الغضب، والتي يعرفونها اللطف. فيكشف عن الشدة، والتغيرات أَلْيَقُ بفعله، فأما ذاته فتعالى عن التغيّر نعوذ بالله أن يُحْمل الحديث على ما قالته المجسمة إن الصورة ترجع إلى ذاته، فإن في ذلك تجويز التغيّر على صفاته. فخرّجوه في صورةٍ إن كانت حقيقية، فذلك استحالة. وإن كانت تخيلاً فليس ذلك هو، إنما يريهم غيره.

* لم اقف عليه للآن من حديث أبي موسى بهذا اللفظ كما تقدم ص (١٢٠) في التعليق رقم (*) ونحو من حديث أبي موسى في مسند الإمام أحمد (٤/٤٠٧).

الحديث السادس

روى مسلم في صحيحه (١١٣٦/٢ برقم ١٧) من حديث المغيرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا شخصَ أغْيَرُ من الله، ولا شخص أحبُّ إليه العُذرُ من الله، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله»(٩٠).

قلت: لفظةُ «الشخصِ» يرويها بعض الرواة، ويروي بعضهم «لا شيء أغير من الله»..

والرواة يروون بما يظنون به المعنى فيكون لفظ شخص من تغيير الرواة، والشخص لا يكون إلا جسماً مؤلفاً، وسمي شخصاً لأنَّ له شخوصاً وارتفاعاً والصواب أنه يرجع ذكر الشخص إلى المخلوقين لا أن الخالق يقال له شخص، ويكون المعنى: «ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله»، لأنه لما اجتمع الكل بالذكر، سمى بأسمائهم. ومثل هذا قول ابن مسعود: «ما خلق الله من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسي»(٩١).

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: الخلق يرجع إلى

(٩٠) وذكره البخاري في صحيحه معلّقاً (الفتح ٣٩٩/١٣) وعقد عليه باباً في التوحيد هناك. وقد ورد هذا الحديث أيضاً بلفظ: «لا أحد...» بدل لا شخص انظر البخاري (الفتح ٢٩٦/٨) حيث ورد هناك حديث بلفظ: «لا أحدَ أغْيَرُ من الله ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله...» وارجع الى شرح الحديث في الفتح، وفي كتاب المحدّث أبي الفضل الغماري: «فتح المعين» ص (٢٤ ـ ٢٥).

(٩١) ذكره الترمذي في سننه (١٦١/٥) وانظر «سير أعلام النبلاء» (٥٧٨/١٠).



الحافظ أبي بكر بن فورك

المتوفى سنة ٤٠٦ هـ

تحقيق وتعليق

موسى محمد علي

عالم الكتب

ذكر خبر آخر مما ذكر فيه الصورة

وهو من الأخبار التي ذكرت في الصحاح رفع الحديث إلى أن قال :

فيأتيهم في صورة غير الصورة التي يعرفونها ، فيقول :

أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا ، حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه :

قال فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : أنت ربنا فيأتونه .

وفي بعض الفاظ هذا الخبر أنه يقول لهم : أو تعرفونه إذا رأيتموه .

فيقولون : نعم .

فيقول : وبماذا تعرفونه ؟

فيقولون بيننا وبينه علامة إذا رأيناه عرفناه .

هذا الخبر مشهور وفيه طول وقصة ، ذكرنا منه ما يحتاج الى تأويل ، وتأويل ذلك وتخريجه يحتمل وجودها :

أحدها : أن تكون في ها هنا بمعنى الباء ، كما روينا عن ابن عباس في قوله عز وجل :

﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾[1] .

(١) البقرة آية ٢١٠ والذي رواه المصنف عن ابن عباس هو ما أخرجه ابن جرير والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال :

وإذا كان سائغاً في اللغة إبدال الباء بفي ، وفي بالباء ، لم ينكر أن يكون معنى في ها هنا معنى الباء .

وقد يسوغ ايضاً في الكلام ، ولا فرق فيه بين أن يقول الحركة في المتحرك ، والحركة بالمتحرك ، وإذا كان معنى الباء اعم ، فتقديره على هذا التخريج والتأويل :

أن الله عز وجل يأتيهم يوم القيامة بصورة غير صورته التي يعرفونها في الدنيا ، وتكون الإضافة في الصورة إليه من طريق الملك والتدبير ، كما يقال سماء الله ، وأرضه وبيت الله وناقته ، على وجهة الملك والفعل ، لا على الوجه الذي لا يليق به ، فيكون المعنى في ذلك : أن الخلق عرفوا الله سبحانه وتعالى بدلالاته ، المنصوبة ، وآياته التي ركبها في الصور(١) ، وهي الأعراض الدالة على حدوث الأجسام ، واقتضائها محدثا لها من حيث كانا محدثين .

وأما الإتيان به فعلى معنى ظهور فعله لها منه ، وهو معنى قوله تعالى :

﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾(٢) .

« إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفا بالملائكة ، وذلك قوله « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » اهـ الدر المنثور للسيوطي .

(١) وفي كل شيء له آية تدل أنه الواحد .

(٢) الآية ٢٦ من سورة النحل .

ولدفع إيهام التشبيه نقول:

إن الاتيان والحركة على الله تعالى محال ، فالمراد أنهم لما كفروا وأتاهم الله تعالى بزلازل قلع بها بنيانهم من القواعد والأساس .

أو نقول : إن هذا محض التمثيل ، والمعنى أنهم رتبوا منصوبات ليمكروا بها أنبياء الله تعالى ، فجعل الله تعالى حالهم في تلك المنصوبات مثل حال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين ، فانهدم ذلك البناء ، وضعفت تلك الأساطين فسقط السقف عليهم ونظير ذلك قولهم :

(من حفر بئرا لأخيه اوقعه الله فيها) .

وقوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾(١) .

وقوله :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٢) على أحد التأويل .

أو نقول : إن المراد منه ما دل عليه الظاهر ، وهو أنه تعالى أسقط عليهم . السقف وأماتهم تحته . أنظر ما قاله الفخر الرازي .

(١) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

ولدفع الايهام نقول :

ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله تعالى محال ، لأن كل ما كان كذلك كان جسما ، والجسم يستحيل أن يكون أزليا ، فلا بد فيه من التأويل ، وهو أن هذا من باب حذف المضاف، وإقامة المضاف اليه مقامه ، ثم ذلك المضاف ما هو فيه وجوه :

أحدها : وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة .

الثاني :وجاء قهر ربك ، كما يقال : جاءتنا بنو أمية ، أي قهرهم .

الثالث :وجاء جلائل آيات ربك ، لأن هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر العظائم ، وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها له تفخيما لشأن تلك الآيات .

الرابع :وجاء ظهور ربك ، وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورية ، فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق ، فقيل : وجاء ربك ، أي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك .

الخامس : أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ، فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها .

السادس :أن الرب هو المربي ، ولعل ملكا هو أعظم الملائكة هو مرب للنبي ﷺ جاء فكان هو المراد من قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

(٢)الآية ٥ من سورة طه .

ولدفع ما ذكر من شبه حول تفسير هذه الآية نذكر ما قيل لرد هذه الشبه ، فنقول :

تعلقت المشبهة بهذه الآية ، في أن معبودهم جالس على العرش ، وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه :

أحدها : أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان ، ولما خلق الخلق لم يحتج الى مكان ، بل كان غنيا

عنه ، فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعم زاعم ، أنه لم يزل مع الله عرش .

الثاني : أن الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفا مركبا ، وكل ما كان كذلك إحتاج الى المؤلف والمركب وذلك محال .

الثالث : ان الجالس على العرش اما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة أولا يمكنه ذلك ، فإن كان الاول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثا لا محالة له ، وإن كان الثاني كان كالمربوط ، بل كان كالزمن ، بل أسوأ حالا منه ، فإن الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم .

الرابع : هو ان معبودهم : إما أن يحصل في كل مكان او في مكان دون مكان ، فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات والقاذورات ، وذلك لا يقوله عاقل ، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر الى مخصص يخصصه بذلك المكان ، فيكون محتاجاً وهو على الله محال .

الخامس : إن قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ سورة الشورى اية (١١) يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء ، فإنه يحسن ان يقال : ليس كمثله شيء الا في الجلوس ، والا في المقدار ، والا في اللون ، وصحة الاستثناء تقتضي دخول جميع هذه الامور تحته ، فلو كان جالسا لحصل من يماثله في الجلوس ، فحينئذ يبطل معنى الاية .

السادس : قول تعالى :

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ سورة الحاقة (١٧)

فإذا كانوا حاملين للعرش ، والعرش مكان معبودهم ، فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم ، وذلك غير معقول ، لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوق ، أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله .

السابع : أنه لو جاز أن يكون المستقر في المكان إلها ، فكيف يعلم أن الشمس والقمر ليس بإله لأن طريقنا الى نفي إلهية الشمس والقمر إنهما موصوفان بالحركة والسكون ، وما كان كذلك كان محدثا ولم يكن إلها ، فإذا أبطلتم هذا الطريق انسد عليكم باب القدح في إلهية الشمس والقمر .

الثامن : أن العالم كرة فالجهة التي هي فوق بالنسبة الينا هي تحت بالنسبة الى ساكني ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصا بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقا لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

التاسع : أجمعت الامة على أن قوله :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سورة الاخلاص (١) .

أما قوله : غير الصورة التي يعرفونها ، فيحتمل أن يكون المعنى في ذلك : أنه يأتيهم[١] يوم القيامة بصورة على خلاف ذلك الشكل ، وتلك الهيئة ، التي كانت الصورة عليها في الدنيا ، ما لم يعرفوه ولم يعهدوه ، ليس ذلك منكراً ، لأن عادات اهل القيامة ، وما يظهر لهم من الأهوال وعجائب الخلق من صورة الملائكة وزبانية العذاب ، وخزنة الجنان ، مما لم يعهدوا على شكلها وهيئتها في الدنيا .

وأما قوله : فيقول « أنا ر ~ ~ » فقد قال بعض اهل العلم :

إن هذا آخر محنة المؤمن ، وأنه يظهر هذا القول فعلا ، من الله عز وجل في بعض هذه الصور ، محنة للمكلفين في الدنيا ، من أهل الايمان فيظهر منهم - عن صدق توحيدهم وصحة إيمانهم - ما يكون إنكاراً لذلك ، وتكون الفائدة فيه : يعرفنا تأييد الله تعالى لأهل الايمان به في الدنيا والآخرة ، وتثبيته لهم ، كما قال عز وجل :

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾[٢] .

أي يثبتهم في الدنيا على الحق عند ظهور القول والمحن ، ويثبتهم في العقبى أيضاً في مواضع المحن[٣] .

من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان مختصا بالمكان لكان الجانب الذي منه يلي ما على يمينه غير الجانب الذي منه يلي ما على يساره ، فيكون مركبا منقسما فلا يكون أحدا في الحقيقة فيبطل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

العاشر : أن الخليل عليه السلام : قال : لا أحب الآفلين ، ولو كان المعبود جسما لكان آفلا أبداً ، غائبا أبداً ، فكان يندرج تحت قوله : لا أحب الآفلين :

فثبت بهذه الدلائل أن الاستقرار على الله تعالى محال :

أنظر كتاب : « تأسيس التقديس » والتفسير الكبير للفخر ، والكشاف للزمخشري .

(١) وفي نسخة اخرى : يأتي إليهم .

(٢) الأية ٢٧ من سورة إبراهيم .

(٣) وقال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال :

وإنما قيل للدنيا دار محنة وتكليف مطلقا ، وإن كان من نوعها قد يقع منها في العقبى ، فلا يطلق عليها أنها دار تكليف ومحنة ، بل يقال إنها دار جزاء ، لأن الغالب ذلك عليها ، وهذا كمال يقع في الدنيا جزاء ، ولا يضاف إليها ، لأنه لا يغلب عليها إذا لم يكن به[١] .

وأما قوله : « أنهم يقولون إذا جاء ربنا عرفناه » فيحتمل ان يكون معناه : مجيئاً بإظهار فعل يبديه في قلوبهم من زوائد يقين ، وعلم ، وبصر ، عندما يحدث لهم من إدراكه ومعانيه ، لأن سائر ما اضيف الى الله تعالى من إتيان ومجيء فهو لظهور نوع من تدبيره في فضل أو عدل .

وأما قوله :﴿ فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها﴾ فإن معنى الإتيان متأول على الوجه الذي مضى بيانه[٢] ، ويكون تقدير تأويله : إنه اذا ظهر لهم نوع الصور المعهودة لهم شكلا وهيئة وخلق إدراكهم به ، وخاطبهم بأن اسمعهم كلامه ،

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) لا إله إلا الله ، « وفي الأخرة » المسألة في القبر .
ثم قال قتادة : أما الحياة الدنيا : فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، « وفي الآخرة » في القبر ، أي عند سؤال الملائكة .

ولهذا ذكر العلماء كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تشهد لهذا وثبت صحته فانظرها في تفسير ابن كثير ، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ، والطبري ، وأسباب النزول للواحدي .

(١) إذا أن الدنيا دار عمل بلا جزاء في الغالب الأعم ، والآخرة دار جزاء بلا عمل في الغالب الأعم كذلك ، ولذلك كان صلوات الله وسلامه عليه يقول :
« لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر » .
وهذا من كريم فضل الله تعالى بخلقه أن جعل الدنيا دار عمل و هيأ لها الأسباب ، وجعل الآخرة دار جزاء ، ولا تكليف بعمل تخفيفا منه وتفضلا ورحمة بخلقه سبحانه وتعالى .

(٢) والذي بسطنا القول في توضيحه وتعليقنا لشرح الآيات الثلاث :
قول تعالى : ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ مما جعلنا لا نبسط القول هنا .

وأفهمهم مراده ؛ تثبتوا وأيقنوا أن المكلم لهم هو ربهم عز ذكره ، وتكون الفائدة في ذلك تعريفنا ما يفعله الله عز وجل في العقبى من ألطافه بأوليائه في عصمتهم وحراستهم ، وتثبيتهم وتأييدهم ، حتى لا يستفزهم مشاهدة تلك الأهوال العظيمة ، ولا يستخفهم امر تلك الصور المنكرة التي لم يعهدوا مثلها[1] .

وأما قوله : « إنه يقول لهم إذا رأيتموه عرفتموه ، فيقولون نعم بيننا وبينه علامة الخبر » ، فإن معنى ذلك : أنبأونا بحسن ثباتهم أولاً وآخراً ، وذلك بما وجده من فضله عز وجل في إدامة معرفتهم وبصيرتهم ، ، وإزالة قبول الخطأ والزيغ عنهم .

وأما تفسير العلامة وذكر ما بينها ، فمن[2] أهل العلم من قال :

إن تلك العلامة التي اشاروا اليها إنا نعرفه بها ، هو ما بينه وبين خلقه في الصور والأجسام من المخالفة والمباينة ، وأنه لا يشبه شيئا منها ولا يشبهه شيء منها[3] .

ومنهم من قال :

إن تلك العلامة ما معهم من المعرفة به ، وأنهم عبدوه في الدنيا من معرفة بمعبود

---

(١) كما عبر سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ . سورة الأنبياء (١٠٣)

(٢) وفي نسخة أخرى : فإن من أهل العلم .

(٣) إذ ليس كمثله شيء ، ولله المثل الأعلى ، وهذا المعنى عميق جدا في الاستدلال على معرفة الله تعالى يوم القيامة ، ذلك أنه واحد في ذاته ، وكذلك واحد في صفاته ، فحينما يتجلى على خلقه بهذه العظمة والجلال وبما يليق به سبحانه وتعالى من الهيبة والوقار يسعد كل من كتب الله له الحسنى وزيادة فيراه بما يقدر له أن يراه ، ولا يحيط بعلم رؤيته سواه أنى شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، فيرى سبحانه من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الاجسام ومن غير إحاطة كذلك ، وهذا هو أرجح الاقوال حسبما نراه .

لا يشبه شيئاً مما عرفوه ، ولا يجوز أن يشبه شيئاً ، ولا أن يشبهه شيء ، فإذا رأوا ما عرفوه بمثل هذه المعرفة ، علموا أن الذي رأوه هو الذي عرفوه .

فكون علامتهم عن الرؤية معرفتهم ، فإذا كان مرئيهم في العقبى معروفهم في الدنيا ايقنوا أنه معبودهم[1] .

وحكي عن ابن ابي عاصم النبيل ، أنه كان يقول في تأويل الحديث :

إن ذلك تغيير يقع في عيون الرائين كنحو ما يتخيل للإنسان الشيء بخلاف ما هو به فيتوهمه الشيء على الحقيقة[2] .

واعلم أنه لا بد أن يحمل هذا الحديث على نوع مما قلنا ، لإستحالة أن يكون الله تعالى ذكره على صور كثيرة ، يجهلونه مرة ويعرفونه مرة ، أو يكون ممن يحل الصور ، فتنتقل الصورة لإستحالة أن يكون الله عز وجل حالاً ومحلاً صورة أو مصوراً ، وإنما إتيانه بالصورة بعد الصورة من طريق الفعل كما يحدث الشيء بعد الشيء ، ويغير الجسم من حال إلى حال بإحداث تغيير .

وإضافة الصورة إليه في هذه الأحاديث ، فهي بمعنى الملك والفعل ، لا بمعنى التصور بالشيء من الصور ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لأن الهيئة والصورة والتركيب والتأليف ، كل ذلك إنما يصح على الأجسام المحدودة ، والجواهر

---

(١) وهذا القول لا يسلم به من يقول إن الكافر يرى ربه يوم القيامة ، ثم يحجب عنه ، ليزداد لوعة وحسرة ، واستدل على ذلك بقوله سبحانه :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ سورة المطففين الاية (١٥) . وقال :

إن حجب الكافر عن رؤية الله ، بعد أن يراه تكون أشد في التحسر وأقسى في اللوعة وهذا من نوع العذاب والجزاء الذي أعده الله لمن كفر به وخرج عن طاعته .

(٢) يؤيد هذا القول ، من يقول حينما سئل كيف رأيت ربك ؟ ـ فقال :

« إنعكس بصري في بصيرتي ، فصرت كلي بصرا ، فرأيت من ليس كمثله شيء » .

المخلوقة ، وتعاقب الحوادث ، وتغير ما تقوم به فيها ، علامة حدث ما تقوم به .

ويحتمل أيضاً وجهاً آخر ، وهو أن الصورة ها هنا بمعنى الصفة ، فيكون تقدير المعنى فيه ما يظهر لهم من بطشه وشدة بأسه يوم القيامة(١) ، وإظهار معايب الخلق ومساويهم ، وفضائحهم ، وإنما عرفوه ساتراً حليماً ، غفاراً كريماً ، فيظهر لهم منها أن ذلك منه ، وهو معنى قوله : « فيقول : أنا ربكم » على معنى قول القائل : قالت رجلي فخذك وأذني فطنت ، على معنى ظهور ذلك فيها ، فيقولون عند ظهور ذلك منه مستعيذين بالله :

هذا مكاننا ، أي نلبث ونصبر حتى تظهر رحمته وكرمه ، وهو إتيان الرب لهم بإظهار جوده لهم ، وعطفه عليهم ، فيأتيهم بعد ذلك عند ثباتهم وفي الصورة التي يعرفونها ، على معنى إبداء عفوه ومغفرته ، وحلمه ، على الصفة التي يعرفونه في الدنيا من ستره ومغفرته وحلمه .

وإذا كان لفظ الصورة مستعملا في معنى الصفة ـ كما ذكرنا في قول القائل ـ عرفني صورة من هذا الأمر ، أي صفته ـ لم ينكر أن تكون الفائدة في هذا الخبر ، ما قلنا وأن يكون هذه الألفاظ من متشابه الفاظ الأحاديث ، جارية مجرى متشابه الفاظ اي الكتاب ، امتحانا بها اهل العلم لاستنباط الصحيح من معانيها ، والوقوف على الحد الواجب فيها وافتتان اهل الباطن بها وخروجهم عن الهدى والرشد ، والحق فيها على النحو الذي جرى عليه حكم متشابه اي الكتاب ومحكمها(٢) .

---

(١) كما تصور الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُم بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾

(٢) يقول سبحانه وتعالى :

﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

ذكر خبر آخر
في معنى ما تقدم ذكره

وهذا النمط في هذه الأحاديث ، ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً من قوله :

« لا شخص أحب للغيرة من الله سبحانه » .

وقد روي هذا الحديث على وجوه ، أثبتها عند أهل النقل ، ما روي في أنه قال :

« لا أحد أغير من الله تعالى » .

وروي أيضاً :

« لا شيء أغير من الله تعالى ، ومن غيرته حرم الفواحش »(1) .

وفي هذا الخبر مما يتأول لفظان :

أحدهما : لفظ الغيرة . والثاني : معنى الشخص .

فأما معنى الغيرة فهو الزجر والتحريم ، لأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه ، ويحظر الدنو منه ، وقد بين عقبيه بقوله : **« ومن غيرته حرم الفواحش »** أي

(1) أخرجه الامام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »

وفيما رواه أبو هريرة قال : قيل يا رسول الله أنا نغار ، قال :

« والله إني لأغار والله أغير مني ومن غيرته نهى عن الفواحش » .

زجر عنها وحظرها(١) .

وقد روي في الخبر أن بعض أزواجه ﷺ، أهدت إليه شيء في غير يومها ، فأخبرت عائشة رضي الله عنها ، بذلك فبددته ، فقال ﷺ :

« غارت أمكم » أي زجرت عن إهداء ما أنفذ .

ومنه أيضاً مما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺأنه قال :

« إن سعد بن عبادة سيدكم لغيور ، وأنا أغير منه، والله أغير مني »(٢) .

ومعنى ذلك : أنه لزجور عن المحارم ، وأنا أزجر منه ، والله أزجر من الجميع ، عما لا يحب من الأفعال .

وأن لفظ الشخص ، فغير ثابت من طريق السند ، وإن صح فالمعنى : ما بينه في الحديث الآخر ، وهو قوله : لا أحد ، واستعمل لفظ الشخص موضع أحد على أنه يحتمل أن يكون هذا من باب المستثنى من غير جنسه ، ونوعه ، وما كان من صفته ، كما قال الله تعالى :

﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾(٣) .

وليس يظن من معنى العلم بوجه ، كذلك يكون تقديره : إن الأشخاص

---

(١) يقول سبحانه :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأعراف الآية (٣٣) .

(٢) اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيها عن ابن مسعود رضي الله عنه ولفظهقال : قال سعد بن عبادة : لو رأيت مع امرأتي رجلا لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺفقال :

« اتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا اغير من سعد ، والله اغير مني ، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

(٣) الآية ١٥٧ من سورة النساء .

الموصوفة بالغيرة ، لا تبلغ غيرتها وإن تناهت غيرة الله عز وجل ، وإن لم يكن شخصاً بوجه ، وإنما منعنا من إطلاق الشخص عليه تعالى الأمور :

أحدها : أن اللفظ لم يثبت من طريق السمع .

والثاني : أن الأمة قد اجتمعت على المنع منه .

والثالث : أن معناه أن يكون أجساماً موافقة على نوع من التركيب وقد منعت الجسمية من إطلاق الشخص ، مع قولهم بالجسم ، فدل ذلك على تأكيد ما قلنا من الإجماع على منعه في صفته .

عَقِيدَةُ أَهْلِ الإِيمَانِ

فِي خَلْقِ آدمَ عَلى صُورَةِ الرَّحْمَنْ

احذروا هذا الكتاب وما فيه من نسبة الشكل والصورة إلى الله وكلّ ما فيه من عقائد الوهابية ومدح مشايخهم فهم لا يستحقون المدح لأنهم كذبوا الله وشبهوه بخلقه.

تأليف الفقير إلى الله تعالى
حمود بن عبد الله بن حمود التويجري

وهو من دعاة الوهابية المجسمة فاحذروهم

دار اللواء
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن هذه هي الطبعة الثانية لكتاب «عقيدة أهل الإيمان، في خلق آدم على صورة الرحمن» وهي تمتاز عن الطبعة الأولى بأربعة أشياء. أولها تصدير الكتاب بتقريظ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. الثاني تصحيح كثير من الإشكالات الواقعة في كلام أبي العباس ابن تيمية على نسخة أخرى خطية قد كتبت في القرن الثامن من الهجرة بعد وفاة ابن تيمية بأربع وأربعين سنة. وقد جاء في آخر هذه النسخة ما نصه فرغ منها كاتبها أبو بكر المقدسي بتاريخ العشرين من شهر جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة في القاهرة المعزية

الثالث تذييل الكتاب بجواب العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين عن حديث الصورة. وهو مع اختصاره مفيد جداً ومطابق لجواب ابن تيمية عن حديث الصورة فليراجع. الرابع ما ذكر في التعليق على جواب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين أنه قد طبع مرتين ضمن الأجوبة النجدية بأمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وعلى نفقته. وأن دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية طبعته مرتين أولاهما بأمر الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، وكانت دار الإفتاء حينذاك تحت رئاسة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ . وفي التعليق أيضاً ذكر من قرظ الأجوبة النجدية من أكابر العلماء في القرن الرابع عشر من الهجرة. فليراجع التعليق المشار إليه فإنه مهم جداً والله الموفق. ...

هؤلاء بزعمهم من أكابر العلماء

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم : ٢٨٠/خ
التاريخ : ٢٠/٢/١٤٠٨هـ
المرفقات :

الموضوع

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد .

فقد اطلعت على ما كتبه صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري فيما ورد من الأحاديث في خلق آدم على صورة الرحمن وسمى مؤلفه في ذلك ((عقيدة اهل الايمان في خلق آدم على صورة الرحمن)) فألفيته كتابا قيما كثير الفائده قد ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامه على صورته وقد اجاد وأفاد واوضح ما هو الحق في هذه المسأله وهو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود الى الله عز وجل وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر ان الله خلق آدم على صورة الرحمن وقد صححه الامام احمد واسحاق بن راهويه والآجري وشيخ الاسلام ابن تيميه وآخرون من الأئمة رحمة الله عليهم جميعا وقد بين كثير من الأئمة خطأ الامام ابن خزيمه رحمه الله في إنكار عود الضمير الى الله سبحانه في حديث ابن عمر والصواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضمير الى الله عز وجل بلا كيف ولا تمثيل بل صورة الله سبحانه تليق به وتناسبه كسائر صفاته ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى كما قال عز وجل ((قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)) وقال عز وجل ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) وقال سبحانه ((هل تعلم له سميا)) وقال عز وجل ((فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون)) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والواجب على أهل العلم والايمان إمرار آيات الصفات واحاديثها الصحيحة كما جاءت وعدم التأويل لها بما يخالف ظاهرها كما درج على ذلك سلف الأمة وأئمتها مع الايمان بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء في صورته ولا وجهه ولا يده ولا سائر صفاته بل هو سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه في جميع صفاته لا شبيه له ولا مثل له ولا تكيف صفاته بصفات خلقه كما نص على ذلك سلف الأمة وأئمتها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واتباعهم باحسان رحمهم الله جميعا وجعلنا من اتباعهم باحسان .

انظروا كيف أنّ زعيم الوهابيّة ابن باز يمتدح كتابه هذا الّذي فيه تشبيه الله بخلقه بلا خجل

يتبع / ...

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم : ________
التاريخ : ________
المرفقات : ________

الموضوع ________

ص - ٢ -

ومن تأمل ماكتبه اخونا العلامه الشيخ حمود التويجري في هذا الكتاب وما نقله عن الائمة اتضح له ماذكرنا فجزاه الله خيرا وزاده من العلم والايمان وجعلنا واياه وسائر اخواننا من انصار السنه والقرآن انه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله واصحابه ومن اتبع قام على نهجه الى يوم الدين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

إن الله تعالى خلق آدم على صورة عنده، وهذا لا يجوز لأن الله عز وجل لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال.

قلت: وهذا القول يرجع إلى قول من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم. قال ابن قتيبة: ولما وقعت هذه التأويلات المستكرهة وكثر التنازع حمل قوماً اللجاج على أن زادوا في الحديث فقالوا: روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن» يريدون أن تكون الهاء في «صورته» لله جل وعز وأن ذلك يتبين بأن يجعلوا الرحمن مكان الهاء. ثم تكلم ابن قتيبة في رد الحديث بما لا حاصل تحته - إلى أن قال - فإن صحت رواية ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تأويل ولا تنازع فيه.

قلت: قد صحت الرواية بذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححها أحمد وإسحاق بن راهويه وسيأتي بيان صحة الحديث إن شاء الله تعالى.

قال ابن قتيبة: ولم أر في التأويلات شيئاً أقرب من الإطراد ولا أبعد من الإستكراه من تأويل بعض أهل النظر فإنه قال فيه: أراد أن الله تعالى خلق آدم في الجنة على صورته في الأرض. كأن قوماً قالوا كان من طوله في الجنة كذا ومن حليته كذا ومن نوره كذا ومن طيب رائحته كذا. لمخالفة ما يكون في الجنة ما يكون في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم» يريد في الجنة «على صورته» يعني في الدنيا.

قلت: وهذا القول يرجع إلى قول من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم. قال ابن قتيبة: ولست أحتم بهذا التأويل على هذا الحديث ولا أقضي بأنه مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لأني قرأت في التوراة: «أن الله جل وعز لما خلق السماء والأرض قال: نخلق بشراً بصورتنا فخلق آدم من أدمة الأرض ونفخ في وجهه نسمة الحياة» وهذا لا يصلح له ذلك التأويل، وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن

يكذبون على الله بكلّ وقاحة

ينسبون إلى موسى عليه السلام الجهل بالله ويفترون على الله وعلى موسى.

موسى صلى الله عليه وسلم ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجر وقال: «اشربوا يا حمير» فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: «عمدت إلى خلق من خلقي خلقتهم على صورتي فشبهتهم بالحمير» فما برح حتى عوتب، هذا معنى الحديث.

قال أبو محمد بن قتيبة والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد. انتهى كلام ابن قتيبة.

وقد رد الإمام أحمد رحمه الله تعالى على من قال: إن الضمير في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته» أي على صورة آدم ونص على أنه من أقوال الجهيمة. ذكر ذلك القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» عن أبي جعفر محمد بن علي الجرجاني المعروف بحمدان قال: سألت أبا ثور عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم على صورته» فقال على صورة آدم، وكان هذا بعد ضرب أحمد بن حنبل والمحنة، فقلت لأبي طالب: قل لأبي عبدالله فقال أبو طالب: قال لي أحمد بن حنبل صح الأمر على أبي ثور. من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي. وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه. وروى الخلال عن أبي طالب من وجهين قال: سمعت أبا عبدالله يعني أحمد بن حنبل يقول من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي. وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه. وروى الخلال أيضاً عن المروذي أنه قال: أظن أني ذكرت لأبي عبدالله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته» قال صورة الطين. قال هذا جهمي. وقال

الحديث والحكم بثبوته عن النبي ﷺ، وقد صححه أيضاً شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية والحافظ الذهبي. وقال ابن حجر رجاله ثقات. وكفى بهؤلاء الحفاظ قدوة في تصحيح الحديث، وفي تصحيح هؤلاء الأئمة النقاد له أبلغ رد على من علله بالعلل الواهية.

الوجه الثاني: أن يقال إن خلق آدم على صورة الرحمن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أربعة أحاديث تقدم ذكرها في أول الكتاب[1]، أولها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله آدم على صورته» وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه، والضمير في قوله «على صورته» عائد إلى الله تعالى كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.

وثانيها: حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وهذا نص صريح في أن الله تعالى خلق آدم على صورته. وهذا النص لا يحتمل التأويل، ومن تأوله فقد أبعد النجعة وتكلف غاية التكلف.

وثالثها: حديث أبي يونس الدوسي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإنما صورة الإنسان على صورة وجه الرحمن» وهذا نص صريح في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورة وجهه الذي هو صفة من صفات ذاته. وهذا النص لا يحتمل التأويل وفيه أبلغ رد على ابن خزيمة وعلى كل من تأول الحديث بتأويلات الجهمية المعطلة.

الله ليس كمثله شيء فهو منزّه عن الصّورة

ورابعها: حديث أبي رافع الصائغ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه

(١) ص ٦ - ٨ و ٢٠ و ٢٦ - ٢٧.

أبي مريم - يعني سعيد بن الحكم المصري - حدثنا بن لهيعة عن أبي يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن» عمر بن الخطاب السجستاني ذكره ابن حبان في الثقات وقال مستقيم الحديث وقال الحافظ ابن حجر في: «التقريب» صدوق، وأما ابن أبي مريم فهو ثقة ثبت فقيه وأما ابن لهيعة فقد ضعفه بعض الأئمة ووثقه أحمد بن صالح ووثقه أيضاً أحمد محمد شاكر وجعل روايته من قبيل الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» صدوق خلّط بعد احتراق كتبه. وحسّن ابن عدي وابن كثير والهيثمي حديثه وقد روى له مسلم وابن خزيمة مقرونا بغيره، وروى له البخاري في عدة مواضع من صحيحه مقروناً بغيره ولكنه لم يسمه. قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب». وهو ابن لهيعة لا شك فيه. وعلى هذا فأوسط الأقوال في حديثه أن يكون من قبيل الحسن.

وأما حديث أبي رافع فقد رواه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» عن محمد بن ثعلبة بن سواء حدثني عمي محمد بن سواء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه» إسناده حسن رجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثعلبة بن سواء وقد قال فيه الحافظ ابن حجر في «التقريب» صدوق. وفي كل من هذا الحديث وحديث أبي يونس شاهد قوي لحديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي تقدم ذكره.

وقد صحح الألباني إسناد حديث أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه في تعليقه على «كتاب السنة» لابن أبي عاصم، قال: ولكنه في شك من ثبوت قوله: «على صورة وجهه» فإن المحفوظ في الطرق الصحيحة «على صورته» قال: ثم إن سعيد بن أبي عروبة قد خولف في إسناده أيضاً عن قتادة فقال المثنى بن سعيد: عن قتادة عن أبي أيوب عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «على صورته» أخرجه مسلم وأحمد وابن خزيمة

قريباً ما ذكره ابن قتيبة في كتابه الذي سماه «تأويل مختلف الحديث» أنه قرأ في التوراة «أن الله جلّ وعزّ لما خلق السماء والأرض قال نخلق بشراً بصورتنا فخلق آدم من أدمة الأرض ونفخ في وجهه نسمة الحياة» وذكر أيضاً هذا النص من التوراة في أول كتابه الذي سماه «المعارف» وهذا النص من التوراة مطابق للنص الذي جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيما رواه أبو يونس الدوسي وأبو رافع الصائغ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن» وفي حديث أبي رافع «على صورة وجهه» والذي أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هو الذي أنزل الكتاب والحكمة على محمد صلى الله عليه وسلم وأمره أن يبين للناس ما نُزّل إليهم. قال الله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ وقال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى. علمه شديد القوى﴾ وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وقال تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ قال ابن قتيبة وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن موسى صلى الله عليه وسلم ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجر وقال: «اشربوا يا حمير» فأوحى الله تبارك وتعالى إليه «عمدت إلى خلق من خلقي خلقتهم على صورتي فشبهتهم بالحمير» فهذا موافق لما تقدم في حديثي ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما وفيما ذكرته من نص التوراة أبلغ رد على من تأول حديثي ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما بالتأويلات المستكرهة وعلى من عللها بالتعليلات الواهية.

وقد استشهد شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله بقول ابن عباس رضي الله عنهما الذي ذكره ابن قتيبة في رده على من علل حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي تقدم ذكره. وقرر أن ابن عباس

وسلم. ففي صحيح البخاري عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرءونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم» وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: «كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم﴾» الآية. فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستنداً فيما يذكره من صفات الرب أنه يأخذ ذلك عن أهل الكتاب فلم يبق إلا أن يكون أخذه من الصحابة الذين أخذوه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الوجوه كلها مع إنها مبطلة لقول من يعيد الضمير في قوله إلى آدم فهي أدلة مستقلة في الإخبار بأن الله خلق آدم على صورة نفسه، وبهذا حصل الجواب عما يذكر من كون الأعمش مدلساً حيث يقدم على رواية مثل هذا الحديث ويتلقاه عنه العلماء ويوافقه الثوري والعلماء على روايته عن ذلك الشيخ بعينه، وكذلك قوله حبيب مدلس فقد أخذه عنه هؤلاء الأئمة.

يحتجون بعقيدة اليهود لأنهم مشبهة مثلهم

وأيضاً فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإن في السفر الأول منها (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها) وقد قدمنا أنه يجوز الإستشهاد بما عند أهل الكتاب إذا وافق ما يؤثر عن نبينا بخلاف ما لم نعلمه إلا من جهتهم فإن هذا لا نصدقهم

فيه ولا نكذبهم، ثم إن هذا مما لا غرض لأهل الكتاب في افترائه على الأنبياء، بل المعروف من حالهم كراهة وجود ذلك في كتبهم وتأويله وكتمانه كما قد رأيت ذلك مما شاء الله من علمائهم، ومع هذا الحال يمتنع أن يكذبوا كلاماً يثبتونه في ضمن التوراة وغيرها وهم يكرهون وجوده عندهم.

وإن قيل إنكاره لذلك غير الكاتب له، فيقال هو موجود في جميع النسخ الموجودة في الزمان القديم في جميع الأعصار والأمصار من عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

يحتجّون بالتوراة المحرّفة والاحتجاج بالكفر كفر

وأيضاً فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك فلو كان هذا عيباً لكان عيب الله لهم به أعظم وذمهم عليه أشد.

الوجه التاسع: إبطال أعيان التأويلات التي ذكرها.

فأما قوله في الوجه الأول إنه لم يغير خلقة آدم ولم يمسخها كما مسخ غيره كالحية والطاووس.

فيقال له العبارة المعروفة عن هذا المعنى أن يقال أبقى آدم على صورته أو تركه على صورته أو لم يغير صورة آدم، لا يقال: خلقه على صورة نفسه فإن هذا اللفظ لا يستعمل في مثل ذلك المعنى، ألا ترى أن الله لما مسخ بعض بني إسرائيل كالذين قال لهم: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ كما قال: ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ وأنجى الذين كانوا

المناسبة المشابهة لمعاني أسمائه التي يحبها فهي مما أمر به، وهو سبحانه له الخلق والأمر.

الوجه السادس أن يقال: المحذور الذي فروا منه لتأويل الحديث على أن الصورة بمعنى الصفة، أو الصورة المعنوية أو الروحانية ونحو ذلك يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه، وإذا كان مثل هذا لازماً على التقديرين لم يجز ترك مقتضى الحديث ومفهومه، لأجله، ولم يكن أيضاً محذوراً بالإتفاق، وذلك أن كون الإنسان على صورة الله التي هي صفته أو صورته المعنوية أو الروحانية فيه نوع من المشابهة. كما أنه إذا أقر الحديث كما جاء فيه نوع من المشابهة، غايته أن يقال المشابهة هنا أكثر، لكن مسمى نوع من التشبيه لازم على التقديرين، والتشبيه المنفي بالنص والإجماع والأدلة العقلية الصحيحة منتف على التقديرين.

الوجه السابع أن يقال: إذا كان مخلوقاً على صورة الله تعالى المعنوية فلا يخلو إما أن يكون ذلك مقتضياً لكون صفات العبد المعنوية من جنس صفات الله بحيث تكون حقيقتها من جنس حقيقتها أو لا يقتضي ذلك بل يقتضي المشابهة فيها مع تباين الحقيقتين، فإن كان مقتضى الحديث الأول فهو تصريح بأن الله له مِثْلٌ. وهذا باطل، وأيضاً فإنه ممتنع في العقل فإن المتماثلين في الحقيقة يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، والمخلوق يجب أن يكون معدوماً محدثاً مفتقراً ممكناً، والخالق يجب أن يكون قديماً واجب الوجود غنياً، فيجب أن يكون الشيء الواحد واجباً ممكناً غنياً فقيراً موجوداً معدوماً، وهذا جمع بين النقيضين فثبت أن الحديث لا يجوز حمله على هذا.

وأيضاً فإنه على هذا التقدير لا يكون في حمله على الصورة الظاهرة

محذور وإن لم يكن ذلك مقتضياً لكون صفات العبد من صفات الرب بحيث تكون الحقيقة من جنس الحقيقة مع كون هذا عالماً وهذا عالماً وهذا حياً وهذا حياً وهذا قادراً وهذا قادراً وهذا سميعاً بصيراً وهذا سميعاً بصيراً، بل هذا موجوداً وهذا موجوداً مع كون الحقيقتين والعلم والقدرة متشابهات، وكذلك لا يجب إذا كان لهذا وجه وصورة ولهذا وجه وصورة أن تكون الحقيقة من جنس الحقيقة مع تشابه الحقيقتين.

يوضح ذلك أنه على التقديرين لا بد أن يكون بين الذات والذات مشابهة إذا كان على الصفة المعنوية فإن كون هذا عالماً قادراً وهذا عالماً قادراً وهذا موجوداً وهذا موجوداً وهذا ذاتاً وهذا ذاتاً وهذا ذاتاً لها صفات وهذا ذاتاً لها صفات لا بد أن يثبت التشابه كما تقدم.

الوجه الثامن: أن الأدلة الشرعية والعقلية التي يثبت بها تلك الصفات يثبت بنظيرها هذه الصورة فإن وجود ذات ليس لها صفات ممتنع في العقل. وثبوت الصفات الكمالية معلوم بالشرع والعقل. كذلك ثبوت ذات لا تشبه الموجودات بوجه من الوجوه ممتنع في العقل، وثبوت المشابهة من بعض الوجوه في الأمور الكمالية معلوم بالشرع والعقل، وكما أنه لا بد لكل موجود من صفات تقوم به فلا بد لكل موجود قائم بنفسه من صورة يكون عليها ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يقوم عليها.

انظروا كيف يشبّهون الله بخلقه من بعض الوجوه والله لا مشابهة بينه وبين خلقه بالمرة

الوجه التاسع: أن هذا المعنى الذي ذكروه وإن كان ثابتاً في نفسه ويمكن أن يكون الحديث دالاً عليه باللزوم والتضمن لكن قصر الحديث عليه باطل قطعاً كما تقدم.

الوجه العاشر: ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة واتفق على ذلك سلف الأمة. وسيأتي إن

الفهرس العام

القواعد القرءانية والأصول الإيمانية

في تنزيه الله عن الجسمية والصورة والكيفية

القواعد القرءانية والأصول الإيمانية في تنزيه الله عن الجسمية والصورة والكيفية

9789953207032